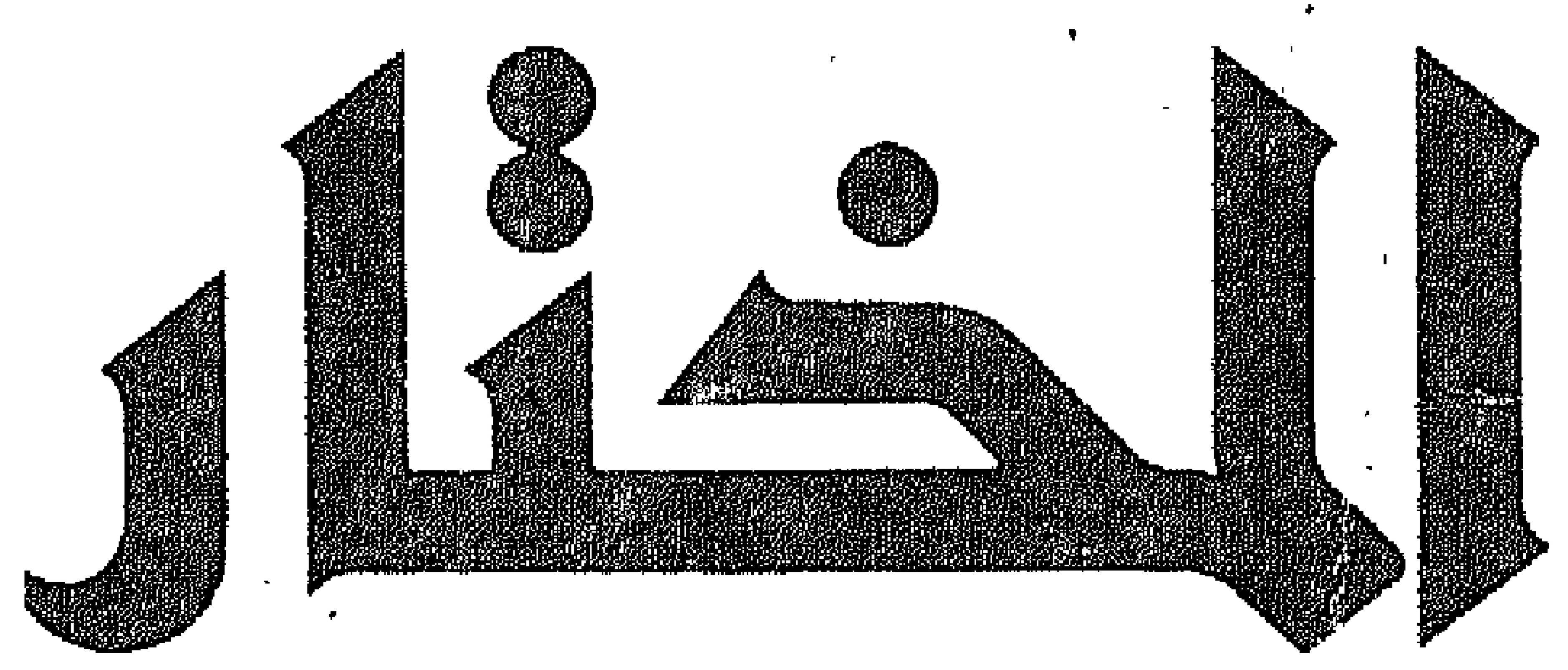
نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٩٠ - ربيع الثاني ١٤١١



AL MUKHTAR min Reader's Digest November '90 N° 144

أوسع المجلات انتشارًا في العالم
٣٨ طبعة، ١٥ لغة، ٢٨ مليون نسخة شهريًا

مسحة الرحم قد تنقذك من السرطان
(ص ٥٢)

مجرور يبتلع طفلة
(ص ١٢)

ذوق العصر ايطالي
(ص ٦٦)

معجزة عداء أعمى!
(ص ٩٠)





مجـلة شهـريّـة

رئيس التحرير – المدير المسؤول: **ادمون صعب**.

مديرة التحرير: **راغدة حداد**. أمينة التحرير: **نهلا رزق**. محررة مساعدة: **لورا نفاع**. الاشتراكات: **فريال علاف**.

مدير القسم الفني: **جورج غالي**. الخطوط: **عبد القادر اسماعيل**.

الامتياز: شركة النهار للمنشورات الدولية – باريس. الناشر: شركة "ايبراك" للمنشورات الدولية – بيروت.

رئيس مجلس الادارة – المدير العام: **الدكتور لوسيان دحداح**.

المدير العام المعاون: **داني دحداح – باز**.

التحرير والادارة: **بيروت، شارع المقدسي، بناية الشرتوني، ص.ب ٨٧٠٧ بيروت – لبنان**.

التلكس (الموقت): **MEM 22288 LE / ANAHAR 22322 LE**

التنضيد والتنفيذ: **المطابع التعاونية الصحفية، شارع مصرف لبنان، بيروت**.

الطباعة: **المطبعة العربية، المدينة الصناعية – البوشرية، المتن الشمالي – لبنان**.

التوزيع: **الشركة اللبنانية لتوزيع الصحف والمطبوعات، بيروت**.

AL MUKHTAR min Reader's Digest

Editor-in-Chief: Edmond Saab.
Managing Director: Dany Dahdah-Baz.
Makdessi St., Shartouni Bldg., P.O.Box 8707, Beirut, Lebanon.
Telex ANAHAR 22322 LE / MEM 22288 LE
Circulation Audited by G. Bargout C.P.A.



November '90 N° 144 (New Series) Vol. 12

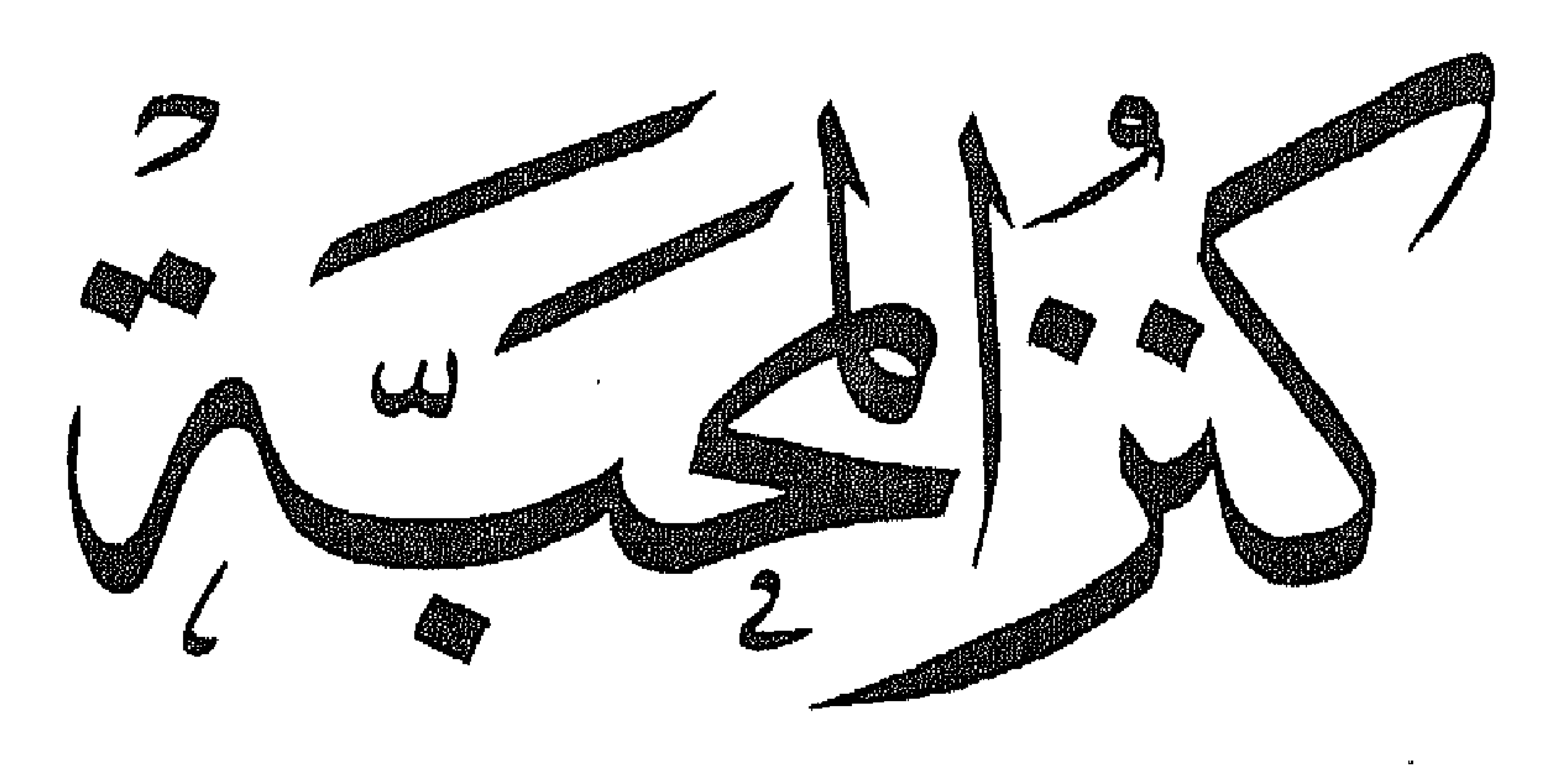
لبنان ١٠٠٠ل – سورية ٤٠ل – الأردن ٧٠٠ف – الكويت ٧٠٠ف – الامارات العربية المتحدة ٩د – قطر ٨ر – البحرين ٨٠٠ف – السعودية ١٠ر – مصر ١،٥ج – السودان ١ج – ليبيا ٥٠٠د – اليمن ٨ر – عدن ١٥د – مسقط ٨٠٠ب – العراق ٨٠٠ف – قبرص ٧٥ب – تونس ٧٠٠م – المغرب ٧د – الجزائر ٧د – فرنسا ١٠ف – انكلترا ١ج – اليونان ١٣٠د – كندا وامريكا الشمالية ٢،٥د



كوبٌ من نسكافه مع الحليب ، في الصباح
وفي أي وقت ، يجعل نهارك أكثر بهجة وإشراقاً.
نسكافه ، خلاصة القهوة اللذيذة ، تملأك حيويّة ونشاطاً.
نسْكافه ، قهوة ١٠٠ بالمئة صافية ، سريعة التحضير.

نسكافه قهوة الشباب العصريّ الناجح.

أمضى سنوات طويلة في الاسر
وسلاحه للبقاء درع حب لا تفلّ



لم أملك أكثر من لحظة لأفكر بما سأقول. حدث ذلك في العام ١٩٧١ وقد مضى على أسري في فيتنام الشمالية سبع سنوات طوال بعدما أسقطت طائرتي وهي من طراز "سكاي هوك" تابعة لسلاح البحرية. كانت تلك السنوات كابوساً من التعذيب والطعام الفاسد والوحدة المؤلمة التي يفرضها السجن الانفرادي المتكرر. وقد اجتمع ما يقارب أربعمئة أسير في ذلك السجن الرديء السمعة الذي سميناه "هيلتون هانوي."

للتغلب على الرتابة أنشأ زملائي السجناء نادياً للخطابة. وفي ذلك اليوم أُعطيت ثلاثين ثانية فقط لتحضير خطاب يستغرق إلقاؤه خمس دقائق ويتناول تجربة شخصية في حياتي.

عاد بي فكري غريزياً الى عائلتي. كانت المحن التي واجهناها بلورت شخصيتي ومنحتها قوة. لقد تزوجت جدتي لأمي في الثالثة عشرة من عمرها في المكسيك، وأتت الى الولايات المتحدة زوجة عامل في السكة الحديد. وكانت تنتقل من محلة الى أخرى، فتنام تارة في مقطورة وطوراً في كوخ متداع. واضطر والداي الى ترك المدرسة عندما كانا طفلين من أجل كسب عيشهما. وتعلمت منهما الثبات والاصرار والتصميم، وهي صفات مكنتني من البقاء. وأهم من ذلك، تعلمت منهما الحب الصافي الكامل بين الأهل والاولاد الذي غمرني الى الأبد مثل درع واقية.

كيف لي التعبير عن كل ذلك؟ كيف أصف لهؤلاء الرجال الكنز الذي أورثني اياه أهل فقراء؟ فجأة، تذكرت برهة من طفولتي وعرفت ما سأقول.

كنت في الثامنة من عمري، وكنا نقيم موقتاً عند جدتي في ساليناس بكاليفورنيا. وذات يوم إنتحت بي جدتي جانباً وذكرتني هامسة أن ذلك اليوم ذكرى مولد أمي. أردت أن أشتري لها

شيئاً جميلاً، لكني لم أملك نقوداً. كانت ثمة وسيلة واحدة لتحصيل بعض النقود وهي أن أجمع زجاجات المرطبات الفارغة وأبيعها في دكان قريب بقرش واحد كل زجاجة.

أخذت عربتي الحمراء الصغيرة وطفت أبحث عن زجاجات في نفايات الجوار. وكلما ملأت العربة جررتها مجهداً الى الدكان.

عند العصر تجمعت في جيبي قروش كثيرة. فجررت عربتي صعوداً الى الصيدلية وأخرجت من جيبي حفنة من القطع النقدية. كان لدي ما يكفي لشراء بطاقة معايدة وأكثر.

تسمرت عيناي على قطعة حلوى. وكنت أملك ما يكفي لشرائها. وضعتها في جيب سروالي ودسست البطاقة تحت قميصي وركضت الى البيت.

كان الظلام بدأ ينسدل. وما ان اجتزت المنعطف قرب بيتنا حتى رأيت أمي تبحث عني والقلق باد عليها، والغضب أيضا. سألتني: "أين كنت؟ لقد بحثت عنك في كل مكان."

انتابني الخوف لغضبها. ولما قادتني الى الداخل أجهشت في البكاء.

"أين كنت؟" سألتني وهي تصرخ. فأخبرتها وأنا لا أزال أنتحب: "كنت أجمع الزجاجات لأحصل على مال اشتري به هدية لعيد ميلادك."

ومددت يدي تحت قميصي وناولتها البطاقة التي لم أوقعها بعد. وتركت يداي القذرتان لطخة حيث يفترض التوقيع. ثم اخرجت قطعة الحلوى التي كادت تنشطر في جيبي، وقلت لامي: "اشتريت لك هذه أيضاً."

ولّى غضبها وأقبلت علي تعانقني. وعندما ضمتني بقوة ودفنت وجهها في شعري سمعتها تشهق باكية.

تلك الليلة زارنا بعض الجيران، وسأل أحدهم عن سبب وجود قطعة حلوى على إفريز النافدة. فأجابت أمي بفخر وبعينين دامعتين: "قدمها الي ابني هدية لعيد ميلادي."

عندما أنهيت قصتي جلس زملائي مشدوهين. ثم قال لي أحدهم وهو يمسح دموعه: "عليك اللعنة!" وأدركت عندئذ ان كثيرين منا، نحن المحظوظين، يملكون ذلك الكنز السري الذي تهبه عائلة محبة، تلك الدرع الواقية والمخبأة في ذاكرة الطفولة. هذا الكنز رافقنا طوال فترة الحرب.

ايفريت ألفاريز الابن
وأنطوني س. بيتش ■

ايفريت الفاريز الابن أول طيار امريكي اسقط في فيتنام الشمالية وتحمل الأسر لمدة ثماني سنوات ونصف سنة. وبعد اطلاقه في العام ١٩٧٣ حصل على شهادة في الحقوق وشغل منصب نائب مدير "فيالق السلام" ونائب مدير "إدارة المحاربين القدامى." وهو يعيش اليوم مع زوجته وابنيه في روكفيل بولاية مريلاند.

بين الكرة والقرميد

بعد خمسة مواسم كروية فقط أصبح جيري رايس، من فريق سان فرنسيسكو، أعظم ملتقط في كرة القدم الامريكية. ورايس ابن بنّاء قرميد، نمّى مهاراته خلال أشهر الصيف الطويلة الحارة بمساعدة أبيه في بناء المساكن، فقوّى العمل قدرة احتماله وطاقة يديه.

قال رايس لأحد المحررين الرياضيين: "أقف على سقالة عالية، فيرمون الي القرميد طوال النهار. ويكدس أحد أشقائي أربع قرميدات واحدة فوق أخرى ويرميها الي. فتتباعد في كل الاتجاهات، لكني التقطها جميعاً."


ك.ب.

أستاذ غير مطمئن

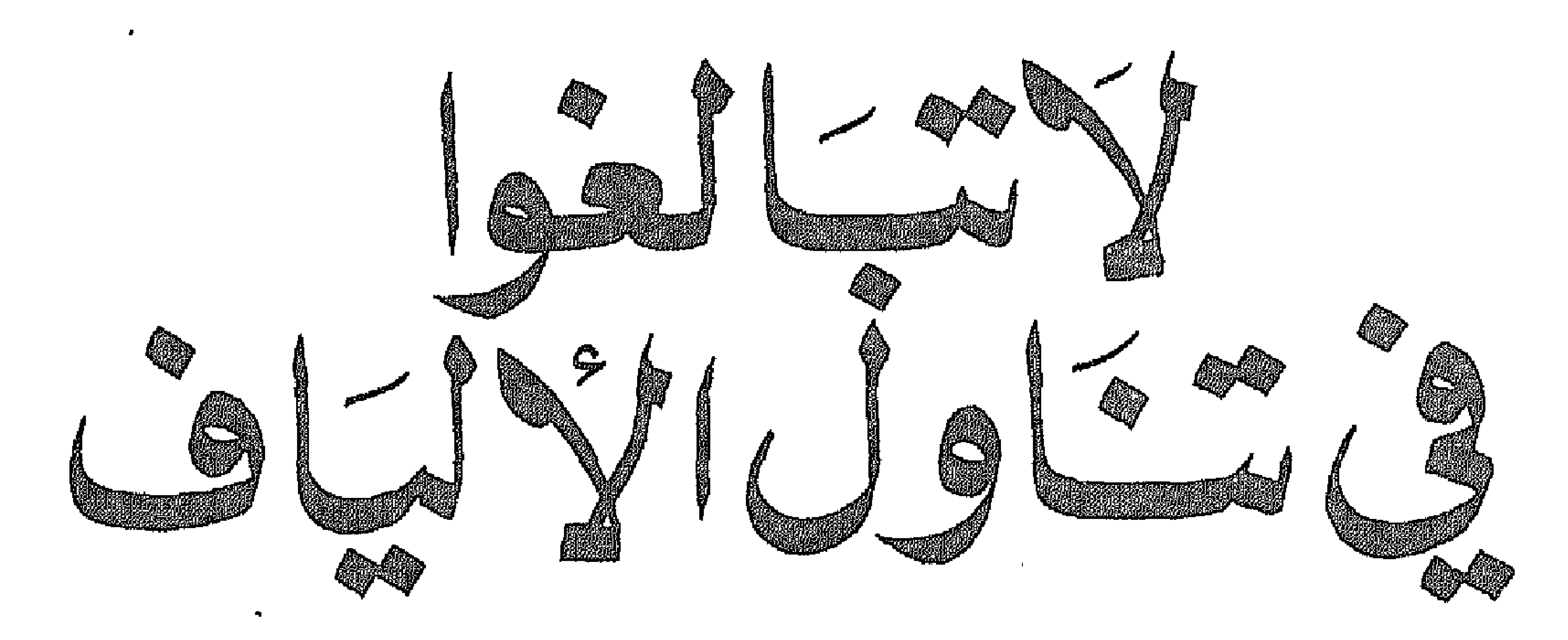
كان لنا أستاذ معروف باعطائه امتحانات شديدة الصعوبة. وذات يوم وزع علينا أوراق امتحان قائلاً: "هذا أسهل امتحان أعطيته خلال مدة تعليمي منذ ١٦ سنة. فاذا كنتم بذلتم حداً أدنى من الجهد في الدرس فنجاحكم مضمون."

وما ان شعرت ببعض الاطمئنان الى كلامه حتى ارتفع صوت من مؤخر الغرفة: "هذا تماماً ما قلته لنا السنة الماضية."

س.ب.


نيدو الحليب الأفضل
INSTANT
NIDO
Nestlé
نيدو
نستله
Lait entier en poudre
Full cream powdered milk
حليب مجفف كامل الدسم
نيدو الأفضل طعمًا، الأسرعُ ذوبانًا، الأضمن نتيجةً والأوسع إنتشارًا.
نيدو السريع الذوبان: ضمانة أكيدة لنموّ أولادكم.
Nestlé
تضمنه نستله
PT 3693 A

Reader's Digest
المختار
نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٩٠
ربيع الثاني ١٤١١
السنة الثانية عشرة
سلسلة جديدة
مجلة بحجم كتاب ومقال لكل يوم بأسلوب ممتع



أصحيح أن الألياف النباتية تبعد القرحة والسرطانِ وأمراض القلب والامعاء؟

عمت "الصرعة" الغرب وغايتها واضحة: تناولوا نخالة الشوفان وتوقفوا عن القلق في شأن الكولسترول.

ثم نشرت دراسة لجامعة هارفرد أفادت أن النخالة قد لا يكون لها تأثير مباشر في الكولسترول. فهل يعني هذا أن ألياف الشوفان لا تنفع؟ وماذا عن نخالة القمح التي يُغالى في إطراء قدرتها على مكافحة السرطان؟ هل سنعلم عاجلاً أنها هي أيضا غير ناجعة؟

الألياف مفيدة لنا، وهذه حقيقة لا تقبل الجدل. والكميات المعتدلة منها تحمي ضد الامساك والاسهال، وربما حدّت من الافراط في الطعام. فالذين يستهلكون كفاية من الالياف هم أقل اصابة بأمراض القلب وسرطان القولون[1] والاضطرابات المعوية. لكن الافادة لا تأتي سحرياً بابدال مقومات الفطور، لان الالياف يجب أن تدمج بحكمة في كل وجبة.

(١) القولون هو الجزء الاسفل من الامعاء الغليظة.

وتنطبق عبارة "ألياف الحمية" على الاجزاء النباتية التي تمر في المعدة البشرية والامعاء الدقيقة من دون أن تهضم، وتراوح بين قشور القمح القَصِفة وقرون اللوبياء الخيطية ولب الشعير الصمغي. وهناك نوعان رئيسيان من الالياف: القابل للذوبان وغير القابل للذوبان.

حين يصل الليف القابل للذوبان الى القولون تحوّله الجراثيم أحماضاً دهنية قابلة للذوبان. وثمة نوعان من الليف القابل للذوبان: البكتين (في التفاح والبرتقال وغيرهما من الفواكه) والصمغ (في الشعير ونخالة الشوفان وغيرهما).[2]

أما الليف غير القابل للذوبان فلا تحلّه الجراثيم في القولون. وكل الاطعمة الليفية تحوي بعض الليف غير القابل للذوبان، لكنه أكثر تركيزاً في نخالة القمح والذرة. والعدس والحبوب الكاملة هي أيضا مصادر غنية بالالياف.

والتوازن بين الليف القابل للذوبان والليف غير القابل للذوبان يمنح الطعام المهضوم تماسكاً كتلوياً طرياً يساعد في تقدمه باتزان داخل القناة الهضمية، فلا يكون سريعاً جداً ولا بطيئاً جداً. وعلى مدى قرون وصف الاطباء ألياف الحمية لمرضى يعانون الامساك والاسهال.

ولكن في السبعينات من هذا القرن أفاد الدكتور دنيس بوركيت، وهو طبيب بريطاني خدم الأفارقة في الارياف لعشرين سنة، أنه نادراً ما رأى اصابات بأمراض القلب وسرطان القولون والتهاب الرتج[3] وحصى الصفراء (المرارة) والقرحة والبواسير وتهيج الامعاء بين مرضاه الافارقة. وعزا بوركيت ذلك الى الكميات الوافرة من الالياف التي يتناولونها يومياً.

وذاعت ادعاءات بوركيت أن الالياف تحمي من بعض الامراض، وأثارت اهتماما عالميا. فشرع الاطباء يحققون في حقيقتها، وتركز بحثهم على أشد الأمراض فتكاً: أمراض القلب وسرطان القولون.

وبينت دراسات عدة أن استهلاك منتجات الشوفان التي تحتوي على كميات كبيرة من الالياف القابلة للذوبان من شأنه خفض كولسترول الدم ١٥ في المئة. ولئن تكن دراسة هارفرد لا تشير الى منافع مماثلة فان نتائجها تحتاج الى اثبات، خصوصا ان الذين شملتهم كانوا يتمتعون بمستويات عادية من الكولسترول.

ويعتقد بعض العلماء أن الالياف القابلة للذوبان تغسل أحماض الصفراء من الامعاء الدقيقة. ويبدو أن جراثيم الامعاء حين تخمر هذه الالياف تنتج مواد تنتقل الى الكبد وقد تُوقف انتاج الكولسترول.

ويزيد ارتفاع معدل الكولسترول امكان الاصابة بأمراض القلب، ولكن لا أبحاث تشير الى أن الالياف تمنع مرض القلب مباشرة.

---

(٢) Pectins and gums

(٣) Diverticulitis

ويقتفي العلماء خطأ آخر غير مباشر بين الليف غير القابل للذوبان والاصابة بسرطان القولون.

ان كميات متوسطة من نخالة القمح قد تبطىء تكاثر الخلايا في بطانة القولون مما يبطىء نمو الاورام (بوليب) التي قد تؤدي الى سرطان القولون. وتنفذ الالياف هذه المهمة في القولون بوقف عمل الاحماض التي تعاون الكيميائيات المسببة للسرطان في فعلها المؤذي.

والالياف تكافح الجوع أيضاً. فالاغذية الليفية تحفظ الماء مما يعني حجماً أكبر. وهكذا تمتلىء المعدة فيشعر المرء بالشبع. والى ذلك فان المعدة الملأى بالليف القابل للذوبان، مثل دقيق الشوفان، تفرغ ببطء أكثر فيطول الوقت قبل الاحساس بالجوع ثانية.

والنتيجة الحاسمة هي أن الالياف تنفعنا. وهنا بعض الاقتراحات المفيدة:

١. **فكروا في الليف على أنه طعام لا دواء.** ينصح باحثو التغذية بعدم تناول مكملات مسحوقة أو أقراص بديلة لانها تحتوي على مغذيات ضئيلة. ففوائد الالياف تأتي من تناول أطعمة نباتية متنوعة.



PHOTO: © MARTY UMANS

٢. تناولوا تشكيلة من الاطعمة الليفية ولا تقتصروا على النخالة. فالتنوّع يؤمن كفاية من الليف القابل للذوبان والليف غير القابل للذوبان، ويتيح لنا الافادة من جميع المغذيات المتنوعة التي تحويها الأطعمة الليفية. والقصد هو أن تأكلوا الفواكه والخضر والبقول والحبوب الكاملة بدلا من الاطباق العادية الغنية بالدهن.

ويوصي "المجلس الوطني للابحاث" في الولايات المتحدة بخمس حصص أو أكثر يومياً من الفاكهة والخضر، وبست حصص على الاقل من الحبوب الكاملة والبقول. وتشتمل الحصة على شريحة خبز، وفطيرة صغيرة، ونصف كوب من الخضر أو البقول أو الحبوب المطبوخة، وحبة فاكهة. واذا كنتم لا تريدون احتساب الحصص فما عليكم الا أن تحرصوا على أن يؤلف الطعام النباتي ثلاثة أرباع أطباقكم.

٣. تذكروا أن بعض الأطعمة ليفية اكثر من غيرها. فالجزرة تحوي من الليف ضعفي ما في سويقة كرفس. والتفاحة التي تؤكل بقشرتها تحوي خمسة أضعاف الليف الذي تحويه شريحة بطيخ. وتحوي الفاصولياء ضعفي الليف الذي في الحمص.

انتبهوا الى طريقة تحضير الطعام، اذ أن سلسلة المعالجات قد تخفض المحتوى الليفي. مثلا، يحتوي كوب من عصير التفاح على جزء من عشرين من الالياف التي تحويها تفاحة كاملة، لان تحضير العصير يعني نبذ القشرة وأجزاء اخرى من مركبات التفاحة.

وفي ما يتعلق بالخبز والبسكويت والاطعمة الحبوبية (كورن فليكس) فما عليكم الا قراءة الملصقات. إنما تذكروا دائماً أن الاسماء مضللة أحياناً. فهناك أنواع كثيرة من الخبز الاسمر الذي يدعى "خبز دقيق" أو "متعدد الحبوب" مصنوعة من دقيق مكرّر الى درجة عالية مما يعني أن مجمل الليف نزع منه في سياق التكرير والتنقية.

٤. أضيفوا الليف الى غذائكم تدريجاً. الجراثيم في القولون تخمّر الالياف، وعليكم اتاحة الفرصة لها كي تكون جاهزة لذلك. وينصح باحثو التغذية برفع كمية الالياف الى المستوى الصحي خلال ستة أسابيع.

ابدأوا، على سبيل المثال، بأكل موزة وكوب من نخالة الحبوب مع فطور الصباح بدلا من اللحم والبيض. وبعد أسبوع أو نحوه تحولوا الى الخبز الكامل الحب، وفي الغداء تدرّجوا بزيادة تناول الرز الأسمر والخضر والفاكهة فيما أنتم تخفضون حصصكم من اللحم والحلوى.

واذا عانيتم من الغازات أو التشنجات (المغص) فتوقفوا لبضعة أيام ومارسوا رياضة، كالمشي عشرين أو ثلاثين دقيقة في اليوم.

تذكروا أيضاً أنه كلما زاد الليف في طعامكم زادت حاجتكم الى شرب الماء

والسوائل. وشأن الليف شأن الاسفنج، فانه لا يصبح طَوياً سلساً الا عندما يكون رطباً.

٥. **لا تبالغوا**. حجم الليف كبير، لذا يقتضي بذل بعض الجهد لزيادة كمية الطعام المتناولة كي يكتمل محتواها الغذائي. لكن بعض الناس يظنون أن الاكثر هو الافضل، فيحشون بطونهم بفطائر النخالة أو الحبوب. والانزعاج ليس هو الخطر الوحيد، اذ ان كمية الليف الزائدة قد تمنع الجسم من امتصاص المعادن الكافية والحاسمة للنمو. وتنوع الغذاء كاف لازالة القلق. لكن المشكلة تبقى لدى الشيوخ والاطفال الذين لا يأكلون كفاية.

يحتاج الاطفال دون السنتين الى كميات وافرة من الطاقة الحرارية للنمو، ويحتاجون كذلك الى الدهن لبناء دماغ وجهاز عصبي صحيحين. تقول فيليشا بوش المتخصصة بعلم تنظيم الاغذية في سانت بول بولاية مينيسوتا والناطقة باسم "الجمعية الغذائية الامريكية": "ان تناول كميات كبيرة من الالياف يملأ المعدة الصغيرة قبل الحصول على وحدات حرارية كافية للنمو الطبيعي. واذ يكبر الاولاد يقلدون نمط والديهم في الاكل. فاذا كان غذاؤكم متنوعا ويشتمل على اطعمة كثيرة غنية بالالياف فان أولادكم سيحذون حذوكم."

تندمج هذه الاقتراحات في إطار نصيحة خالدة قائمة منذ القدم: تناولوا أطعمة متنوعة، وباعتدال. هذا هو لبّ الحكمة في الطعام منذ عهد أبقراط، ابي الطب، تعززه الآن أحدث الابحاث العلمية.

ماري موري ■

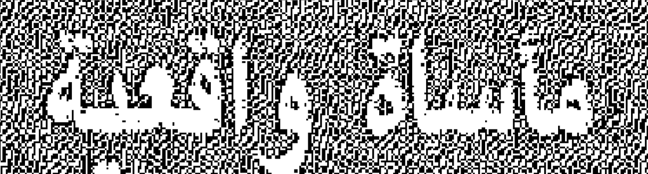


اقتصاد ياباني

للتوفير في اكلاف المساحة المكتبية (التي تصل الى ١٧٠ دولارا للقدم المربعة سنوياً في طوكيو) اعتمدت شركة في اليابان نظاماً يحشر ٥٠٠٠ موظف في مساحة مكتبية تتسع لـ٤٥٠٠ فقط. وتسير الخطة كالآتي: عندما يصل أحد مندوبي الشركة الى المبنى، يراجع الكمبيوتر الذي يدله على مكتب فارغ. ومن ثم يجر خزانة ملفات نقالة من مخزن الخزائن الى المكتب المتيسر ويبدأ العمل. وإذا اضطر الى مغادرة المكتب لانجاز عملية بيع، فعليه اعادة اوراقه وملفاته الى الخزانة وجرّها الى المخزن وترك خبر بمغادرته المبنى. ولدى عودته تبدأ العملية من جديد.

ويدخل بعض مندوبي المبيعات المبنى ويخرجون منه ثلاث مرات أو أربعاً يومياً. وتقدّر الشركة أن هذه العملية ستختصر الأكلاف العقارية بنسبة ٣٠ في المئة.

س.س.





٢٦ يونيو (حزيران) ١٩٨٩ اطلت لاتريشيا ريس ابنة الاعوام السبعة من نافذة البيت في احد الاحياء المزدحمة بمدينة هيوستن (تكساس). وكانت العاصفة الاستوائية "اليسون" عبرت بعدما امطرت المدينة بمعدل ٢٥ سنتيمتراً ماء.

رأت لاتريشيا اولاد الجيرة يخرجون من منازلهم ليمرحوا في الشوارع المغمورة بالمياه وهم يجرون اطواقا مطاطية وقد طاول الماء ركبهم. وكانت رداءة الطقس اضطرتها الى ملازمة البيت اياما عدة، فتوسلت الى امها "هلا سمحت لنا باللعب في الخارج؟" وشاركتها في توسلاتها ابنة خالتها كريستال كيلنغسورث (٨ اعوام) المقيمة معهما في المنزل "اسمحي لنا بالخروج يا خالتي ارجوك".

غلب التردد والشك على كارين ريس فهي منفصلة عن زوجها وشديدة الحرص على الفتاتين.

ولكن بعد ايام من احتجازهما في

المنزل لم تر بدأ من الاستجابة الى رجائهما. وسرعان ما ركضت الفتاتان الى الشارع.

وفيما هما تلهوان وتخوضان المياه في الباحة الامامية كانت كارين تراقبهما من النافذة مطمئنة الى أنهما سعيدتان وفي أمان تام.

قبيل السابعة مساء دخلت كارين الى المطبخ لانهاء بعض الاشغال. فقررت لاتريشيا وكريستال استكشاف قناة الى جانب الطريق، اذ أثار فضولهما عمق الماء هناك. فقالت لاتريشيا: "لننزل اليها."

كانت روث سترونغ في المنزل المجاور تنظر الى الخارج لتتبين ما اذا كانت المياه شرعت في الانحسار، فرأت الفتاتين تخوضان القناة. واذا لاتريشيا تغيب فجأة في الماء كأن يداً خفية جذبتها بعنف.

اعتقدت روث في البداية أن الفتاة تلهو تحت سطح الماء. ولكن حين لم تعد الى الظهور صعقت المرأة لادراكها حقيقة ما حدث. فنادت زوجها: "داريل، هناك فتاة غرقت في القناة!"

هرعت روث الى الهاتف واتصلت بقسم الطوارىء، فيما هرع داريل الى القناة. وكانت كريستال خرجت منها ووقفت جزعة وقد عقد الخوف لسانها تنظر الى البقعة حيث اختفت لاتريشيا.

صاح داريل بالفتاة المذعورة: "أسرعي واطلبي النجدة." وتمدد على حافة القناة ومد يده الى عمقها، فأدهشته قوة مجرى الماء. لكنه لم يلمس شيئاً. قد تكون الفتاة غرقت في "المجرور" البالغ قطره ٤٥ سنتيمتراً والممتد تحت الطريق.

حين رأت كارين ابنة أختها كريستال مندفعة الى المطبخ استوقفتها وسألتها: "أين لاتريشيا؟"

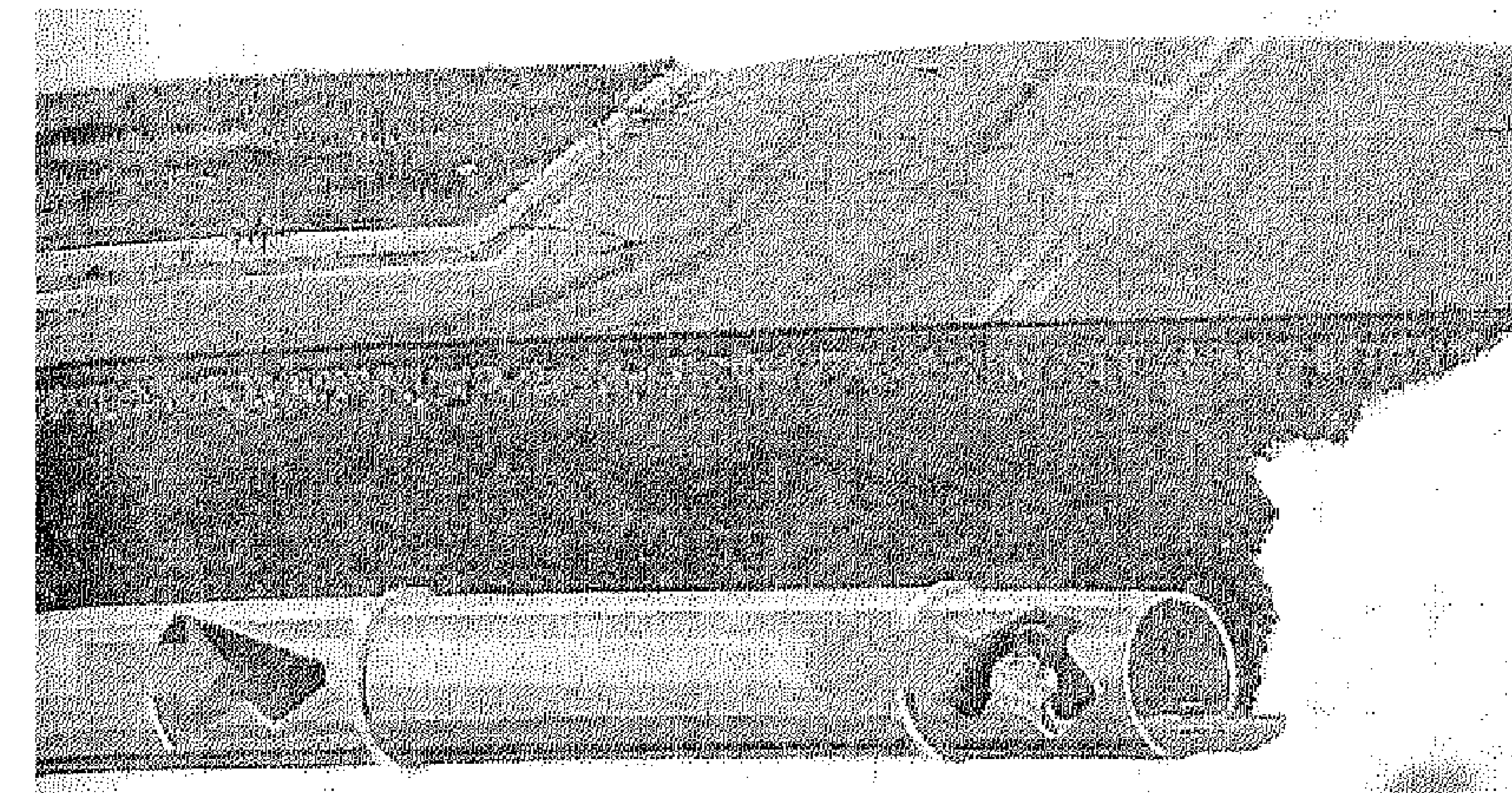
فأجابت الفتاة متلعثمة: "لست أدري."

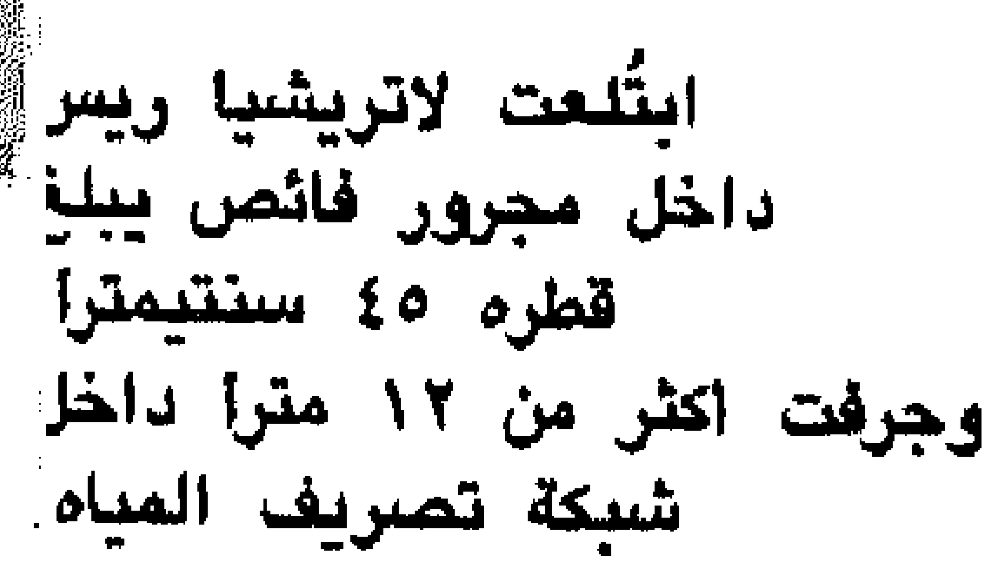
ركضت كارين الى الخارج حيث أخبرها داريل بما جرى، فصاحت يائسة: "لاتريشيا!" وأضافت في نفسها: "أنى لها أن تبقى قيد الحياة؟" كانت لاتريشيا فتاة عطوفة تحنو على الكلاب والقطط الشاردة. وكانت المفضّلة بين أولاد الجيران، لكنها افتقدت روح القتال والقدرة على الاحتمال.

هتف داريل: "الرافد! ربما جرفتها المياه عبر المجرى الى الرافد." وركض مسافة قصيرة الى حيث تصب مياه المجاري المتقاطعة تحت الطريق، لكنه لم يجد لاتريشيا. فراح يعدو على ضفتي الرافد ويناديها.

بعد برهة قصيرة وصل النقيب بوب كرينيك من دائرة اطفاء هيوستن ومعه ثلاثة رجال، وتبعهم ١٥ رجلا آخرون. فرمى أحدهم بنفسه في الحفرة وبدأ يفتش بيده ثم بقضيب معدني في رأسه عقيفة فولاذية غير حادة. وبلغ من قوة المياه الجارفة أن اضطر عدة اطفائيين الى التمسك بخصر رفيقهم لتثبيته.

ورفع آخرون الغطاء الحديد الثقيل الذي يغطّي حوض تجمع الماء تحت





ابتُلعت لاتريشيا ريس داخل مجرور فائض يبلغ قطره ٤٥ سنتيمتراً وجرفت اكثر من ١٢ متراً داخل شبكة تصريف المياه.

الطريق والبالغ عمقه متـراً واحداً. ولعجزهم عن تبين أي شيء عبر المياه المـزبدة راحـوا يتحسسـون العمق بالقضبان الطويلة.

اتصل كرينيك لاسلكيا بفريق الغطس في شرطة هيوستن، فيما اندفع رجاله في الشارع يرفعون أغطية فتحات شبكة المجاري لاقتفاء خط الانبوب تحت الطريق. فلم يروا تحت الاغطية سوى مياه ثائرة صاخبة، ولا أثر للفتاة.

"ساعديني يا أمي!" كانت لاتريشيا تحت الطريق على عمق ثلاثة أمتار، متشبثة بوصلة داخل أحـد أنابيب الاسمنت. وكانت المياه تتدفق عبرها مهددة بانتزاعها من مجثمها الواهي، لكن رأسها بقي في جيب هوائي فوق التيار الجارف. وكان الماء يذرّ في فمها فيحملها على السعال الى حد الاختناق.

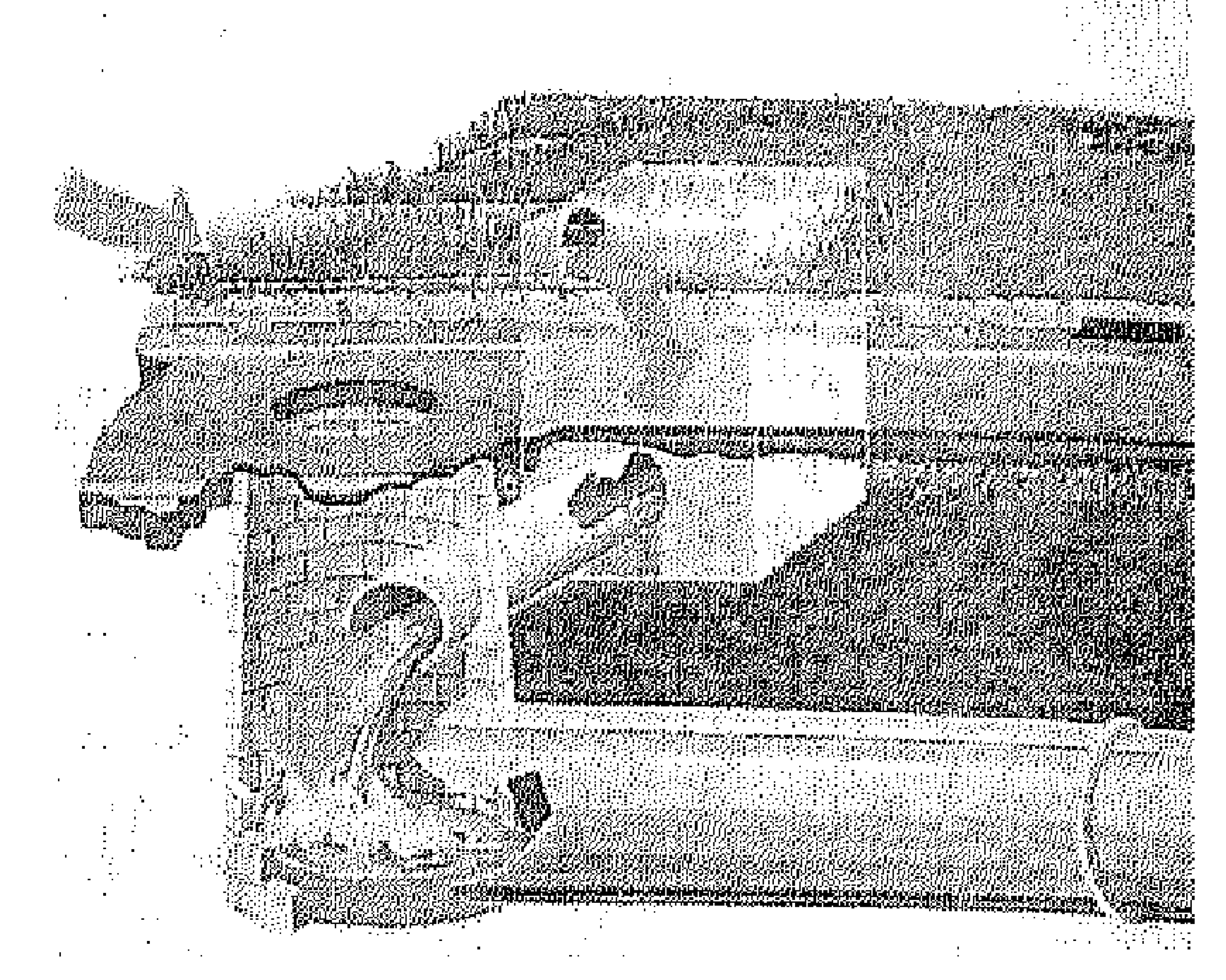
وقع الحادث بسرعة خاطفة أعجزت الفتاة عن إتيان أي رد فعل منقذ. فما ان وقفت في القناة لحظة حتى شُدّت بعنف نزولا، وقدماها أولا، ودفعت مسافة مترين عبر مجرور الى حوض المجمّع الزاخر بالمياه الثائرة. وهناك راحت تدور وتنقلب كلعبة قماش في غسّالة ثياب. ثم حملها التيار الى مهوى عمودي عمقه ثلاثة أمتار، يتقاطع عند قاعدته مع أحد أنابيب المجاري وقطره متر واحد. وكانت كلما اجتازت شبكة أنابيب الى غيرها تندفع عبر فتحات مثلّمة من الاسمنت.

بسطت الفتاة ساعديها بدافع الغريزة. فعلقت أصابع يدها في وصلة بين أنبوبي اسمنت، واصطدمت مؤخرتها برواسب متكدسة على أرضية الانبوب. فاذا بها تتوقف فجأة عن الانسياب في المجاري.

وجدت نفسها مرتعبة ومرتبكة ومتألمة فصرخت: "ماما! ساعديني!" فكان الجواب رجع صدى صراخها في الظلام المطبق ممتزجا بهدير المياه المتدافعة. فتشبثت بوصلة الأنبوب كما يتشبث طفل بأمه لدى محاولة غريب اقصاءه عنها. وصرخت: "أين أنا؟ ساعديني يا أمي!"

أمل وحيد. وصل الشرطيان جيفري شبلي وآلن والاس من فريق الغطس.

DIAGRAM: JOHN EGGERT



فأراهما كرينيك المكان حيث اختفت الفتاة. وقال لهما: "تفحصنا الرافد والانبوب بدقة، فلم نجد لها أثراً."

سأله والاس: "كم مضى عليها هناك في العمق؟"

فاجاب كرينيك: "نحو أربعين دقيقة."

فتبادل والاس وشبلي النظرات اذ استبعدا أن تكون الفتاة قيد الحياة.

كانت المياه تهدر في الانبوب تحتهم بسرعة ٦٥ كيلومتراً في الساعة. وتعذر ارسال أي من الغطاسين. فحتى إن صمد الغطاس في وجه الماء المتلاطم على أنبوب الاسمنت، فليس في قدرة أحد سحبه ضد التيار. والأمل الوحيد الباقي هو أن تكون لاتريشيا جُرفت الى الرافد وبقيت هناك حية متشبثة ببعض الحطام المترسب.

انطلق والاس وشبلي في سيارتهما مخترقين الشوارع الغارقة الى الرافد حيث ركبا زورقاً صغيراً من الألمنيوم طوله خمسة أمتار. وراحا يستكشفان بمشعلين كهربائيين أغصاناً وجذوع شجر تحت الماء وأي مكان قد يعلق فيه



باردوميانو غارسيا وتيم غبريش فوق المجرور.

الجسم. وجذفا على هذا النحو حوالى ٨٠٠ متر في محاذاة ضفتي الرافد المغمورتين. ثم قفز والاس الى الماء ظناً منه أن الفتاة ربما عالقة في سياج مغمور جزئياً. لكنه لم يجد لها أثراً.

أخيراً، بعد تمشيط ضفتي الرافد على امتداد نصف كيلومتر من مصب أنابيب المجاري، أدركا أنهما أخفقا في محاولتهما. وفي العاشرة ليلا نقل شبلي الى كارين ريس النبأ المفجع: "سيدتي، لقد بذلنا جل طاقتنا وامكاناتنا هذا المساء. وسنعود غداً صباحاً."

كان شبلي يدرك أن أناساً آخرين في المدينة التي غمرها الفيضان يحتاجون الى مساعدة من فريق الغطس. لكن التخلي عن هذه المرأة المفجوعة كان من أصعب ما واجهه في حياته.

عادت كارين الى منزلها وراحت تذرع الغرف يائسة ومرددة في فكرها: "ليست في العالم فتاة أعذب منها."

تخيلات مهدئة. قبعت لاتريشيا داخل المجرور ترتجف برداً وخوفاً. وحزّ الالم في أصابعها وهي متمسكة بوصلة الانابيب فيما المياه تندفع عبرها هادرة مهددة وتترجّع في النفق المظلم أصداء مخيفة غامضة تملأه رهبة.

كان من السهل على لاتريشيا الاستسلام لقدرها وافلات قبضتها. لكنها أبت أن تجرها المياه مسافة أبعد. وأدركت فجأة وبوضوح أنها لن تستسلم، فعزمت على الثبات. وأحكمت قبضتها على الوصلة، على رغم الوجع. وكانت قطع النفايات تضربها بعنف. وعلقت بشعرها اوراق وعيدان طافية، وشعرت بآلام في ساعديها وقدميها بفعل الصدمات القوية التي تعرضت لها. ومرت الساعات طويلة، فثقلت عيناها، لكنها كافحت رافضة الاستسلام للنعاس. وأحسّت في أعماقها قبساً من الايمان استمدّته من محبة والدتها، ووجدت فيه قوة للثبات والكفاح. وفكرت: "ستجدني أمي. أنا أكيدة من ذلك. ستخبرها كريستال أين أنا، وستجدني."

وتخيلت أنها في منزل كثير الغرف، وأن حوض الاستحمام فاض وهذا كل ما في الأمر. فلا داعي الى القلق. وهدأ هذا التصور من روعها.

عند شقّ الفجر توجهت كارين وأختها أبريل الى الرافد وجالتا وسط الحطام الذي خلفه الفيضان وهما تناديان: "لاتريشيا." ومرّت ساعتان عادتا بعدهما الى المنزل منهكتين يغطيهما الوحل. وانطلق صديق العائلة هوزيه غونزاليس وابن شقيق كارين دوفنسنت فيلبس الى الرافد لكي يتابعا البحث.

قرابة السابعة والنصف صباحا شاهد فيلبس رجلين مكبين على درس خرائط ملقاة على غطاء محرك شاحنة. فقدر أنهما هما أيضا يبحثان عن لاتريشيا.

والحقيقة أن الرجلين، تيم غبريش وباردوميانو غارسيا، جاءا بتفويض من شركتهما للتثبت من أن مستويات المياه في المدينة متدنية الى حد يسمح بتنفيذ أشغال المجاري الصحية.

واستجابة لالحاح فيلبس ركب الثلاثة الشاحنة وتوجهوا الى حيث اختفت لاتريشيا. رفع غبريش غطاء النفق ونزل، وفي يده مشعل كهربائي، الى أقرب نقطة من حوض المجمّع. وفكر في نفسه: "خير لي الا أجد شيئاً من أن أجد جثة هامدة."

"أهذه أنت يا صغيرة؟" دهش غبريش لدى اكتشافه أن منسوب المياه في أنبوب الفيضان هبط الى أقل من ٣٠



لاتريشيا بعد انقاذها.

سنتيمترا خلال الليل. فسدّد مشعله الى القعر فوجده مغطى بقطع الـزجاج والمعدن والاسمنت. ففكّر: "يستحيل أن يسقط أحد في هذه البؤرة المهلكة ويخرج منها سالماً."

واذ حوَّل الضوء الى يمينه خيل اليه أنه لمح شيئا يتحرك في قعر النفق. فصاح غير مصدق: "أهذه أنت يا صغيرة؟" فلم يأته الا صدى صوته. وأنعم النظر، فبان له شكل صغير متكوم على بعد تسعة أمتار في الانبوب.

صاح ثانية: "يا صغيرة!" فأتاه الرد هذه المرة واضحا: "من أنت؟ أريد أمي."

صعق غبريش وأراد أن يندفع نحو الفتاة. لكن الانبوب كان أضيق من أن يتسع لجسمه. فصاح: "أيمكنك أن تأتي الي؟ سآخذك الى أمك."

كانت لاتريشيا خائفة. لكنها استجابت لالحاح غبريش وتشجيعه وبدأت تتقدم ببطء نحوه.

ووصلت لاتريشيا الى غبريش، فرفعها اليه وكانت ترتجف بفعل البرد والصدمة والخوف. فضمها اليه برهة ثم رفعها من وركيها الى رفيقه.

نقلت لاتريشيا الى المستشفى حيث تبين أن اصاباتها غير خطرة: ارتجاج في الدماغ وضربة على رسغ القدم وكدمة متورمة في الجبين. وقال الدكتور جورج رودريغز: "ثمة عين ساهرة كانت تحرس هذه الفتاة."

ولازمت لاتريشيا المستشفى ليلة واحدة للمراقبة، وغادرته صباح اليوم التالي.

وفي دائرة الاطفاء، ما أن عرف كرينيك وفريقه أن الفتاة وجدت حية حتى تحول جو الكآبة والاحباط الى تهلل وفرح. وقال جون كاريسون وهو مسعف في دائرة الاطفاء أخذ لاتريشيا الى المستشفى: "لم أر في حياتي رجال اطفاء متجهمين مثلهم حين عادوا أمس وقد اخفقوا في العثور على الفتاة."

وترغب لاتريشيا في نسيان ما حدث لها. لكنها فخورة بطريقة تصرفها، وتعترف بتواضع وحياء: "أعتقد أنني كنت شجاعة."

وتقول أمها: "لم تكن لاتريشيا مناضلة من قبل. لكنني أقول لها اذا كان في إمكانها البقاء طوال الليل تغالب النعاس والخوف والألم واليأس داخل أنفاق المجاري، فانها قادرة على تحقيق أي شيء تعقد العزم عليه."

بير أولا وإميلي دولير ■

ضغط الدّم



ارتفاعه يُمرض القلب واعتداله يُطيل العُمر

أدت الابحاث الحديثة الى تحسن ملحوظ في طرق معالجة ارتفاع ضغط الدم، وبالتالي في مكافحة النوبات القلبية والسكتات الدماغية (الفالج). لكن الاعتقادات الخاطئة المتعلقة بارتفاع ضغط الدم وعلاقته بأمراض القلب لا تزال سائدة. وفي المقتطفات التالية من كتاب "اخفض ضغط دمك وعش عمراً اطول" يدحض طبيب قلب شهير خبير بعلّة ارتفاع ضغط الدم هذه الخرافات ويسدي نصائح للمحافظة على قلب سليم.

معالجة ارتفاع ضغط الدم هي غالباً أسوأ من المرض ذاته.

هذه هي احدى الخرافات الاشد أذى. نحن لا نعرف سبب ارتفاع ضغط الدم ولا السبيل الى الشفاء منه في معظم الحالات، ولكن في امكاننا معالجة غالبية المرضى ببساطة ومن دون انزعاج أو تكاليف باهظة. واليوم تكفي الادوية الشديدة الفاعلية لضبط ارتفاع ضغط الدم مع حد أدنى من الاعراض الجانبية.

لا حاجة الى معالجة ارتفاع ضغط الدم "الخفيف."

قبل ست سنوات قصدني رجل في عيادتي. كان عمره ٤٧ عاماً وضغط دمه ٩٥/١٤٥ وهو معدل غير مرتفع لكنه في

نطاق تتعين معالجته. وكان الرجل اطّلع على مقالات تشير الى أن لا حاجة الى معالجة ارتفاع ضغط الدم الخفيف ما دام المرء يشعر أنه في حال جيدة. وهو أصر على الابتعاد عن الادوية "السامّة." وخلافاً لتوصيتي، رفض تناول اي دواء.

بعد خمس سنوات ارتفع ضغط صاحبنا الى ١٠٥/١٥٥. ولم يكن هذا المعدل بعد مرتفعاً الى حد الخطر، ولكن كان هناك دليل على تلف في الكليتين وتضخم في القلب. ولحسن الحظ وافق الرجل على تناول أدوية. وبعد تناوله جرعات من دواء مدرّ للبول ومن مُحصر "بيتا"* لمدة ستة أشهر انخفض ضغط دمه وعادت كليتاه الى العمل طبيعياً.

الرسالة بسيطة: أي ارتفاع في ضغط الدم، مهما يكن خفيفاً، تنبغي معالجته. بعض الناس يحتاجون الى خفض وزنهم والتخفيف من تناول الملح وزيادة التمارين الرياضية، ويحتاج آخرون الى تناول أدوية تراوح بين حبة في اليوم للارتفاع الخفيف في ضغط الدم و٢٠ حبة في الحالات القصوى. ويعتبر ضغط الدم ١٢٠/٨٠ مثاليا للبالغين، وهو طبيعي حتى ١٤٠/٩٠. ويندرج ٧٠ في المئة من المرضى في نطاق المعدل الخفيف (١٤٠/٩٠ الى ١٦٠/١٠٤) ومعظم الآخرين في النطاق المعتدل (١٦٠/١٠٥ الى ١٨٠/١١٥). اما حالات ارتفاع الضغط الحاد (اكثر من ٢٢٠/١١٥) فنادرة لتيسُّر معالجة الحالات الخفيفة والمعتدلة بفاعلية.

«الناس المتوترون والقلقون وحدهم يصابون بارتفاع ضغط الدم.

يعزى ارتفاع ضغط الدم الى ارتفاع الضغط في الشرايين وليس الى شخصية الفرد. فكثيرون من الناس الهادئين الودعاء يعانون ارتفاعا في ضغط الدم، وكثيرون من المتوترين والقلقين يتمتعون بضغط طبيعي. لكن التوتر والقلق قد يسببان ارتفاعا موقتا في ضغط الدم. وتبين دراسات على الحيوان أن الارهاق المطوَّل قد يساهم في ارتفاع ضغط الدم.

يحتاج المتقدمون في السن الى ضغط دم أعلى لامداد الدماغ والاعضاء الحيوية بدم كاف.

أظهرت دراسات عدة أن المسنين الذين يتمتعون بضغط دم طبيعي يعمِّرون أطول ويصابون بسكتات دماغية ونوبات قلبية أقل من ذوي الضغوط المرتفعة وإن قليلا. ولا دليل على أن ارتفاع ضغط الدم يحسِّن وظيفة الدماغ لدى المسنين. والواقع أن له تأثيراً مضاداً أحياناً، اذ يزيد احتمالات الاصابة بالسكتات.

ارتفاع ضغط الدم هو أكثر شيوعاً لدى المسنين.

قد لا يتسنى تشخيص ارتفاع الضغط قبل بلوغ الخامسة والخمسين أو أكثر، لكن الدراسات تشير الى أن معظم الاصابات يحدث ما بين الخامسة والثلاثين والخامسة والاربعين.

(*) Diuretic and beta blocker

يقتضي تشخيص ارتفاع ضغط الدم اجراء فحوص عدة تشمل مراقبة ضغط الدم خلال المشي والحركة، وفحوص الاجهاد، والتخطيط الصوتي للقلب.

ليس أي من هذه الاجراءات ضروريا في غالبية الحالات. ويمكن اجراء تشخيص صحيح من خلال بعض فحوص الدم العادية وفحص البول وقياس ضغط الدم لفترة معينة. وقد يقع المرضى ضحايا نوع من المبالغة في الاهتمام الطبي فيخضعون لفحوص أكثر مما يلزم.

برامج الحمية المخصصة لذوي ضغط الدم المرتفع صارمة جداً.

خفض الوزن هو أهم وسيلة لا تعتمد الدواء لخفض ارتفاع ضغط الدم. ولكن ليس من الضروري اتباع حمية صارمة جداً.

قصدتني سيدة كانت تعاني ارتفاعاً خفيفاً في ضغط الدم. وكان وزنها زائداً ١٨ كيلوغراماً على المعدل الطبيعي. وقبل سنة كان طبيب العائلة أعطاها لائحة بأطعمة الحمية وبالأطعمة المالحة التي يجب أن تتحاشاها. لكن الطبخ والضيافة كانا سلوى السيدة. وهي حاولت الاكتفاء بمراقبة أفراد عائلتها وهم يلتهمون المعجنات واللحوم والحلوى الشهية فيما هي تقضم بتأن الخضر المسلوقة ولحم الدجاج الابيض. ونغّصها ذلك على الدوام، وما لبثت أن استسلمت للاغراء وتخلّت عن الحمية.

واذ كان واجبي خفض ضغط دم السيدة، طلبتُ من اختصاصي بالتغذية قائمة تتضمن أطباقها المفضلة التي تحتوي على قليل من الملح والدهن. وشجعتها على المشي السريع نصف ساعة كل يوم.

لم تمض ثلاثة أشهر حتى نقص وزن مريضتي خمسة كيلوغرامات ونصف كيلوغرام، وانخفض ضغط دمها. وبعد سنة عاد ضغطها الى مستواه الطبيعي ونقص وزنها أكثر من ١٣،٥ كيلوغراماً. وقد تحتاج الى أدوية في المستقبل، لكنها الآن في حال صحية جيدة من دون أدوية.

ولكن ليس في الامكان معالجة كل مريض بمثل هذا النجاح. غير أن معظم ذوي ضغط الدم المرتفع يستطيعون مباشرة اكل نصف حصصهم العادية من الاطعمة الدهنية وزيادة أكل الفاكهة والخضر وغيرها من الاطعمة ذات الطاقة الحرارية المتدنية.

أما في شأن الملح، فالقاعدة المفيدة لذوي الضغط المرتفع هي أن يتناولوا نصف الكمية العادية. فمعظمنا يستهلك عادة ملء ملعقتين صغيرتين من الملح يومياً. فاذا خفضنا الكمية الى ملعقة واحدة فذلك يساعد على خفض ضغط الدم. وفي بعض الاحيان، ما علينا الا أن نرتدع عن اضافة الملح الى الطعام أثناء الطبخ وعلى المائدة.

نستطيع تفادي النوبات القلبية وإطالة عمرنا بالرياضة القاسية فقط.

الرياضة المنتظمة تساعد القلب على

العمل بفاعلية أكثر. وهناك دليل على أن التمارين الحيهوائية (ايروبيك) تساعد على خفض أمراض القلب ولا تسبب ضغطاً واجهاداً للظهر والوركين والركبتين كما يحصل في الهرولة.

الرياضة المعتدلة، المترافقة مع حمية قليلة الملح تتضمن طاقة حرارية مخفضة، هي خطوة مهمة أولى في معالجة ارتفاع ضغط الدم الخفيف والمعتدل. وقد دلت الدراسات على أن هذه الخطوة قد تخفض ضغط الدم الى مستويات طبيعية لدى ٢٥ في المئة من المرضى. فالمشي النشيط ٢٠ أو ٣٠ دقيقة، ثلاث مرات أو أربع في الاسبوع، تمرين مثالي يمكن كل واحد منا اعتماده.

المدخنون منذ مدة طويلة سببوا لقلوبهم ضرراً لا سبيل الى اصلاحه. لذا فالتوقف عن التدخين لن ينفع كثيراً.

الى الاضرار الكثيرة التي يلحقها التدخين بالجهاز القلبي الوعائي، هناك دليل على أن كثرة التدخين تؤدي الى ارتفاع ضغط الدم. ولكن حتى إن دخنت علبتي سجائر أو ثلاثاً يومياً لمدة ٢٠ سنة ففي امكانك خفض خطر الموت فجأة بنوبة قلبية خلال سنة أو سنتين بعد الامتناع عن التدخين، قريباً من مستوى شخص لم يدخن أبداً. ومن دخّن بين ١٠ سجائر و٢٠ سيجارة يومياً طوال ١٥ سنة قد يحقق هذا الهدف في أقل من سنة.

رياضة التأمل والمعالجات الاخرى التي لا تعتمد الادوية هي فاعلة كالادوية واكثر أماناً.

ان بضع دقائق يمضيها المرء في التأمل والتفكر قد تحسن قدرته على التركيز والتغلب على الاجهاد ومواجهة مهمة صعبة بنشاط متجدد. انما في حال معظم المرضى الذين يعانون ارتفاعاً في ضغط الدم فتقنيات الاسترخاء هذه تخفض ضغط الدم موقتاً.

اذا كنت تعاني ارتفاعاً خفيفاً في ضغط الدم (ضمن نطاق ٩٠ – ٩٥ / ١٤٠ – ١٥٥) فلا خطر كبيراً في تجربة هذه الطرق لبضعة أشهر بدلا من الادوية. أما الذين يعانون ارتفاعاً حاداً في ضغط الدم أو تلفاً في الاعضاء ناجماً عن ارتفاع ضغط الدم، فلا يجوز أن يعتبروا هذه الطرق بديلا من المعالجة التقليدية.

لقد ولّت أيام كان المرضى يتركون لاطبائهم مسؤولية العناية الطبية الكاملة. فالمرضى في أيامنا لا يطلبون فقط أن يكون لهم رأي في الرعاية الصحية التي يتلقونها، بل يدركون أنهم يتحملون بعض المسؤولية حيال طرق معالجتهم. وهذا ينطبق خصوصاً على داء مثل ارتفاع ضغط الدم الذي يقتضي دراية وارادة جادة لضمان حياة طويلة ومثمرة.

د. مارفن موسر ■

الكاتب أستاذ في الطب السريري بجامعة ييل ومستشار طبي لـ"برنامج التوعية الوطنية حول ضغط الدم المرتفع" الذي يرعاه "المعهد الامريكي للقلب والرئتين والدم."

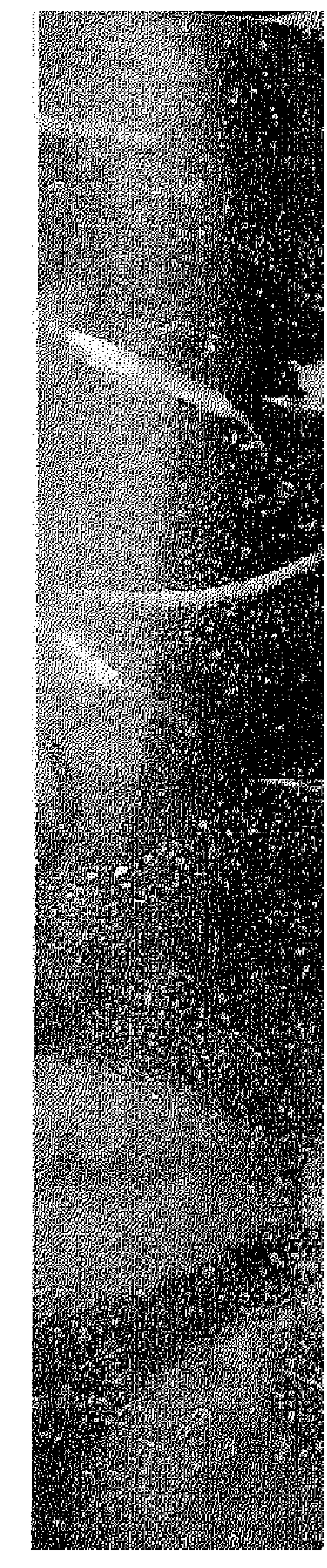


ذات صباح سأل متزلج المصور الفوتوغرافي الأرجنتيني إدواردو فس عما يفعل بآلة تصوير مثبتة على سناد ثلاثي القوائم وموجهة الى الأرض. فسأله فس أن ينظر عبر العدسة. وعندما فعل الرجل دهش وقال: "لقد أمضيت عشرين سنة أتزلج هنا، ولم أنظر يوماً الى الجليد." ثم مضى وهو يركع بين فينة وأخرى لينظر الى ما فاتته رؤياه لزمن طويل.

يعرض لنا فس عالماً نطأه عادة بأقدامنا. فيصبح الجليد شاشة لعدسته، وأوراق الشجر لوحات تجريدية.

وهنا يدعونا الى تأمل رموز الخريف الملونة محتجزة في الحبيبات البلورية رافضة الاستسلام لقبضة الصقيع.

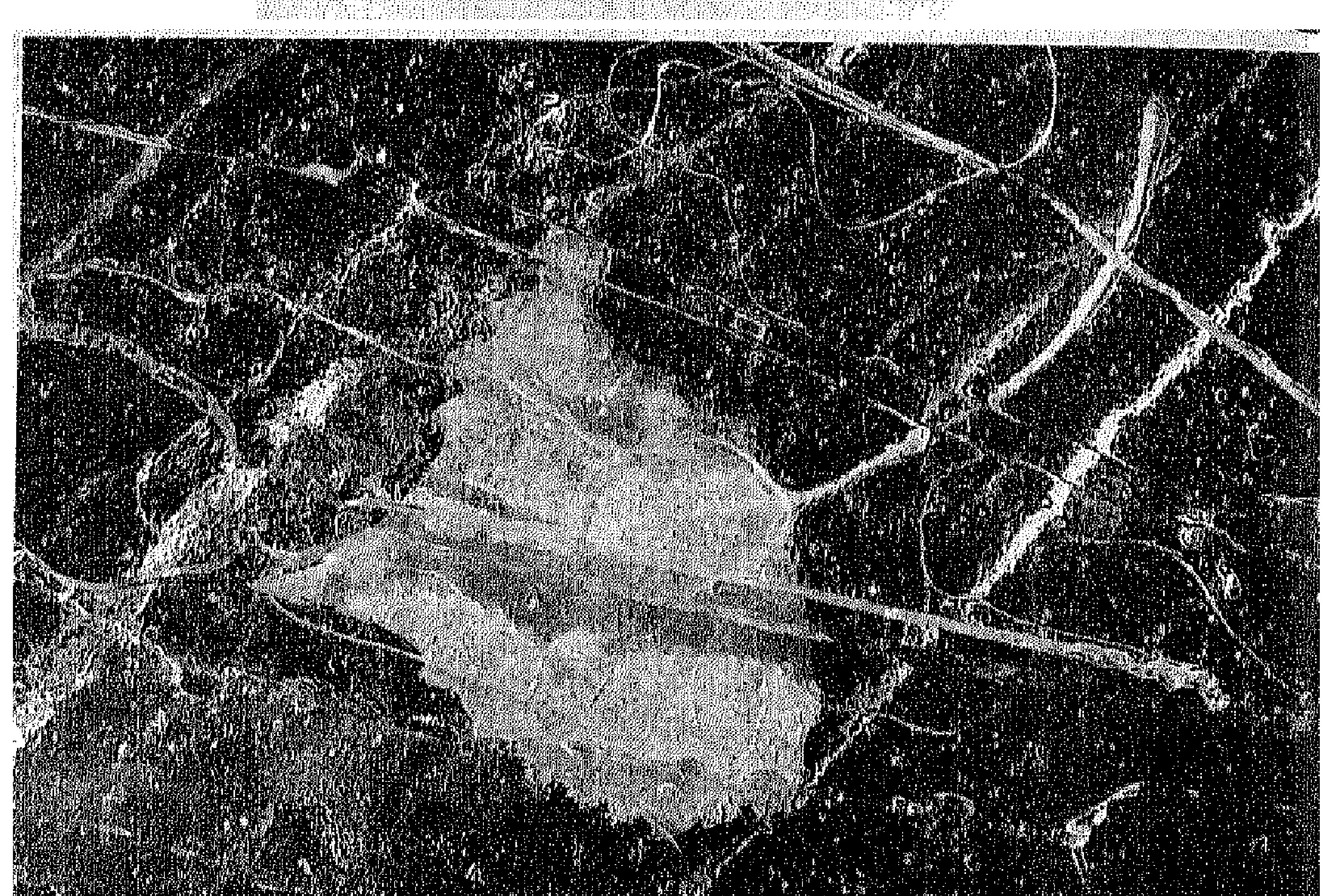
دوتشيو كانستريني وأدريانو سانسا ■





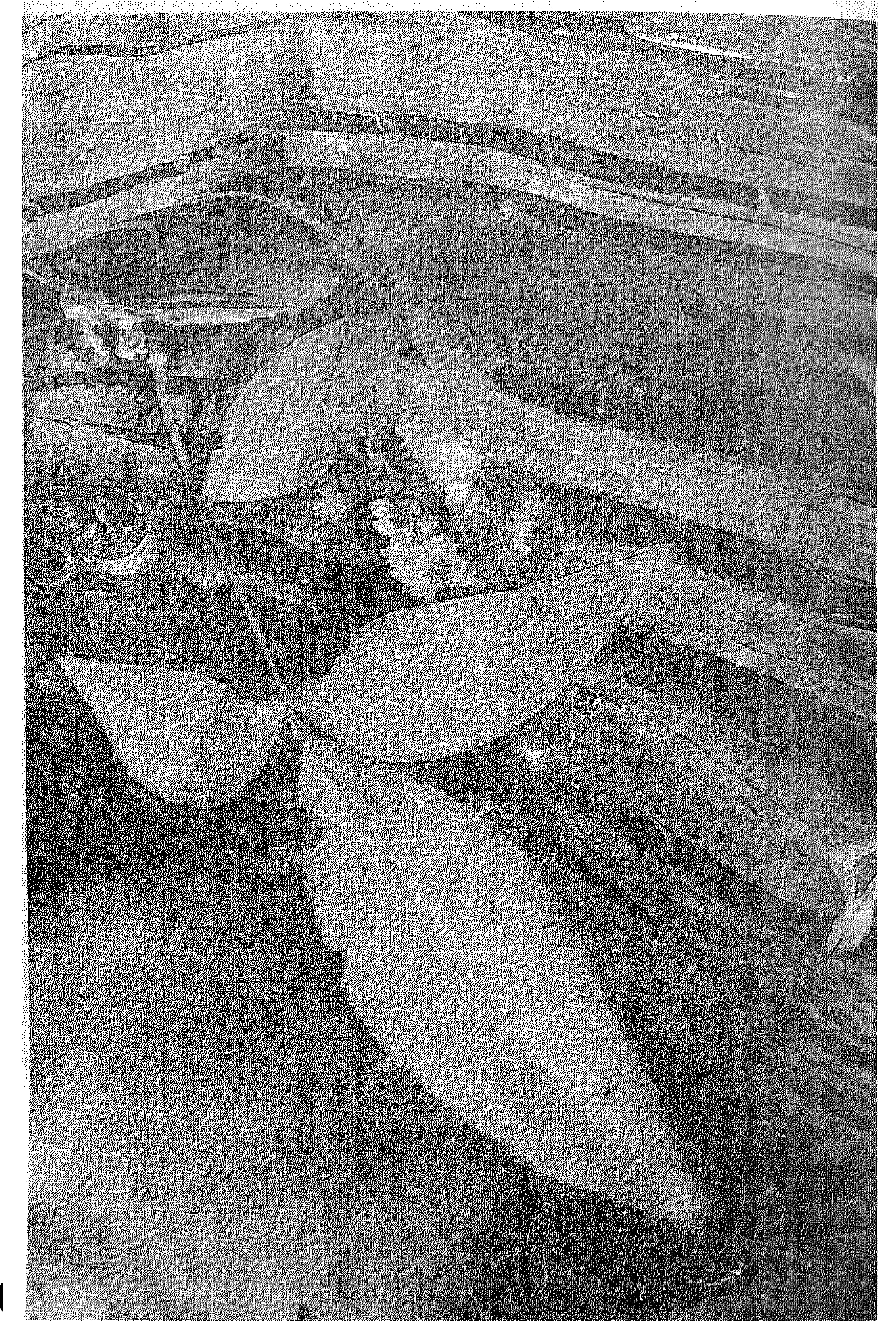
(الى اليمين) بيضوية واهليجية ورمحية. لم تعد هذه مجرد أوراق، بل هي اشكال صُوِّرت في صباحات شتائية باكرة قبل أن تفتت اشعة الشمس الألواح الجليدية.

(الى اليسار) "النسْغ جمّده الصقيع والأوراق الشبقة رحلت. التحف الجمال الثلج، والعري في كل مكان..." كلمات من "سونيتة" لشكسبير كأنها كتبت لوصف هاتين الصورتين.

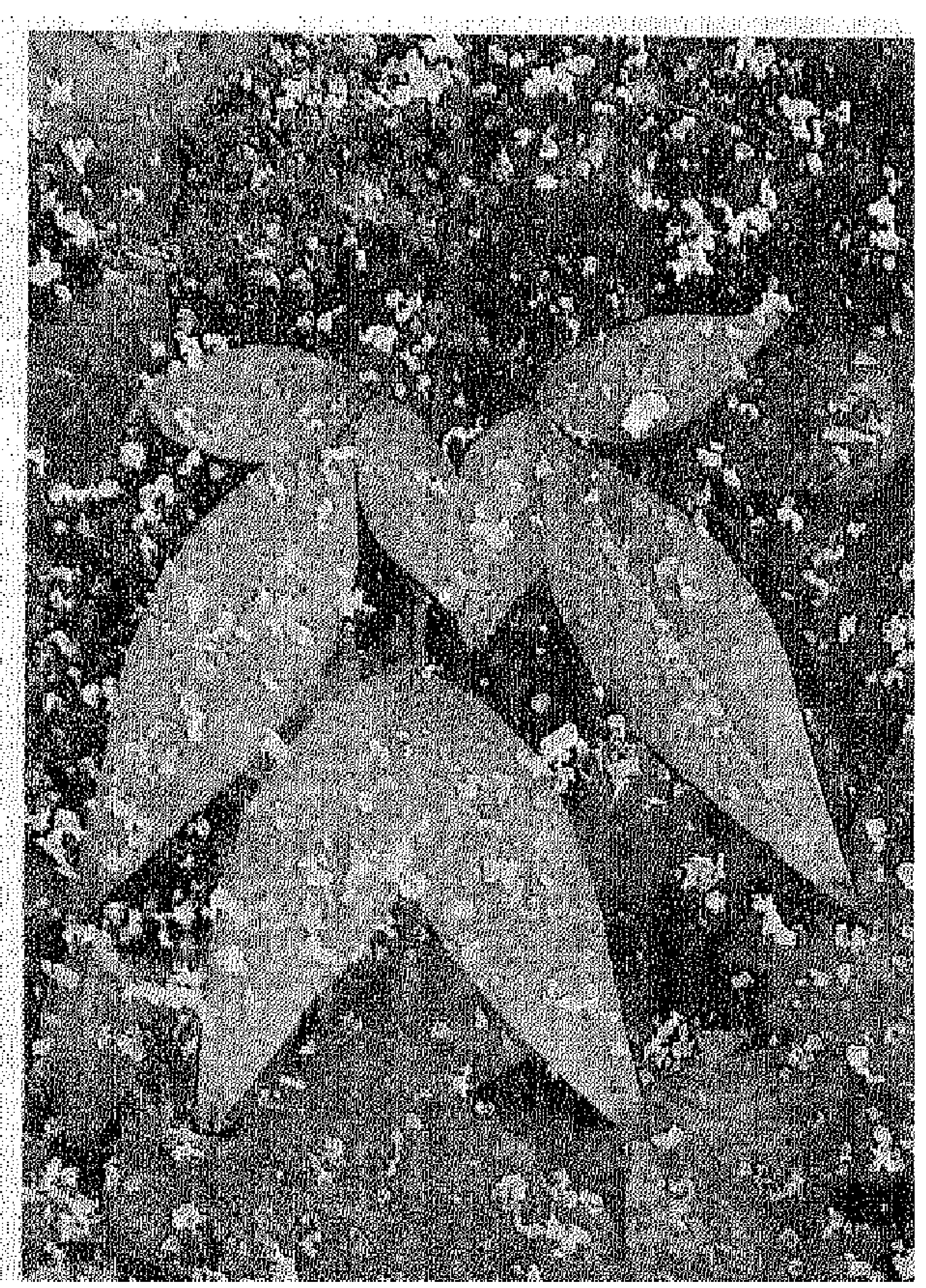


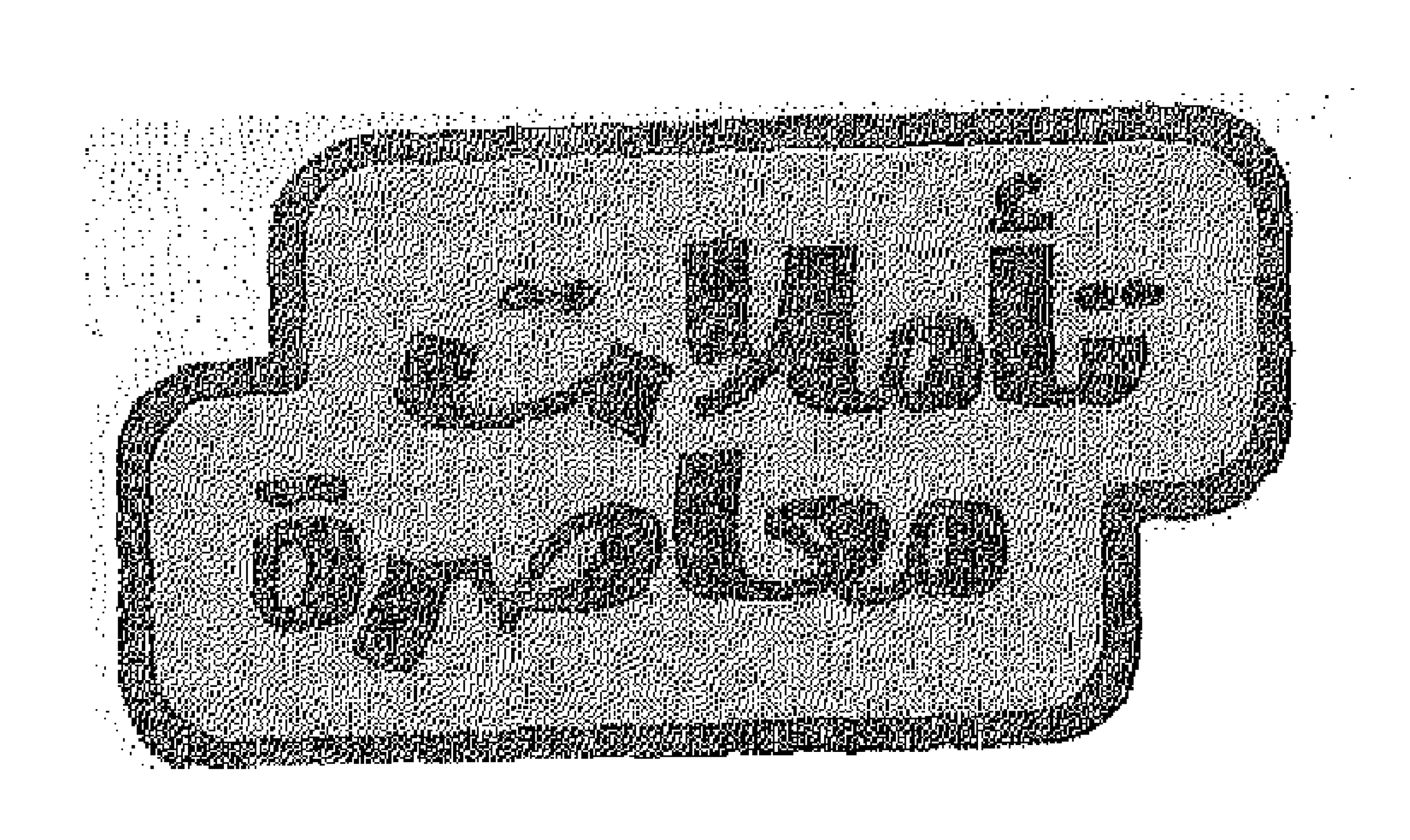


نار في الجليد. تحت ثلاثة مليمترات من المياه المتجمدة تتقد نار عبر الشتاء... اوراق خيزران قزمة تحفظ دفء شمس الخريف ولونها. هل فكرتم يوماً في أن اوراق الخريف تلامسكم وهي تسقط؟ الشاعر الأمريكي روبرت فروست فكر في ذلك وقال: "كي تستقر في مثواها الأخير عليها أن تمر بي."



"عوالم ضمن عوالم"، وصف يطلقه المصور على المشاهد حيث تتالف مجموعات من الاشكال والتصاميم والألوان. فقاقيع محتجزة وأوراق ملونة تحت السطح، هي أشياء عادية من الطبيعة ضربها التحول. وأنمطة في الجليد ذاته تبدو كمجرة حنَّطتها تكة آلة تصوير.





فلسفة الحصان الطائر

■ حكم على رجل بالاعدام. لكنه أقنع الحاكم بوقف تنفيذ الحكم، شرط أن يعلّم حصانه الطيران خلال سنة يُعدم في نهايتها اذا أخفق.
وأخبر الرجل خاصّته: "خلال سنة قد يموت الحاكم وقد أموت أنا وقد يموت الحصان. ومن يدري؟ فقد يتعلّم الحصان الطيران."
وفلسفتي شبيهة بفلسفة ذلك الرجل. فأنا آخذ بالنظرة البعيدة المدى والطويلة الاجل.

برنارد باروك، سياسي وخبير مالي أمريكي

السؤال الفصل

■ هناك اختبار فاصل يعتمده الطيارون في الرحلات التجريبية لتقويم المصاعب الطارئة. فعندما تطرأ مشكلة خلال الطيران يَسألون: "أما زالت هذه المركبة تطير؟" فإذا كان الرد ايجاباً فمعنى ذلك أن لا خطر مباشراً ولا حاجة الى ردود فعل متسرّعة.
عندما أقلعت "ابولو ١٢" نحو القمر ضربها البرق، فتوهجت لوحة المفاتيح بأضواء الانذار البرتقالية والحمراء. وكان رواد الفضاء على وشك الوقوع في تجربة رد الفعل المتسرّع، لكنهم سألوا أنفسهم: "أما زالت هذه المركبة تطير في الاتجاه الصحيح؟" وكان الجواب: نعم، انها تتجه نحو القمر. فتركوا الأضواء تتوهج وعالجوا المشاكل كلا على حدة، ثم راقبوا الاضواء البرتقالية والحمراء تنطفىء واحداً تلو الآخر.
وإن في ذلك عبرة للأوضاع الضاغطة. فإذا كنتم ما زلتم تسيرون في الاتجاه الصحيح، فكّروا أولا ثم تصرّفوا.

الن بين، رائد في برنامج "ابولو"

المنديل ومحرمة الورق

■ تشير الدلائل الى أن المنديل سقط ضحية محارم الورق الواسعة الاستعمال. لكن عمل المنديل لا يقتصر على تنظيف الأنف، فهل يمكن استعمال محارم الورق في الاحوال الطارئة كمرقأة ضاغطة لوقف النزف؟ وهل خفّفت محارم الورق يوماً عن كفّك ضغط قبضة حقيبة سفر ثقيلة، أو ساعدتك في فتح قارورة ابتل غطاؤها؟ لعلّ أكثر المشاهد شاعرية في أفلام إرول فلين وجون وين هو مشهد تلويح الجنود بمنديل لاعلان هدنة. حتى قصص الحب تغيّرت مع التخلي عن المنديل. ففي عصر الفرص المتكافئة هذا، لم تعد الشابة الجميلة في حاجة الى اسقاط منديلها كإشارة ايجاب. فربّما حلت بطاقة العمل مكان المنديل.

روبرت اوتربور

لذة التشجيع

■ تملّقني وأشبِعْني إطراء، قد لا أصدقك. أنتقدني، قد لا أحبك. تجاهلني، قد لا أغفر لك. ولكن شجعني، فلا أنساك أبداً

وليم آرثر ورد

١٠ توصيات لإنقاذ بلدكم من أخطار التلوّث

التلوث آفة العصر، وكثير منه ناجم عن أعمال نأتيها ولا ندرك مدى خطورتها. هنا توصيات لكل فرد كي يساهم في إنقاذ محيط بلده

قال رجل حكيم: "ليس من خطأ يفوق خطأ منْ لا يفعل شيئاً لأن ما يستطيعه قليل." إنه لمن السهل أن نقف مشدوهين مشلولين ازاء ما يطالعنا من أخبار عن مشاكل البيئة، في حين يستطيع كل منا أخذ مبادرات يومية بسيطة تجعل العالم مكاناً أفضل للعيش لنا وللأجيال القادمة.

تطالعنا التسعينات بمفهوم جديد مفاده أن الحكومات والشركات والمصانع لن تستطيع استدراك التلوث الناجم عن أفعال ملايين البشر. ولكن علينا أن نتذكر أننا ما دمنا نحن سبب المشكلة فنحن أيضاً بداية الحل.

فالحفاظ على البيئة أمر مستطاع إن اتبعنا اجراءات بسيطة وغير مكلفة لا تتطلب إلا تغييراً طفيفاً في نمط حياتنا

وهنا عشر طرق تتيح لنا المساهمة في إنقاذ المحيط الذي نعيش فيه.

١ **إفحصوا منازلكم**. اذا كان جهاز التدفئة في منزلكم غير فاعل فانكم تهدرون من طاقته مقداراً يصل الى ٥٠ في المئة. ومن شأن ضبط بسيط لبيت النار أن يزيد فاعليته بمقدار ٥ في المئة.

ثاني أكثر الأدوات المنزلية استعمالا هو مرجل الماء الذي يبقي مستعملوه حرارته ثابتة على ٦٠ درجة مئوية. فإذا خفضتم حرارته الى ٥٥ درجة (وهي كافية لقتل الجراثيم) فإنكم تخفضون استهلاك الطاقة بنسبة ٦ في المئة. أما إذا لففتم الخزان بعازل فيمكنكم توفير طاقة إضافية تراوح بين ٧ و٨ في المئة.

فالمنزل الخالي من المواد العازلة يكلف مالكه — والبيئة — ثروة حقة. فإذا كان منزلكم مزوداً مواد عازلة، تحققوا من فاعلية هذه المواد، علماً أن تغليف "العلّية" وحدها بعازل يتيح لكم توفير ٥ في المئة من كلفة التدفئة.

٢ **راقبوا أدواتكم المنزلية**. من الضروري أن يكون لهب الشعلة الدائمة في مدفأة الغاز أزرق مخروطي الشكل. فاذا كان هذا اللهب أصفر فهذا يعني أنكم تهدرون طاقة بسبب انسداد المضْرَم والمنافذ وأن ثمة لزوما لضبطها. وإذا أزمعتم على شراء مدفأة جديدة، فاعلموا أن مدافىء الغاز التي تعمل بجهاز إشعال الكتروني تستهلك كمية من الغاز أقل بنسبة ٤ في المئة من تلك التي تعمل بالشعلة الدائمة. فاختاروا دائماً النماذج الاكثر اقتصاداً للطاقة.

واذا كانت ثلاجتكم أبرد من اللزوم بخمس درجات مئوية، فإن استهلاكها للطاقة يزيد بنسبة ٢٥ في المئة. الحرارة المقترحة للبرادات هي بين ٣ و٦ درجات مئوية، وللثلاجات بين ١٨ و١٥ درجة مئوية تحت الصفر.

وتستهلك الغسالات نحو ٩٠ في المئة من طاقتها في تسخين الماء. وبدل ذلك يكفي استعمال مياه فاترة للغسل تُتبع بمياه باردة للشطف. وتستهلك الغسالة مقداراً من الماء يصل الى ٢٢٥ ليتراً. فلاقتصاد في الماء، انتظروا حتى تتجمع لديكم غسلة كاملة.

٣ **الاضاءة الصحيحة**. حافظوا على الطاقة باطفاء الانوار عندما تنتفي الحاجة اليها. واختاروا المصابيح الكهربائية متوخين الاقتصاد في الطاقة. مثلا، مصباح كهربائي بقوة ١٠٠ واط يوفر إضاءة تقارب ما يوفره مصباح بقوة ٦٠ واط فيما يستهلك طاقة أقل. (تذكّروا ان المصابيح المتوهجة هي أقل اقتصاداً للطاقة من المصابيح العادية.) ومن الأنسب استعمال المصابيح الفلورية (فلوريسان) لأنها تضيء كمصباح عادي وتقتصد كثيراً من الطاقة. صحيح أنها أغلى ثمناً، لكنها، في المدى البعيد، أكثر اقتصاداً لأنها تستهلك مقداراً أقل من

الكهرباء. كما أن إبدال المصابيح المتوهجة بمصابيح فلورية يحول دون اطلاق نصف طن من غاز ثاني أوكسيد الكربون خلال عمر المصباح.

٤ لا تهدروا الماء. هل تتركون الماء يتدفق وأنتم تنظفون أسنانكم أو تحلقون ذقونكم أو تغسلون الأطباق؟ إن كنتم تفعلون ذلك فإنكم تستهلكون من الماء مقادير قد تصل الى ٥٠ ليتراً وأنتم تنظفون أسنانكم و٧٥ ليتراً وأنتم تحلقون ذقونكم و١١٠ ليترات وأنتم تغسلون الأطباق. وذلك ليس نقطة في دلو. فعلى مدار السنة يمكن المرء اقتصاد ما يزيد على ٧٥ ألف ليتر من الماء إن هو ضبط استعماله.

وفي وسعكم أيضاً أن تقتصدوا كثيراً في الماء اذا أضفتم بضع أدوات رخيصة الى منازلكم. من هذه الأدوات مرشّة الحمام (الدوش) والحنفية (الصنبور) الخفيفتا الجريان اللتان تخفضان استهلاك الماء بمقدار ألف ليتر في الشهر لعائلة من أربعة أشخاص.

واذا وضعتم في خزان المرحاض (السيفون) مقداراً من الماء يوازي محتوى قنينة بلاستيك فانكم تقتصدون في كل استعمال ما بين أربعة ليترات وثمانية.

وعليكم أيضاً ضبط تسرب الماء. ذلك بأن تقطير حنفية واحدة قد يبدد أكثر من ٢٠٠ ليتر يوميا. كما يبدد مرحاض راشح نحو ١٧٠ ألف ليتر كل ستة أشهر.

ولا تنسوا استهلاك الماء خارج المنزل. فغسل السيارة بواسطة خرطوم متدفق يستهلك نحو ٥٥٠ ليتراً من الماء، فيما يستهلك غسلها بالاسفنجة والدلو ١٥ ليتراً فقط.

٥ احذروا النفايات السامة. كثيرون منا لا يدركون أن الفضلات المنزلية والمواد المستهلكة في المرآب هي نفايات خطرة. من هذه المواد الدهانات والسوائل المرققة ومنظفات المواقد والمراحيض وبطاريات السيارات وزيوت الكوابح وزيوت أجهزة نقل الحركة (الترانسميسيون) ومضادات التجمد (أنتيفريز) والمبيدات. وقد تُرمى هذه المواد السامة بحسن نية في مصارف المياه. فتأتي النتيجة تلوث ماء خطيراً.

٦ تكرير النفايات. يحرر تكرير النفايات الأرض من الفضلات المتراكمة. كما أن صنع منتجات جديدة من هذه النفايات يستهلك طاقة أقل من تصنيع مواد جديدة. ولا يتطلب وقتاً طويلا تخصيص صندوق قمامة لكل نوع من النفايات.

٧ اقتصدوا في الوقود تنقذوا الغابات. تنفث السيارات نحو كيلوغرامين ونصف كيلوغرام من غاز أوكسيد الكربون باستهلاك كل ليتر من

الوقود. والمعروف عن ثاني أوكسيد الكربون أنه العنصر الأساسي في "مفعول الدفيئة" أي احتباس الحرارة في الجو كما يحدث داخل البيوت البلاستيكية والزجاجية. لذا فالسيارة التي تجتاز ١١ كيلومتراً بليتر الوقود تبعث ١٠٠٠ كيلوغرام من ثاني أوكسيد الكربون كل ٤٤٠٠ كيلومتر. وتنفث السيارات أوكسيد النيتروجين مساهمة في إحداث المطر الحمضي، كما تنفث مركّبات الهيدروكربون التي تقضي على الاشجار وتتسبب في تكوين ضباب الاوزون الدخاني الذي يتلف الرئتين. ولهذه الامور علاقة مباشرة بكمية الوقود المستهلكة.

إن أسهل الطرق لجعل سياراتكم تحرق الوقود بفاعلية أفضل هي صيانتها. فنسبة استهلاك الوقود في السيارات المضبوطة هي أقل ٩ في المئة. وهذا يعني خفض ابتعاث الغازات السامة بنسبة ٩ في المئة.

وتساهم مركّبات الهيدروكربون في تكوين ضباب الأوزون الدخاني عندما تتبخر. لذلك، عندما تملأون خزان السيارة بالوقود حاولوا منع تسرب الأبخرة الملوثة الى الجو.

ونفخ الاطارات بالضغط الملائم يطيل عمرها ويحول دون استنزافها المبكر بسبب ارتفاع حرارتها وازدياد ليونتها. وتؤدي العناية بالاطارات الى اقتصاد في الوقود، لأن "تنفيس" الاطارات يهدر كمية من الوقود تصل الى ٥ في المئة بفعل ازدياد الاحتكاك الدوراني.

والمشاركة في استعمال السيارات طريقة عملية جداً في المناطق الآهلة، اذ يؤدي الى توفير ألوف الكيلومترات سنوياً على الفرد الواحد إن هو لجأ الى هذه الوسيلة مرتين يومياً مسافة ١٣ كيلومتراً.

وإن كنتم تتولون بأنفسكم تغيير زيت السيارة، فلا ترموه في أقرب مصرف. فالزيت المستهلك يتسرب الى المياه الجوفية، وقد يلوث كل ليتر منه ٢٢٠ ألف ليتر من المياه الجوفية. وسكب الزيت في المجاري (أو في الشارع حيث يتسرب حكماً الى المجاري) يماثل سكبه مباشرة في مجاري المياه أو في الأنهر. ورمي الزيت في براميل القمامة يماثل أيضاً سكبه في المجاري لأنه يصل الى مرامي النفايات حيث تتشربه التربة.

في معظم البلدان محطات وقود تستعيد الزيوت المستهلكة برسم زهيد. فمعظم الزيوت المستعادة يعالج ويباع وقوداً للسفن وللمراجل الصناعية، فيما تعالج البقية وتحوّل زيوت تزليق (تشحيم) وصناعة.

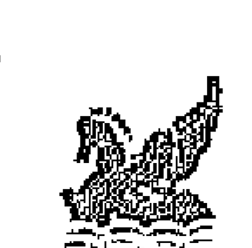
٨ لا تشتروا عاجاً. ان اصطياد الفيلة، طمعاً بعاجها، لم يبقِ سوى ٦٠٠ ألف فيل حي في افريقيا. وهي قد تنقرض بحلول السنة ٢٠٠٠. لذا لا تشتروا العاج لأي سبب أو ظرف. ولا تشتروا ظهور السلاحف وحجار المرجان وجلود الزواحف وجلود النمور وأي منتجات عائدة الى حيوانات أو نباتات مهددة بالانقراض.

٩ **ترفقوا بالشطآن**. تهلك النفايات البلاستيكية نحو مليون طائر بحري وعشرة آلاف حيوان بحري لبون وعدداً لا يحصى من الأسماك كل سنة. فاذا كنتم تقطنون على مقربة من الشاطىء، خصصوا بعض الوقت لازالة الفضلات المنتثرة هناك.

واحرصوا على قطع السدّات البلاستيكية والمعدنية عن علب المرطبات قبل رميها في القمامة. فهي خطرة على الطيور والحياة البحرية سواء تركت على الشاطىء او رُميت في البحر.

١٠ **أخيراً عمموا هذه التوصيات**. يستطيع فرد واحد أن يساهم في حماية البيئة. فاذا اقنعتم أصدقاءكم وعائلاتكم بهذا الواجب، فسوف يعمدون الى إقناع آخرين. لذا انقلوا ما تعلمتموه وراقبوه ينمو حولكم. فأنتم نقطة البداية.

حركة "أشغال الأرض" ■



الاهتمام ومعنى الحياة

يتذكر المخرج السينمائي راي ستارك أمسية في المكسيك أثناء تصوير فيلم "ليلة الاغوانا." فاذ اجتمع الممثلون والممثلات لتناول طعام العشاء سألهم ستارك: "لو كان لكم خيار واحد، فأي نمط تختارون لحياتكم؟"

أجاب ريتشارد بورتون: "المغامرة." واليزابيث تايلور: "الثروة." وآفا غاردنر: "الصحة." وديبرا كير: "السعادة." وبيتر فيرتل: "النجاح."

وكلها أفكار شائعة.

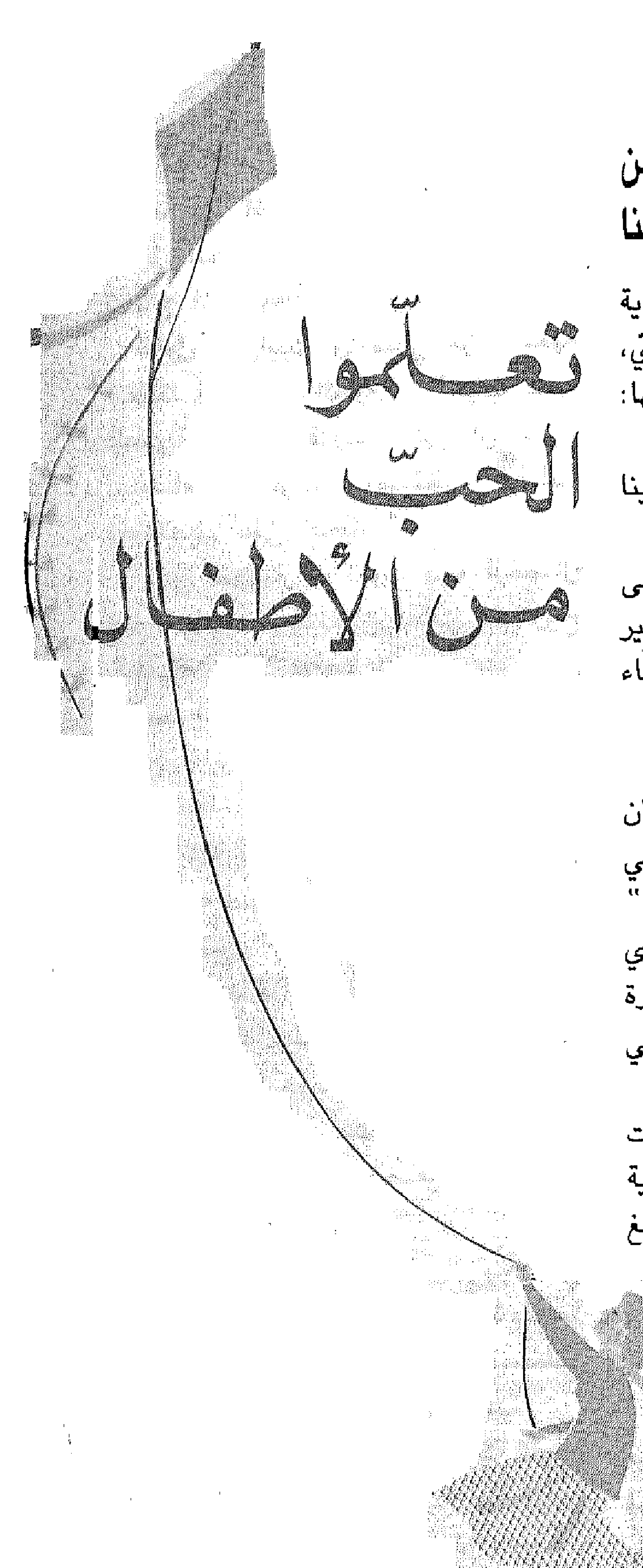
ثم ارتفع صوت جون هيوستن وقال: "أنا أختار الاهتمام."

وتبنّى ستارك خيار هيوستن شعاراً توجيهياً في حياته موضحاً "انك قد تخسر مالك. ولكن اذا كان لك اهتمام بالحياة فيمكنك أن تبقى حياً. وقد تصاب بمرض قاتل، لكن الاهتمام يعينك على الاستمرار واضفاء معنى على الحياة."

ل.غ.

خاتم الزواج

تزوجت في ١٣ يونيو (حزيران) ١٩٣٩. واهدى الي زوجي يومذاك خاتماً من الذهب دفع ثمنه خمسة دولارات. لكنني أضعت الخاتم صيف ١٩٤٨. وفي الصيف الفائت كنت انقب في الحديقة فلاحظت شيئاً يلمع في كتلة تراب. انه خاتمي! وجدته بعد ٤١ سنة وفي اليوم الذي سبق الذكرى الخمسين لزواجنا.



تعلّموا الحبّ من الأطفال

انفتاحهم على الحياة يكشف لنا نحن البالغين حقائق تحجبها عنا حذاقتنا

جاءتنا الطائرة الورقية الحمراء هدية من صديقة. فافترضتها هدية الى ولديّ، لكنني اذ تفحصت البطاقة. قرأت فيها: "الى الطفلة داخلك."

قال لي ولداي متوسلين: "دعينا نطيرها يا ماما."

نظرت الى كدسات الاوراق على طاولتي. لكن اليوم كان مثالياً لتطيير طائرات الورق، شمس وريح وسماء زرقاء صافية.

وقصدنا ملعباً في الجوار.

وقفت أراقب الولدين وهما يحاولان رفع الطائرة الى أصابع الريح. قال لي ابني: "لماذا لا تحاولين؟ إنها طائرتك."

أخذت الخيط وهرولت بحياء وولداي يشجعانني. فجأة "التقطت" الطائرة مجرى الريح وحلقت. ورافقتها ضحكتي الى الاعالي.

تلك اللحظات التي عشتها تحت الطائرة قربتني من روح الطفولة المنسية والمدفونة تحت هموم البلوغ. فما ان نبلغ

ILLUSTRATIONS: LISA HENDERLING

هذه السن حتى نقتنع بأن علينا أن نترك وراءنا كل أثر للطفولة كي نؤخذ على محمل الجد. لكننا في قناعتنا هذه إنما نخدع أنفسنا.

تقول اليزابيث وذرسبي من "معهد اتلانتا للمعالجة الفنية": "غياب حس الطفولة يفقدنا قدرتنا على أن نكون بسطاء وعفويين ومتيقظين وآملين ومنفتحين على الحياة."

ليس محتما أن تموت هذه الخصال عندما نكبر. فيمكننا أن نحافظ على روح الطفولة فينا بانفتاحنا على الدروس التي يعلمنا إياها الاطفال كل يوم:

١. إبتهجوا. مررت ذات يوم بملعب رأيت فيه صبيا على ارجوحة. تقدم منه رجل يرتدي بذلة رسمية أنيقة ووقف يراقبه. فجأة أسند الرجل حقيبته الى شجرة وفكّ ربطة عنقه وانضم الى الصبي في أرجوحة قريبة متبادلا واياه نظرات الفرح. في منتصف نهار محموم وجد رجل الاعمال واحة صغيرة من اللعب الطفولي البريء.

إن الساعات الطويلة الرتيبة في المكتب قد تفقدنا بهجة الحياة، ولا يسعنا ان نتجاهل متطلبات العمل. لكننا نستطيع تلوين يوم عملنا بقليل من اللعب.

بيتي بلاكربي مديرة في شركة تأمين علقت على جوار مكتبها لافتة جاء فيها: "تمتع بالحياة، فهي ليست عرض أزياء." تقول بيتي: "الموظفون الذين يبقون على اتصال بمباهج الحياة هم الاكثر انتاجا. فهم يتمتعون بسحر يجذب الزبائن."

بعضنا لا يستطيع التخلي عن الجدية الا في رفقة أطفال. تقول الطبيبة النفسانية جوي ميلر: "الاطفال يأذنون لنا باعتاق الطفل الذي داخلنا."

حانت عطلة نهاية الاسبوع وبقيت لدى رئيس تحرير احدى المجلات أعمال كثيرة غير منجزة. وكانت زوجته خارج المدينة، لذلك كان مسؤولا عن رعاية ابنه ذي السنوات الثلاث. صباح السبت التفت الصبي الى أبيه وقال: "هيا نلعب!"

أجاب الاب: "هيا بنا!" وتضمنت تسليات عطلة نهاية الاسبوع عراكا مائيا بخراطيم الحديقة وغداء من بيتزا ومخلّلا وحماما بهيجا أبحر خلاله أسطول صغير من المراكب البلاستيكية. وبفعل الحيوية التي أضفاها اللعب أنجز رئيس التحرير عمله في نصف الوقت المتوقع.

اللعب الطفولي يطلق دفقا من الطاقة في من أضناهم الافراط في العمل. فإدخال البهجة قلوبنا يسمح لنا بالاسترخاء والتمتع بأيامنا بدل تحمل شقائها.

٢. **تأملوا أعاجيب العالم**. كنت أشرف على بضعة أطفال تركوا في رعايتي. فجأة شدني أحدهم الى النافذة لأتأمل بطن يسروع خارج الزجاج. ألصق الاطفال أنوفهم بزجاج النافذة وتأملوا دبيب اليسروع في عجب هادىء مطلقين بين حين وآخر أصوات دهشة. واذ راقبتهم تملكني مثل الرهبة التي تملكتهم.

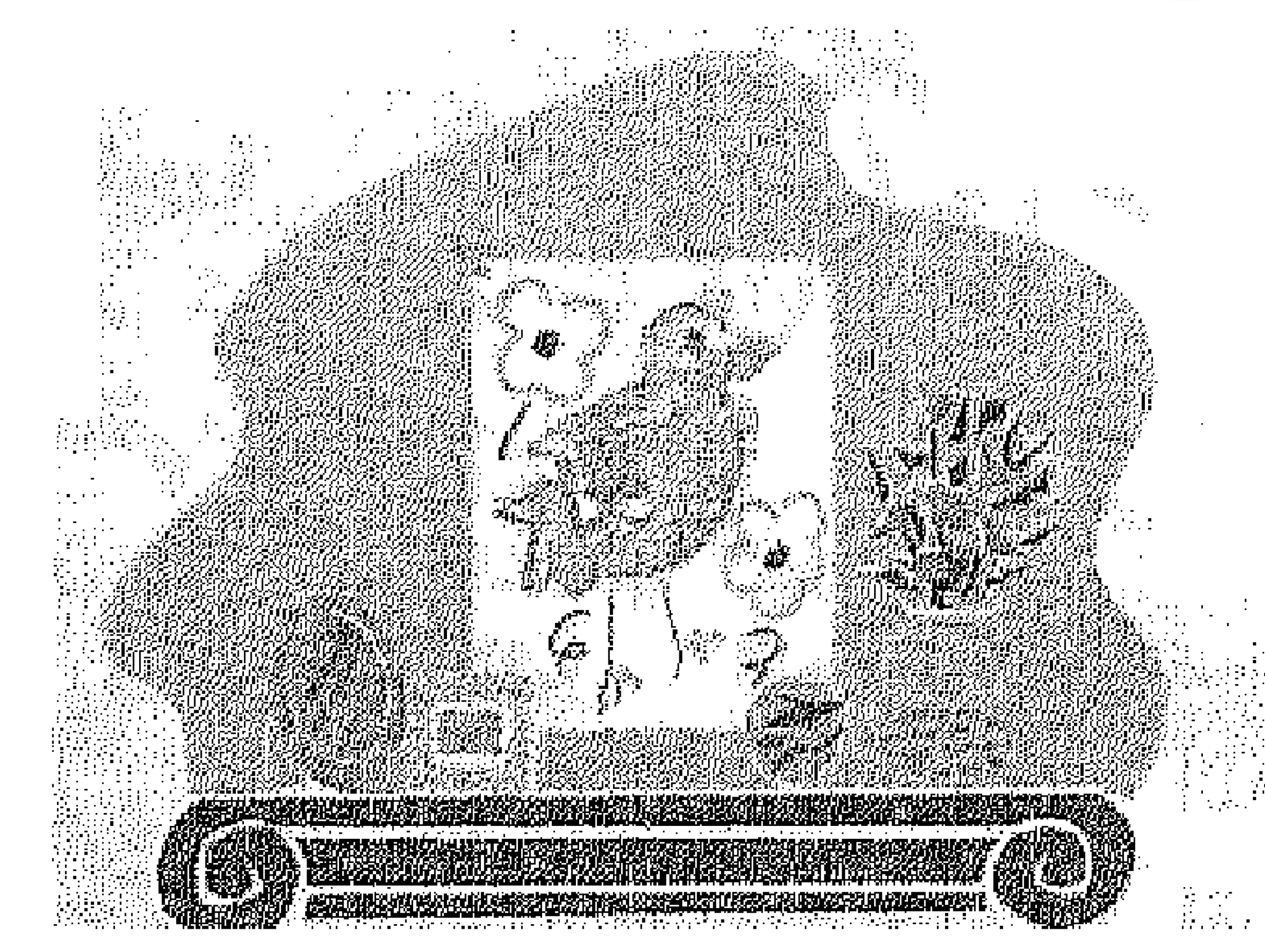
أليس منتهى التجديف أن ننظر الى صنع الخالق ونقول: "وإن يكن؟" لكن مشاغلنا المتكدسة تعطل قدرتنا على التعجب.

يرى الاطفال أموراً لا يراها معظم البالغين. وغالباً ما تقود ملاحظاتهم الى أسئلة توسع العقل وتشحذ الروح. كان الفيلسوف الاغريقي أرسطاطاليس يعلم ان الفلسفة تبدأ بالدهشة. اذاً، الاولاد هم الفلاسفة بيننا. كم ارتفاع السماء؟ لماذا تهز الكلاب أذنابها؟ كيف تعرف أوراق الشجر الوقت المحدد لتغيير ألوانها؟

واجهت جميع هذه الاسئلة المحرجة في وقت من الاوقات. فهي تشحذ تأملاتي وتجعلني - كما الاولاد - أفكر في أسئلة أكبر مني.

٣. **تجرأوا على الاخلاص لذواتكم**. عندما كان ابني في المرحلة الابتدائية أحضر الى البيت يوماً صورة عصفور أرجواني لوّنها بنفسه. وقد كتبت المعلمة في أعلى الورقة: "أعِد تلوينها. العصافير لا تكون أرجوانية."

فقال لي ابني باصرار: "لكن عصفوري أرجواني يا أمي. لقد تخيلته هكذا."



ثبتنا الصورة فوق رف المستوقد ميثاقاً لجرأة طفل خاطر برؤياه للحقيقة. وأحياناً، عندما أتردد بين المخاطرة بفرديتي والطاعة، تمدني صورة ابني بالشجاعة. وغالباً ما يُسمع أحد أفراد عائلتي قائلاً: "أعرف أن هذا عصفور أرجواني، لكنني سأطيّره في كل حال."

إن كثيراً من الابتكارات الفنية والاكتشافات العلمية ينبع من مثل هذه الجرأة الطفولية.

٤. **انفتحوا على الايمان**. أدخل زوجي المستشفى مرة واضطررت الى توضيب حقيبتي لامضي عطلة نهاية الاسبوع معه.. تملكني الشك والخوف. وكانت ابنتنا ذات السنوات الاربع تلهو بدراجتها في الحديقة، فاصطدمت بجذور شجرة السنديان هناك وعلا صراخها "ماما! ماما!" ثم أتتني رافعة ركبتها

المقشورة
الجلد كي أقبلها.
سألتني بذقن مرتجفة:
"من سيقبل جروحي في غيابك؟"

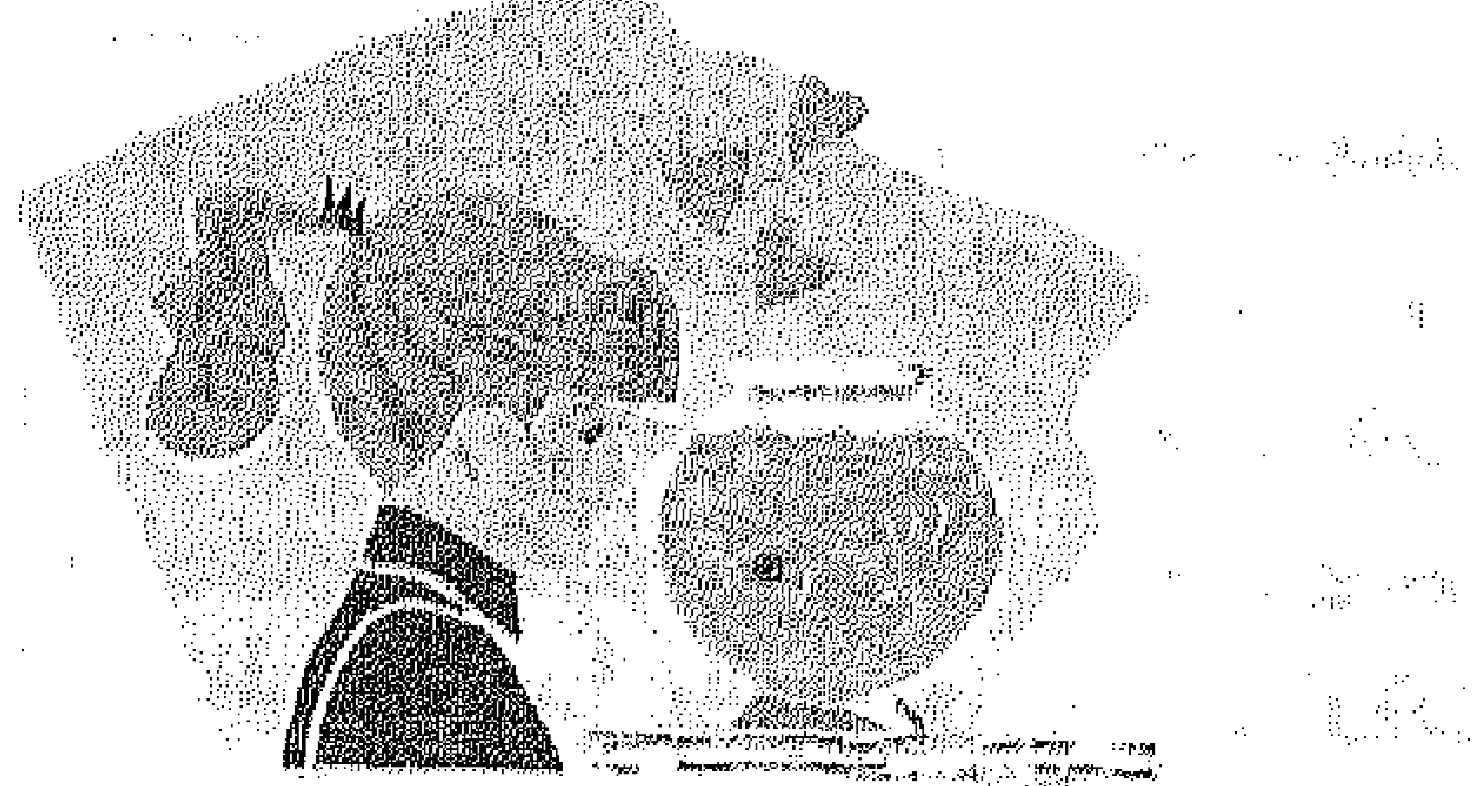
وهممت بأن أقول: "الحاضنة" عندما أجابت هي عن سؤالها: "أعرف. الله سيرعاني." ثم عادت الى دراجتها. لقد أحيا ايمانها البسيط الثابت ايماني المهتز. فذهبت الى زوجي في المستشفى بقلب أشجع.

٥. أطلقوا عنان أنفسكم وأحبوا.

ربما كان أعظم درس يعلمنا اياه الاطفال أن نبقي صلتنا بالقلب قائمة. عندما كانت ابنتي في السادسة اقتنت سمكة ذهبية اسمها "سبانكي." لم تكن تتعب من مراقبتها وهي تسبح، وكانت تناديني لأرى كيف ترسل اليها السمكة قبلات بفمها المتغضن. كانت سبانكي أول من يتلقى تحية من ابنتي بعد رجوعها من المدرسة، ولطالما سمعتها تخبر السمكة بأسرارها.

ذات يوم سألتني: "هل تنام الاسماك؟" كانت سبانكي ممددة على جنبها في قعر حوض إلسمك. بكت ابنتي بين ذراعي بمرارة تمنيت معها لو أنها لم تحب السمكة أبدا. لكنها سرعان ما مسحت عينيها بكمها وقالت: "على الاقل كانت معي بعض الوقت." رأيت في عيني ابنتي الجمال والنمو اللذين يتأتيان من الحب النابع من الصميم. وكنت تعلمت أن أحاذر الحب خوفاً من الجرح العاطفي. لكن الحب يفرح أكثر مما يؤلم الجرح. هذا ما قاله لي قلبها.

كذلك يعلمنا الاولاد الحب غير المشروط. ذات يوم أراق ابني عصير العنب على سجادة رمادية، فأطلقت سيلا من كلمات الغضب، وقلت له بعد وقت: "كان ذلك حادثاً غير مقصود. وأنا اخطأت بالصراخ عليك."



فطوقني بذراعيه قائلا: "لا بأس، يا أمي. أنا أحبك عندما تكونين لطيفة معي وعندما تكونين غاضبة."

تلك اللحظة حفرت فيَّ درسا لازمني منذ ذلك الحين.

كتب انطوان دو سانت – اكزوبري في روايته الخيالية "الامير الصغير": "لا يرى المرء الحق الا بقلبه." الاطفال مميزون في البصيرة القلبية. ونحن البالغين نحتاج الى الاطفال أحيانا لكي يكشفوا لنا أموراً تمنع عنا حذاقتنا رؤيتها. ففي انفتاحهم على الحياة يذكروننا بالامور الجوهرية.

سو مونك كيد ■



مَوهَبة القيَـادة

نادراً ما يولد المرء قائداً، فالقائد يصنع نفسه. هنا مهارات يمكننا تنميتها لقيادة الآخرين وحضهم على الاقتداء

ان الذروة في الاطراء هي ان يُنظر اليك في المجتمع كقائد. يقول العالم النفساني ديفيد كامبل من "مركز القيادة الخلّاقة" في كولورادو سبرنغز: "اصبحت القيادة فيتاميناً عالمياً، ويبدو أن الناس يطلبون جرعات ضخمة منه."

ولا عجب في ذلك اذ ان القيادة تهب القوة وتفرض الاحترام وتولد الانجازات. ولكن خلافاً للفيتامينات، مهارات القيادة غير قابلة للتجرّع بل يجب تعهّدها بعناية.

وخلافاً للاعتقاد الشائع فان معظم القادة الفاعلين لا يولدون قادة بل يصنعون أنفسهم. وهم يشحذون مهاراتهم في جميع مراحل حياتهم اليومية. ولكن أيا منها يتعهدون بعناية؟ وكيف يفعلون (وكيف يمكنكم أنتم) لكي يحملوا الآخرين على الاقتداء بهم؟

نوّهوا بالفضل دائماً. يلاحظ قادة كثيرون أن أفعل الطرق لحمل الآخرين على تحقيق انجاز حسن هي في معاملتهم كأبطال. فالتنويه بالفضل علناً لشخص

استحقه هو أفضل فنون القيادة في العالم، وهو أيضاً فعل جود لن ينتسى أبداً.

الاشادة بالفضل أكثر فاعلية حتى من الانتقاد البنّاء الذي كثيراً ما يضر بدلا من أن يساعد. ينصح كينيث بلانشارد المشارك في تأليف كتاب "مدير لدقيقة واحدة": "فاجئوا الناس وهم يقومون بعمل صائب!" ثم أخبروا الجميع عنه. فالولاء الذي يولده ذلك هو رأس المال الاعظم أهمية لدى القائد.

أقدموا على مخاطرات مدروسة. "أن أفضل القادة يعرفون أن المخاطرة لا تكون عملا متهوراً خاليا من التفكير بالعواقب،" بحسب المستشارة الادارية ماريلين ماخلوفيتز، وتضيف: "ان المظلّيين لا يصعدون الى الطائرة قبل أن يتفحصوا مظلات الهبوط."

ولكون فكرة المخاطرة تحمل احتمال الفشل، كثيرون منا يميلون الى ترقب المبادرة من الآخرين. انما اذا أردتم ان تكونوا قادة فعليكم أن تتعلموا كيف تخفقون، فلا تموتوا ندماً ولوماً لأنفسكم، بل تشدّدون عزيمتكم وتعاودون الكرة.

انيروا الطريق. عام ١٩٦٥ أخبر الاطباء لي دوكات، وهي مدبرة منزل في فيلادلفيا، أن ابنها مصاب بداء السكري. فحاولت الاتصال بأمهات أخريات أصيب أولادهن بذلك المرض فلم ترد أي منهن التحدث في الامر.

في النهاية وجدت ثلاث أمهات على استعداد للتعاون معها. وانطلقت من تلك البداية الى تأسيس "مؤسسة السكري للاحداث" التي تضم اليوم ١٥٠ فرعا في أنحاء العالم. وانشأت دوكات "الجمعية الوطنية لتبادل الابحاث المرضيَّة" التي تؤمن أنسجة بشرية للابحاث الحيوية. أما سرّ لي دوكات التي ترئس الجمعية حاليا فهو كونها نموذجا رائداً يقتدى.

وهي تسأل: "هل سبق أن لاحظت أنك اذا تبسمت للناس بادلوك الابتسام؟ حسناً، ان أعطيت فالناس يريدون مبادلتك العطاء. وان كنت ثابت القدمين فانهم يريدون أن يتبعوا خطاك. وان كنت واثقا بقدرتك على بلوغ هدف انعكست الثقة في الآخرين فيحاولون أن يحققوه لك."

وتتابع دوكات: "أفضل شيء تقدر عليه هو أن يكون لك أتباع يعكسون أعمالك من خلال كونهم كما تريدهم أن يكونوا."

حافظوا على الثقة. يقول القادة الناجحون ان المرء اذا وثق بالآخرين كي يحسنوا العمل فانهم يكونون عند حسن ظنه، واذا شك في انهم سيخفقون فالراجح انهم سيخفقون. ويقترح رجل الاعمال والمحسن كليمنت ستون أن يعبّر المرء عن ثقته في رسالة. ويقول ان المدير الذي يعلن ثقته بوكلاء البيع والتزامه انجازاتهم يحفزهم فيحطمون أرقاما قياسية في البيع. والمعلم الذي

يسجل لتلاميذه ملاحظات افرادية تشجيعية يقودهم الى تحقيق انجازات استثنائية. ان وضع الثقة في شخص يعزز ثقته بنفسه ويدخل اليه السرور.

أتقنوا التوجيه. لا يتبع الناس القادة الذين يعوزهم التوجيه الصحيح. استيه لودر مؤسسة شركة مستحضرات التجميل العملاقة* قادت ألوف المستخدمين في طريق النجاح الكبير. وهي ترى أن كل رجل أعمال قيادي تعرفه يرسم في فكره صورة واضحة لما يريد أن يحققه، ويظل مركزاً عليها أفكاره وعمله. وتضيف: "الناس يريدون السير وراء من يعدّ لهم النجاح ويحققه."

تلبّسوا دور الناجح. تعلّم القادة أن يظهروا ويتصرفوا كرابحين. قد تراودهم شكوك بقدراتهم في بعض الاحيان، لكنهم لا يظهرونها. وهم يعملون كأنهم عارفون الى أين يتجهون.

ويعرف القادة أيضاً أن للمظاهر والاخلاق شأناً. فالناس يرتاحون الى أن يكونوا معهم، فكلامهم مهذب وسلوكهم هادىء وهم واثقون بأنفسهم.

كونوا أكفياء. قيل ان المعرفة قوة. والقادة الافذاذ يعلمون أن خبرتهم ومهارتهم جزء من قدرتهم وسحرهم. فالكفاية تستحث الناس وتحملهم على التطلع الى صاحبها لقيادتهم وتوجيههم.

(*) Estée Lauder

ولّدوا الحماسة. تقول لي دوكات: "حين يتفهم الناس أهمية العمل يضفون عليه قدراتهم العقلية، ولكن حين يستثيرهم العمل فانهم يصبّون فيه كل طاقاتهم. وذلك لعمري قوة هائلة! والطريقة الفضلى لتوليد الاثارة هي أن تكون أنت متحمساً للعمل، فالحماسة معدية تنتقل منك اليهم."

جنّدوا آخرين. كريس ألجير أم شابة مطلّقة من فلوريدا، كانت منهمكة في ترتيب شؤون حياتها فلم تهتم أبداً بقيادة أي شخص في أي مكان. ولاحظت ذات يوم الناس الجياع في حي بائس من مدينة ميامي. فعادت الى هناك ذلك المساء مع صديقة لها وهما تحملان ٢٠ شطيرة. وفي الليلة التالية عادت ومعها مزيد من الشطائر. ثم بدأت تحضير الحساء والقهوة.

وشاعت أخبار ألجير وروت الصحف ومحطات التلفزة قصصاً عنها. وبفضل الدعاية تقدّم متطوعون آخرون ومحسنون تبرعوا بالمال وبتولي الاتصالات والمراجعات وتوفير المهارات الادارية.

والان يحضّر المتطوّعون ٥٠٠ شطيرة كل يوم مع كميات كبيرة من الحساء. وتؤكد ألجير: "لست انا من يعمل كل هذا، فهناك كثيرون أصبحوا مهتمين ومشاركين فيه. أنا لست قادرة على هذا العمل وحدي."

وهذه، بحق، هي القيادة!

شيري سويب كوهين ■

المخدّرات
"تنّين" هونغ كونغ

امرأة رسالتها تقديم العون والحب الى مدمني المخدرات



انغمس ديو تونغ في العنف والمخدرات طوال فترة مراهقته. وفي السن الحادية والعشرين دين بجريمة قتل إثر وفاة زميله في عصابة "ترياد" بعد شجار معه. و"ترياد" احدى عصابات هونغ كونغ الشبيهة بالمافيا. وخلال تمضية ديو تونغ عقوبة السجن المؤبد عرض عليه الهيروويين وغدا مدمناً. وبعد ثلاث عشرة سنة حبساً أخلي، فتحول الى الجرائم الصغيرة ليروي غليله من المخدرات.

يستذكر ديو تونغ ما وقع له: "كانت حياتي كابوساً لا ينقطع. اتعاطى المخدرات واقلع عنها ثم أعود اليها. أدخل السجن وأخرج منه لأعود إليه. كأنما لا شيء يستحق الحياة."



PHOTOGRAPHS: NICK DANZIGER

وفي محاولة يائسة لانقاذ نفسه من الهلاك، وقد بلغ السادسة والخمسين، التمس العلاج في مكان عجيب: المدينة المسوَّرة في هونغ كونغ.

داخل هذا المنغلق القذر الذي تبلغ مساحته هكتارين ونصف هكتار، بأزقته مراتع الجرذان ومجمعات المباني الآيلة الى السقوط، يحيا نحو ٣٠ ألف شخص في ازدحام شديد. والمدينة في الأصل حصن مسوَّر ظل تحت سلطة الصين الى أن أقرت معاهدة ١٨٩٨ تأجير منطقة كاولون المجاورة في بر الصين الى بريطانيا، فنشأت مستعمرة هونغ كونغ. والمدينة أرض مشاع تغاضت عنها الشرطة فأصبحت بؤرة لعصابة "ترياد" وملاذاً لمروجي المخدرات والبغايا ولاعبي الميسر.

هاهنا في حجرة صغيرة مطلية بالكلس تدعى "البئر"، التقى ديو تونغ امرأة بريطانية اسمها جاكي بولنغر سمع أن في وسعها مد يد العون اليه. يقول تونغ: "لم القَ مشقة في العثور عليها. فكل سكان المدينة المسوَّرة يعرفونها."

نور باهر. جاكي امرأة شقراء جذابة في السادسة والاربعين. وكانت تصلي حين دلف ديو تونغ الى الحجرة. رحبت به، وصافحه مساعدوها الغربيون الثلاثة بحرارة ورددوا على مسامعه كلمات العزاء. وجالسوه نحواً من ثلاث ساعات، متحدثين بتؤدة وهم يشجعونه ويصلون له. في هذه الاثناء انسلّ الى الغرفة قرابة ٦٠ مدمناً، فتياناً وشيباً، تصحبهم عائلاتهم للحديث والصلاة معاً.

بعد ستة أسابيع أصبح ديو تونغ على اهبة الانتقال الى مركز جاكي لاعادة التأهيل من اجل مساعدته على الاقلاع عن تعاطي المخدرات. وهو يقول في هذا الشأن: "ما رأيت في حياتي عناية وحدبا كما هنا. وللمرة الاولى اطمأن قلبي."

وبعد ثلاث سنوات أصبح تونغ رجلا سعيداً واثقاً بنفسه، موظفاً لدى مؤسسة محاماة، ويعين سواه من المدمنين على التخلص من تلك الآفة.

جاكي بولنغر شخص عز نظيره في العالم الهمجي لعصابات المخدرات في هونغ كونغ. ترتدي ملابس عصرية أنيقة (عندما التقينا كانت ترتدي بذلة رياضية زهرية وتنتعل حذاء زهرياً). وتشف عن نقاوة تماثل براءة الاطفال، مما حدا أحد الموظفين الحكوميين على القول "إنها ممن تود أن تهرع الى ملاقاتهم بحرارة."

وهي التي أطلقت عليها صحيفة "ساوث تشاينا مورننغ بوست" لقب "مثيلة الام تيريزا في هونغ كونغ." ولقد قدمت العون وبوارق الامل الى ألوف التعساء والمنبوذين طوال ٢٣ عاماً. رسالتها ذاعت في العالم بأسره من خلال كتابها "مطاردة التنين"* الذي بيع منه أكثر من ٢٠٠ الف نسخة في ١١ لغة. وهي "رسالة بسيطة" كما تقول.

برنامج جاكي لاعادة التأهيل بزَّ البرامج الأخرى نجاحاً. تقول غاريت

(*) Chasing the Dragon

مولوي المندوبة السابقة للجنة المخدرات في هونغ كونغ: "تلقي جاكي الى المدمنين حبل نجاة. انها امرأة مخلصة كرست نفسها كلياً لقضيتها وأتت بنتائج لها في النفوس وقع عظيم."

مدد من الطاقة. بدأ اتصال جاكي بمدمني المخدرات في المستعمرة بلقاءات للصلاة في المدينة المسوَّرة. تقول في ذلك: "بعد أن نصلي معاً يعرب طالبو العون عن رغبتهم الصادقة في المساعدة."

ويذهب المختارون الى أحد المراكز الاربعة الأولى لاعادة التأهيل التي تديرها جاكي، وقد استأجرتها من الحكومة برسم زهيد. والمركز النموذجي بينها هو "دار تاي تام" وهو مبنى قديم أبيض في أقصى جنوب جزيرة هونغ كونغ. في هذا البناء يقيم نحو عشرين مدمناً يدعون "اخواناً" مع عشرة مساعدين غربيين وثلاثة مدمنين صينيين سابقين، يضمهم جو عائلي حميم. تقول جاكي عن هؤلاء: "المدمنون السابقون هم مفتاح العلاج، اذ انهم خاضوا التجربة برمتها."

خطّ النار. أخبرتني احدى المساعدات في مركز "تاي تام" واسمها جوان وايلدر، عن المدمنين الوافدين حديثاً ومعيشتهم في حجرة خاصة. إنهم يتلقون رعاية متواصلة طوال عشرة أيام من المدمنين السابقين الذين يعملون في مناوبات مدة كل منها أربع ساعات. يحادثون المدمنين ويصلون من أجلهم ويبذلون وسعهم لتخفيف أوجاع الانقطاع عن المخدرات. وهم لا يعطون أي دواء الا "جرعات" كبيرة من اللطف والمحبة وشد الازر. تقول جوان: "تتردد على مسامعنا تكراراً العبارة الآتية: لم أدرك قط أن ثمة من يحبني بهذا المقدار."

بعد تجاوز الاتكالية في مرحلة أولى تستمر اربعة أشهر، ينتقل "الاخوان" الى مخيم هانغ فوك المسمى "مخيم البركات." وهو ساحة مترامية من ١٤ كوخ صفيح في شمال غرب كاولون، قدمتها الحكومة بايجار رمزي. هاهنا القلب الخافق لـ"جمعية سان ستيفان" التي أنشأتها جاكي عام ١٩٦٨ لاعادة تأهيل المهجرين. وهو مأوى لاكثر من مئة نزيل بين نساء مظلومات وأولاد أسيئت معاملتهم ومشردين ومدمنين سابقين.

ويهيأ نزلاء المركز للاندماج بالمجتمع مجدداً واكتساب مهارات في أعمال مثل ورشات النجارة ومصانع القمصان والمطابع. ولكلّ دوره في اعمال المطبخ والبستنة والتنظيف والصيانة. ومع تقدمهم، ينضم هؤلاء الى أخر يخرجون الى المدينة، فيزورون المستشفيات وبيوت الشباب حاملين الطعام والأغطية لنوّام الشوارع. يقول أنطوني لورنس المراسل السابق لهيئة الاذاعة البريطانية الذي يقيم في هونغ كونغ: "جاكي امرأة عملية واقعية. لا تكتفي بصرف المدمنين عن عادتهم الضارة بل تدفعهم الى مساعدة الآخرين."

وتجلت رسالة مخيم هانغ فوك في أحلى صورها في ميلاد ١٩٨٩ حين أرسلت جاكي ومساعدوها حافلات وشاحنات الى أرجاء المدينة لجمع ما يربو على ألف شريد من نوّام الشوارع والمدمنين لتناول طعام العيد. تقول جاكي: "كثيرون منهم لم يشعروا من قبل بأنهم أفراد في أسرة كبيرة عطوفة. فأردنا أن نشعرهم بالحب. هذه طريقتنا."

لم يشِ ماضي جاكي بما ينتظرها في المستقبل. لقد ولدت في كرويدون بمقاطعة صاري البريطانية لأب صاحب مطبعة. وخلال دراستها الابتدائية تأثرت بمرشدتها التي تتذكرها جيداً: "جاءتنا في لباس كأنها خارجة من صورة للعصر الفيكتوري في كتب الاطفال، مرتدية تنورة (جونلة) دكناء طويلة وشعرها مجذوب الى الوراء في شبه كعكة."

لكن جاكي أسرت حلمها في نفسها. وانصرفت بعد فراغها من المدرسة الداخلية الى تعلم العزف على البيانو والمزمار في المعهد الملكي للموسيقى. وأثناء دراستها في المعهد دعتها زميلتان الى مسكنهما في لندن لشرب القهوة. فألفت نفسها في لقاء صلاة. تقول: "فوجئت اذ وجدت الجميع على سجاياهم، يتحدثون في مواضيع شتى دونما حرج."

فورة نشاط. حازت جاكي شهادة عالية وبدأت تعليم الموسيقى. لكن فكرة الارشاد ألحت عليها. وتراءى لها في المنام ذات ليلة أنها تنظر الى خريطة عليها بقعة باللون الزهري. وبرز لها اسم "هونغ كونغ." فسطرت في اليوم التالي رسالة الى حكومة هونغ كونغ لمنصب تعليمي في مدارسها، لكن طلبها رُفض.

وحصل الانعطاف الكبير في حياتها عام ١٩٦٦ في جلسة تأمل في وست كرويدون. وتروي جاكي ما حدث لها حينذاك: "تراءت لي امرأة رقيقة الحال. ثم أشار علي رجل جليل أن أركب متن سفينة تعرج على بلدان عدة، وأن أصلي لاعرف متى أغادرها والى أين." في خريف ذلك العام كانت جاكي على متن سفينة متجهة الى اليابان. "صليت، واذ رست السفينة علمت أن هذا مقصدي." كان ذلك ميناء هونغ كونغ، وقد وصلت اليه جاكي وفي جيبها ستة جنيهات ورقم هاتف صديقة.

في هونغ كونغ علّمت في احدى دور الحضانة أولا ثم في مدرسة ثانوية. وعزفت على المزمار في فرقة هونغ كونغ الموسيقية. وأخذت منها مشاهد الحرمان في الشوارع كل مأخذ، فعمدت في أوقات الفراغ الى الحديث مع الفقراء واصطحابهم الى مسكنها الصغير.

وكان حتما عليها اكتشاف المدينة المسوَّرة بعد حين، والتعرف الى أفراد عصابة "ترياد" الذين يتسكعون من دون عمل. استأجرت غرفة صغيرة ثم اسست نادياً للشباب كانوا يحتشدون فيه كل ليلة. ونظمت نزهات ورحلات ومخيمات

صيفية. وسرعان ما غدا "الآنسة بون" شخصاً مألوفاً في المدينة المسوَّرة.

وانصب اهتمامها على مدمني المخدرات. فكانت تصحبهم الى مسكنها لتخفيف أوجاع الانقطاع عن تعاطي المخدرات. ولما ضاق بيتها استأجرت مساكن أخرى. وكانت تعود المدمنين في المستشفيات والسجون وتنبري للدفاع عنهم في أروقة المحاكم.

وفي احدى "أسعد لحظات حياتها" تمكنت من هداية غوكو زعيم احدى أقوى زمر "ترياد" وأسوأها سمعة. وهما التقيا مراراً، اذ عملت جاكي على إنقاذ عدد من أفراد زمرته. وفي العام ١٩٨٣ قبض عليه بتهمة حيازة الأفيون. قصدته جاكي في سجنه، وهي تتذكر ما حدث: "أُعطيت دقائق خمساً، لكني مكثت خمسين. قال لي انه يرغب في هجر حياة ترياد. كان ذلك زعيماً يتكلم! وسالت دموعه مدراراً فكفكفها برزمة من مناديل الورق."

أفلحت جاكي في اطلاق غوكو من السجن بعدما أثبتت بالدليل خطأ القبض عليه. واحتفل بتوبة غوكو في لقاء بهيج. تقول جاكي: "استأجرنا حافلة من طبقتين ودعونا أفراد زمرته السابقين. تلك اللحظة انتظرتها ١٦ عاما موقنة انها آتية من دون شك."

لكن احتكاك جاكي بعالم الرذيلة في هونغ كونغ تحفه أخطار. تقول إلسي تو المربية البريطانية المولد والعضو في المجلس المديني والاشتراعي في هونغ كونغ: "إنها تعمل ببسالة في عالم خطر."

وتموِّل "جمعية سان ستيفان" التي أنشأتها جاكي، بأعطيات أفراد من هونغ كونغ والخارج. وهي أخبرتني: "حصولنا على التمويل سهل، اذ نصلي حين نحتاج الى مال." ولدى انتقال المجموعة الى مخيم هانغ فوك تبرع لها الناس بالاسرة وتجهيزات المراحيض وأكياس الرز، وبحوالة مصرفية لدفع فاتورة الكهرباء. وتضيف جاكي: "أعارونا ميتماً كبيراً في ماكاو."

ويتقاطر المساعدون من أرجاء المعمورة ومن مختلف المشارب. منهم من يبقى بضعة أشهر ومنهم من يطول بهم المقام أمثال آن ميردين ايفانز من لندن التي عملت مساعدة لجاكي نحو خمس سنوات، وموندرا غراهام (٢٩ عاماً) وهي مدرِّسة من نيوزيلندة، وليزي غروم (٢٧ عاما) وهي ممرضة بريطانية. وستمكث الثلاث نحو سنتين للمساعدة في ماكاو ودار تاي تام. وثمة طاه من نيوزيلندة يدعى وارن غودسير أتى مع زوجه ميتشل قبل سنة.

تحيا جاكي حياة بسيطة في حجرة داخل المدينة المسوَّرة. وتمضي أيامها في الرد على عشرات الرسائل التي تنهمر أسبوعيا على مكتبها في هانغ فوك. كما تدرب المساعدين الجدد وتعمل على استصدار بطاقات هوية للنوَّام في الشوارع. وتزور نزلاء المستشفيات والسجون والاصلاحيات. وهي تشدد الرقابة على مراكز اعادة التأهيل للتثبت من أن الأمور تجري فيها كما ينبغي."

وهي وجدت متسعاً من الوقت لتأليف كتابها الثاني "شق في الجدار" الذي نشر في مايو (أيار) ١٩٨٩. وتسافر جاكي الى الخارج في صحبة بضعة مسعفين ومدمنين سابقين، وتحض منظمات أخرى على الانطلاق في نشاطات مماثلة في ماليزيا والهند والفيليبين واندونيسيا وأوستراليا. وقد طارت الى لندن لتسلم وسام من الملكة اليزابيث في شهر ديسمبر (كانون الاول) ١٩٨٨.

من المقرر ان تهدم المدينة المسوَّرة سنة ١٩٩٢ وينتقل ساكنوها الى مكان آخر. لكن ذلك لن يوقف أعمال جاكي في هونغ كونغ. وهي تقول: "قد تمحي المدينة المسوَّرة، لكن الصعوبات التي يعانيها الناس ستستمر." وتضيف: "ألا يدهشكم تحول بؤرة رذيلة مبعثاً للنور؟"

ديبرا كاولي ■



زوجان سعيدان

ارتبط الممثلان هيوم كرونين وجيسيكا تاندي بزواج دام ٥٠ سنة.

يقول هيوم: "حين تعملان معاً وتتقاسمان الفراش والطعام، وتبقيان على هذا المنوال يوما بعد يوم وسنة بعد سنة، فقد يصبح ذلك..."

وتكمل جيسيكا: "... صعباً. لقد مرت أيام قال لي فيها هيوم إنه يرغب في الاقامة في فندق مدة اسبوع. فكنت أقول له: حسناً، اذهب. ولم يكن ذلك يحصل لسبب معين انما لشعوره بحاجة الى حرية ومدى أوسع من المنزل. وكنت انا ايضاً استمتع بهذا الجو المريح. ولدى عودته كنا نرى كل شيء رائعاً من جديد."

ويعدد الزوجان العناصر الجوهرية التي بنت علاقتهما المتينة: الثقة، التعاطف، العمل معاً، رقة الشعور المتبادلة. لكنهما لا يملكان صيغة تُمزج فيها كل هذه العناصر لتؤلف زواجاً ناجحاً. وينتهيان الى القول انهما مجرد شخصين اسعدهما الحظ بان يكونا معاً.

ج.م.ل.

نشاط الشباب

ينصح رجل الأعمال الكوري الجنوبي كيم وو - تشونغ الجيل الطالع بالآتي: "يعجبني الشباب الذين يستمتعون باطلاق مشاريع متنوّعة، ولاسيما أولئك الذين يستغلون طاقاتهم الى أقصى حدودها. وإذا قارنّا بينهم وبين شباب لا تخطر لهم فكرة انشاء مشاريع خاصة، لوجدنا ان هؤلاء المغامرين أكثر عرضة للاخفاق، لكنني لا أعتقد أنهم ينهزمون يوما. فالذين يخافون الاخفاق هم اشبه بصياد يعجز عن تزويد صنارته طعماً لخوفه من الديدان. هذا الشخص لن ياكل سمكة واحدة."

غ.ي.

حكايات من العالم

الولايات المتحدة

□ ■ يقفل معظم الناس سماعة الهاتف عندما يسمعون على الطرف الآخر صوت كمبيوتر. لكن الناس في خمسين مدينة امريكية يهتمون عندما يتصل بهم "كمبيوتر هاتفي" لكي يتاكد من انهم على ما يرام. مثلا، تدفع مدينة اوساج في ولاية ايوا أكلاف الجهاز الذي تديره دائرة الشرطة. ويتصل الكمبيوتر في وقت محدد يوميا بالسكان المسنّين الذين يسكنون منفردين، فيبادرهم: "صباح الخير! هل انت بخير؟ اذا لم تكن على ما يرام، اقفل الخط واتصل بالرقم ٩١١." وبعد أن يقفل العجوز الخط ينتقل الكمبيوتر الى الرقم التالي. واذا لم يجب أحد، يخطر الكمبيوتر الشرطة بالامر.

طوّر هذا البرنامج احد هواة الكمبيوتر من سكان أوساج ويدعى بروس جونسون. وهو انقذ الى الآن حياة عجوزين وقع احدهما في غيبوبة بسبب السكري وعلقت يدا آخر في نافذة.

صحيفة "تايم"

الصين

□ ■ تغطي الصين مساحة تزيد على ٩٥٦٠٠٠٠ كيلومتر مربع، ومع ذلك تشملها منطقة زمنية واحدة. فالساعات في انحاء البلاد تضبط بحسب توقيت العاصمة.

صحيفة "تايم"

المانيا

□ ■ بعد مرور يوم على فتح جدار برلين وصل مواطن من جمهورية المانيا الديموقراطية الى المكتبة التذكارية الأمريكية في برلين الغربية حاملا كتبا كان استعارها قبل ايام من بناء الجدار منذ ٢٨ عاما. وهو احتفظ بالامل ان يتمكن من اعادتها الى المكتبة يوما.

و.ج.

بوليفيا

□ ■ الحياة مختلفة في العاصمة لاباز التي ترتفع ٣٦٥٨ مترا عن سطح البحر. فالطائرات تستغرق وقتا أطول للاقلاع والهبوط. والطعام يتطلب وقتا اطول على النار لكي ينضج، لذا ينبغي ادخال تعديلات على وصفات الطبخ. ويقتضي اذكاء النار لكي تشتعل. ومحركات السيارات اقل قوة. وعملية الهضم أبطأ، والشهية إقل، والنحافة أيسر إدراكا.

في معظم مدن العالم يحتل الأغنياء المرتفعات. أما في لاباز فيقع معظم الاحياء السكنية الفخمة على السفوح المنخفضة بضع مئات من الأمتار حيث الهواء أكثف وأدفأ. والمنحدر الوحيد الصالح للتزلج في بوليفيا والواقع على ارتفاع ٥٢٠٠ متر عن سطح البحر، يعتبر الأعلى في العالم. وفصل رياضة التزلج هو الصيف لا الشتاء، لأنّ المنحدر يتحول خلال موسم الصقيع سطحا من الجليد.

صحيفة "نيويورك تايمز"



"لا أمل لك."

"ياه! انه ثوب جميل، من المؤسف أنك لم تجدي واحداً يناسب قياسك تماماً."

"بلغني أن ابنتك حصلت أخيرا على وظيفة. فهل كان ذلك بوساطة من والدها؟"

"لا جدوى من اضاعة وقتك في لتمرين، فأنت لن تتمكني من العزف على لبيانو مثل والدتك."

"تبدين في غاية الرونق، فهل أجريت جراحة تجميل؟"

نتعرض يوميا لملاحظات ساخرة لاذعة مثل هذه، وغالبا ما تصفعنا عندما لا نكون مستعدين لتلقيها. ونكاد نسمعها في كل مكان: في الطريق عندما تثير زحمة السير بعد دوام العمل أسوأ طباع الناس، وفي طوابير الانتظار التي تفقد الانسان صبره، وفي العمل وإلى مائدة الطعام حيث يشعر الناس بحرية التصرف بفظاظة.

أساليب الانتقاد كثيـرة يستحيل تصنيفها أو حصرها. فهناك انتقادات يومية شائعة من قبيل: "تهانينا! أخيراً

نجحت"، وأخرى جارحة مزعجة تسبب دواراً مثل: "آه، كيف تخفين تجاعيد وجهك؟" أو: "أراك منهمكة في هوايتك المفضلة - الأكل."

ثم هناك الملاحظات الخالية من الاحساس الى حد لا يصدق. فعندما تشجّع أحدهم وأخبر والدته أن زوجته هجرته، سألته فوراً: "وما الذي أخرّها الى الآن؟"

يفترض أن تكون العائلات ملاذاً واقيا من العالم. لكن الحقيقة هي أن الأقارب يتفوهون بكلام لا يقولونه خارج نطاق العائلة، وغالباً ما يبررون ذلك قائلين: "أنت تعلم أنني لولا محبتي لك لما قلت ذلك."

وتتذكر احدى النساء أنها حين كانت في الثانية عشرة من عمرها رأتها أمها واقفة أمام المرآة، فقالت لها: "لا تقلقي يا حبيبتي، اذا كبر أنفك أكثر نستطيع اصلاحه." وحتى ذلك الحين لم يكن خطر لها أن أي عيب يشوب أنفها.

ان الصنف المفضل لدي من الاهانات المتعمدة هو ذلك المعروف بالانتقاد "البنّاء" (وهو أبعد ما يكون عن ذلك.) ويمكن التعرف الى هؤلاء المنتقدين من العبارات التي يهندمون بها انتقاداتهم مثل قولهم: "أرجو الّا تزعجك صراحتي" أو "أقول لك هذا لمصلحتك." ويفترض فينا أن نعجب بصراحة المنتقد واخلاصه وأن نقدر له اهتمامه فيما نحن نحاول التعافي من الطعنة التي اصابتنا في الصميم.

ان الدفاع عن النفس لدى التعرض للاهانة قد يدخلنا حلقة مفرغة من الهجوم والهجوم المضاد. ولكن لحسن الحظ ثمة طرق لاتقاء سهام الانتقاد اللاذع وردها الى نحر مرسلها، مع الحفاظ على الاحترام الذاتي والمعنويات. ففي المرة المقبلة حين تجدون أنفسكم ضحايا للانتقاد، حاولوا تطبيق احدى الخطط الآتية:

١. تبينوا خلفيات الاهانة ان الناس الذين يوجهون الانتقادات يخفون عادة ألماً يسعون الى التخلص منه. فاذا لم تستطيعوا اكتشاف ما يزعج المنتقد حقا، تمهّلوا وخذوا كل الأسباب الممكنة في الاعتبار. وتذكروا أن الانتقادات ليست كلها موجهة اليكم شخصياً.

فالنادلة القائمة على خدمة زبائن المطعم لا تعنيكم أنتم باثارتها المشاكل، لان خطيبها تخلّى عنها البارحة. والسائق الذي يتجاوزكم بسرعة هائلة لا يقصد اخافتكم بل هو على عجلة للوصول الى ولده المريض. فأفسحوا له الطريق. فعندما تكونون متسامحين في ظنونكم تطيب سماحة النفس خاطركم.

٢. حلّلوا ملاحظة المنتقد تقترح سوزيت هادن ألجن في كتابه "الفن اللطيف في الدفاع الكلامي عن النفس" تجزئة الانتقاد والاستجابة للافتراض غير المعلن، من دون تمثيل دور الضحيّة. فاذا قيل لاحدهم مثلا: "لو كنت تحبني لانقصت وزنك"، فيمكنه أن يجيب: "منذ متى وأنت تعتقد أنني لا أحبك؟" فالسرّ

يكمن في تفحص ما قيل – وما لم يقل – قبل التورّط عاطفياً.

تجنبوا الوقوع في الشرك اذا أمكن.

٣. تحدّوا منتقديكم ليس سهلا الوقوف بجرأة في وجه التحقير والاهانات. واحدى الطرق الناجعة هي الصراحة. فلكي تنزعوا فتيل الملاحظات الهدّامة تصدّوا لها بالرد المباشر كأن تجيبوا: "هل ثمة سبب يدفعك الى جرح شعوري؟" أو "هل تدرك وقع هذه الملاحظة على الناس الآخرين؟"

ويمكنكم أيضاً أن تطلبوا من المنتقد ايضاح كلامه، فتقولون له مثلا: "ماذا تعني بذلك؟" أو "أودّ التأكد من أنني فهمت ما قلته." ومتى عرف المنتقدون أنكم تدركون ما يرمون اليه فانهم يدعونكم وشأنكم. فلا شيء ادعى الى الخجل من أن يُكشف المرء متلبسا بذنبه.

٤. استخدموا الفكاهة قالت احداهن مرة لصديقتي: "أهذا فستانك الجديد؟ انه أشبه بقماش الكراسي." فأجابتها صديقتي: "اذاً تعالي واجلسي في حضني."

وأخبرتني امرأة ثانية عن أمها التي كرّست نفسها للحفاظ على منزلها في غاية النظافة. لمحت الأم ذات يوم نسيج عنكبوت في مطبخ ابنتها فسألتها: "ما هذا؟" فأجابتها ابنتها: "انه اختبار علمي." المرح والفكاهة افضل سلاح ضد الاهانات. وسرعة البديهة تمكنكم من التغلب على كل منتقديكم.

٥. ارسلوا إشارات ذات مغزى أخبرتني سيدة عن زوجها الذي كان يوجه اليها انتقاداته علانية، فاستعانت بمنشفة صغيرة تحملها دائماً وتغطي بها رأسها كلّما وجه اليها انتقاداً، مما أربكه وجعله يغير أسلوبه.

واستنبطت عائلة أخرى عبارة تؤدي الى الغاية ذاتها. فذات مرة بعد العشاء علّق ضيف على الطعام قائلا: "لقد كان رائعاً! الدجاج رخيص هذه الايام. أليس كذلك؟" والآن، كلما أبدى أحدهم ملاحظة جارحة علق أحد أفراد العائلة قائلا: "الدجاج رخيص الثمن،" فيقهقه الجميع.

٦. لا تكترثوا للانتقاد اقبلوا كل ما يقال. فاذا قالت لك زوجتك: "زاد وزنك ١٠ كيلوغرامات يا عزيزي،" أجب: "انه في الحقيقة أقرب الى ١٢ كيلوغراماً." واذا أصرّت ملحة: "ألا تنوي تخفيف وزنك؟" فحاول الاجابة: "لن أفعل على الأرجح. سوف أبقى بديناً لبعض الوقت."

الملاحظة الناقدة تستمد قوتها من موقفكم أنتم. فاذا تقبلتموها بارتياح، شللتم حركتها.

٧. تجاهلوا الاهانة لاحظوا الانتقاد بعناية وأدركوا أنه لا يعنيكم شخصيا ثم تجاهلوه ببساطة. القدرة على الغفران هي احدى أهم مهارات البقاء التي يمكن تنميتها.

اذا لم تكونوا مهيأين لذلك، دعوا

محدثكم يعلم أنكم أخذتم علما بملاحظته لكنكم لن تردوا عليها. فعندما ينتقدكم أحدهم في المرة التالية تظاهروا بمسح بقعة وهمية عن قميصكم، فيسألكم الناقد عما تفعلون فتجيبون: "اعتقدت أن شيئاً ما ضربني، ولكن يبدو أنني على خطأ." عندما يدرك المنتقد أنكم كشفتم لعبته فانه يصبح أكثر احتراساً.

وفي امكانكم أيضاً التظاهر بعدم الاكتراث، كأن تطرفوا بعيونكم ثم تتمطون وتتثاءبون وتشيحون ببصركم وعلى وجوهكم تعبير مغزاه: "لماذا الاهتمام؟" فالناس يكرهون الاعتقاد أنهم يبعثون على الضجر.

٨. أضيفوا ١٠ في المئة. لن يكون في وسعكم أن تدفعوا عنكم كل الانتقادات اللاذعة، فحاولوا تقبل بعض التهجمات كسبيل طبيعي لتنفيس الاحباط الذي يصيبنا جميعاً. يحاول معظمنا عدم الاساءة الى الآخرين، لكننا نخطىء في بعض الأحيان. لذلك دافعوا عن أنفسكم عند الاقتضاء ولكن خذوا أيضاً في الاعتبار ظاهرة العشرة في المئة:

في ١٠ في المئة من الحالات تكتشفون أن ما اشتريتموه هو ارخص في مكان آخر.

واذا أعرتم أحدهم شيئاً ففي ١٠ في المئة من الحالات يرجعه اليكم وفيه عطل.

وفي ١٠ في المئة من الحالات، حتى أعز أصدقائكم قد يتفوهون بعبارة طائشة لا يلبثون أن يندموا عليها.

بكلام آخر، "تُمْسِحوا جلودكم" وحاولوا تحمل الاساءة والنقد، فأسهل عليكم الافتراض أن الناس يحاولون التصرف حسناً لكن كثيرين منهم لا يعون وقع تصرفاتهم.

أن اتخاذكم دائما موقف الدفاع، وحاجتكم الى إثبات أنكم محقون ومالكون زمام أموركم، يكلفانكم غاليا. لذا تسلّحوا بالغفران تحصدوا أكثر من عشرة في المئة.

شتم أحدهم رجلا حكيما فأجابه هذا: "يا ولدي، اذا رفض امرؤ قبول هدية، فالى من تعود؟"

أجابه الرجل: "الى مهديها."

قال الحكيم: "اذاً، أنا أرفض إساءتك."

العالم حافل بأناس يحاولون رفع مقامهم بالحط من قدر الآخرين. وهم دائمو الاستعداد لاطلاق اهاناتهم في وجه أي كان.

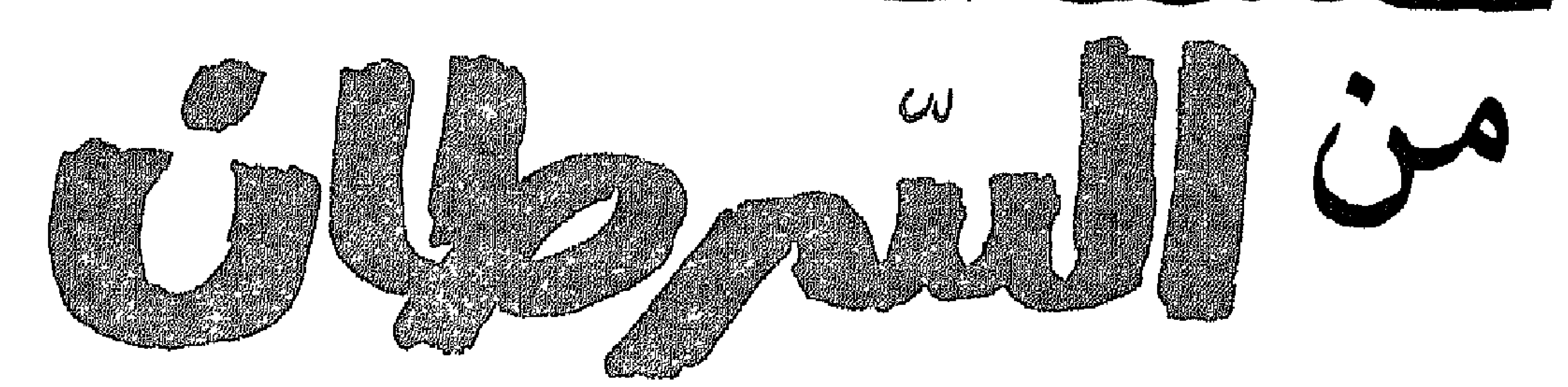
أرفضوا قبول اساءاتهم وإن غلفوها بالمحبة، ففي تجاهلها خفض للتوتر وفرح وطمأنينة لكم وفرص لتمتين علاقاتكم.

جنيفر جايمس ■

قال موظف لرب العمل: "اذا كنت لا تستطيع زيادة راتبي، فهل لي ان اقبضه مرّات اكثر؟"

ك.د.

مسحة عنق الرحم قد تنقذك من السرطان



تتذكر جولي: "انتظرت شهرين للمعالجة بأشعة الليزر في المستشفى المحلي. لكنني بعد ذلك لم أعد أشعر حتى بوخزة ألم."

وقد مضت ثلاث سنوات على الحادث. وتقول جولي: "ذلك الاختبار أنقذ حياتي."

سرطان عنق الرحم هو السرطان الوحيد الذي يمكن تحديده باختبار بسيط والشفاء منه بالمعالجة الباكرة. وكل عام تشخص ٤٠٠٠ اصابة بالسرطان العنقي في بريطانيا. ويتبين أن نصف هذه الحالات مميتة لان المرض يكون قطع شوطاً كبيراً مبدداً كل امكان للشفاء. وهذا يعني وفاة ٢٠٠٠ امرأة كان شفاؤهن متيسراً.

٩٠ في المئة من المتوفيات نساء لم يُجرَ لهن أبداً اختبار مسحة عنق الرحم – أو "مسحة پاپ"[١] التي سميت كذلك بعد جورج بابانيكولاو الطبيب الامريكي اليوناني الاصل الذي ابتكر هذا الاسلوب قبل ٦٠ سنة. ويتضمن هذا الاختبار أخذ عينة من المادة المخاطية والخلايا من منطقة محددة داخل عنق الرحم الاسفنجي في أعلى المهبل.

(١) Pap smear

سرطان عنق الرحم هو الداء الذي تخافه جميع النساء لكنه السرطان الوحيد الذي يمكن تحديده والشفاء منه بالمعالجة الباكرة

جولي شابة في الثانية والعشرين تعمل مرشدة صحية في ليفربول ببريطانيا. قصدت يوماً الفرع المحلي لعيادة "المرأة المعافاة" بعدما شعرت بورم في ثديها. ولحسن حظها كان الانذار خاطئاً. الا أن طبيبها اقترح عليها اجراء اختبار مسحة عنق الرحم. وانهارت جولي لدى ابلاغها عن خلايا في عنق رحمها معرضة للتحول خلايا سرطانية إذا بقيت من دون معالجة.

وتحتوي المادة المخاطية على خلايا أنسجة شقت طريقها الى سطح العنق. وتمسح المادة على شريحة زجاجية مجهرية وترسل الى المختبر. هناك تفحص تحت المجهر بغية التحقق من وجود خلايا سرطانية أو خلايا شاذة تنذر بسرطان مستقبلي محتمل.

ويجرى ما يزيد على أربعة ملايين اختبار "پاب" في بريطانيا سنويا. ومع ذلك تبقى ملايين النساء من غير اختبار. فمنهن من يبعدن فكرة المرض عن أذهانهن، ومنهن من يتجنبن الاختبار بحجة أنه يستغرق وقتا ويسبب ألما. لكن جولي تتذكر أن أخذ العينة استغرق دقيقتين ولم يتخلله ألم.

عندما كشفت مسحة جولي وجود خلايا شاذة، أرسلت الى عيادة خاصة في المستشفى بغية فحصها بواسطة المنظار المهبلي،[٢] وهو مجهر ذو عينين يتيح للطبيب مشاهدة عنق الرحم بأدق تفاصيله. وقد استأصل الطبيب قطعة نسيج صغيرة جداً من كل جانب من عنق الرحم بهدف اجراء تحليل مخبري. ومن ثم دمرت الخلايا الشاذة بواسطة الليزر بعد تخدير عمومي.

وتشير الاكتشافات الحديثة الى أن نشوء الخلايا الشاذة في الرحم يرتبط بعدوى فيروس الورم الحليمي البشري (HPV)[٣] الذي يسبب الثؤلول في الاعضاء التناسلية. وينتقل هذا الفيروس جنسيا، لذلك نادراً ما ينشأ سرطان عنق الرحم عند العذارى.

ومن المعرضات للاصابة بهذا المرض النساء فوق الخامسة والثلاثين اللواتي لم يخضعن لاختبار مسحة عنق الرحم، والشابات اللواتي يقابلن أكثر من شريك، والنساء اللواتي بدأن الجماع أو الحمل خلال مرحلة البلوغ عندما تحدث التبدلات الهرمونية تغيرات سريعة في الخلايا ويكون عنق الرحم شديد التعرض لالتقاط العدوى.

والمدخنات المفرطات يشكلن المجموعة الرابعة المعرضة لهذا المرض. يقول الطبيب النسائي ألبرت سنغر رئيس وحدة المنظار المهبلي والليزر في المستشفى الملكي بلندن: "يتمتع الرحم بجهاز مناعة من خلايا دقيقة تطلق الانذار لمهاجمة اجسام متطفلة مثل فيروس «HPV». وتتعطل خلايا الانذار لدى كثير من المدخنات، ربما بمستويات عالية من سموم الدخان في مخاط عنق الرحم."

لكن سرطان عنق الرحم قد يصيب أيضا نساء غير مصنفات في أي مجموعة. فمنذ السن الثامنة عشرة تجري جين، وهي عاملة اجتماعية في الحادية والثلاثين من عمرها، اختبار مسحة عنق الرحم مرة كل ثلاث سنوات. تقول: "عندما انتقلنا الى أكسفورد قبل سنتين أجريت اختباراً جاءت نتيجته ايجابية." وأظهر المنظار المهبلي وجود سرطان توسعي مبكر، فثمة خلايا شاذة تسللت تحت سطح عنق الرحم. "واقترح علي

(٢) Colposcope
(٣) Human papilloma virus

طبيبي الجديد الخضوع لجراحة استئصال الرحم. لكنني كنت أريد انجاب طفل، لذلك استشرت طبيباً ثانياً نصحني، بعد تنظير مهبلي آخر، باجراء فحص مخروطي."[٤]

نتيجة سارة. أخضعت جين لتخدير عمومي، واستأصل الجراح جزءاً مخروطياً من عنق رحمها. تقول: "لم أعرف المرض طوال حياتي. وكنت أخاف المستشفيات. لكنني لم أشعر بأي ألم، وكنت شديدة الارتياح بعد انتهاء العملية." وسرعان ما برئت الخلايا. وأجري لجين اختبار مسحة عنق الرحم بعد ثلاثة أشهر فأتت النتيجة سلبية. وبعد شهرين آخرين حملت جين، وهي الآن أم لصبي معافى.

دنيس ماكنس باحث رائد في مستشفى غي في لندن. وهو لحظ أن الزوجات يقلقن من أن توحي المسحة "الايجابية" أنهن غير مخلصات لازواجهن. ويقول مطمئناً: "الخلايا الشاذة يجب ألا توصم بالعار. صحيح أن الاتصال الجنسي ينشر فيروس HPV، لكن المرأة قد تلتقط عدواه من زوجها، فقد تكون له علاقات."

واختبار مسحة عنق الرحم متوافر في بريطانيا برعاية وزارة الصحة منذ العام ١٩٦٤. وفي العام ١٩٨٨ أطلقت الحكومة برنامجا لاخضاع جميع النساء بين العشرين والخامسة والستين لهذا الاختبار كل خمس سنوات على الاقل. ويطلب معظم الاطباء اجراءه مرة كل ثلاث سنوات، لكن الوزارة لحظت موازنة محدودة لهذا الاجراء.

والنقص الحاصل في التمويل يعوق أيضاً أعمال مختبرات أبحاث الخلايا الثلاثمئة المنتشرة في الاراضي البريطانية، حيث تفحص مسحة عنق الرحم مجهرياً. والعمل ضاغط في هذه المختبرات حيث يمضي التقنيون عدة ساعات يومياً ناظرين عبر المجهر، فدراسة شريحة زجاجية واحدة صعبة قد تستغرق نصف ساعة من العمل المضني وتشغل عدة تقنيين.

وقد حصلت أخطاء أحيانا سببت الحزن والاسى لبعض المرضى. في العام ١٩٨٧ استدعيت ٤٨٥ امرأة سبق أن خضعن لاختبار مسحة عنق الرحم في مستشفى النساء في ليفربول وجاءت نتائجهن سلبية، اذ تبين أن نتائج اختباراتهن موضع شك. وقد أجريت لاربع منهن جراحة استئصال الرحم، ولعشرين فحص مخروطي، وعولجت ١٣٣ أخريات بالليزر. ووجه اللوم الى طبيب نسائي متقاعد كان مسؤولا عن اصدار التقارير الاولية للشرائح.

درهم وقاية. ان خضوع جميع النساء المتزوجات لهذا الاختبار لم يكن ملحا يوما مثلما هو الآن. يقول الدكتور جاك كوزيك من "الصندوق الامبراطوري للدراسات السرطانية": "خلال السنوات

(٤) Cone biopsy

العشرين الماضية ارتفعت نسبة الاصابة بسرطان عنق الرحم الى ٧٢ في المئة لدى النساء دون الخامسة والثلاثين. وقد يعود ذلك الى المجتمع المتساهل."

ومن المستلزمات الاساسية لمحاربة هذا المرض المراقبة الدقيقة لتطور حال المريضة. فالمنظار المهبلي ضروري بعد أربعة أو ستة أسابيع من أي معالجة، يتبعه اختبار مسحة عنق الرحم بعد ستة أشهر أخرى. ثم يتوجب على المريضة الخضوع لهذا الاختبار مرة على الاقل كل ثلاث سنوات.

وقد أدت الطريقة اليدوية المتبعة في حفظ سجلات الجراحات الى اضاعة بعضها وعدم ملاحقة أحوال المريضات. لكن أجهزة الكمبيوتر بدأت تحل مكان هذه الطريقة. وفي منطقة وست ساسكس يحفظ الكمبيوتر سجلات الاستدعاء المشتملة على جميع المريضات المسجلات منذ العام ١٩٧٢. وقد انضم أطباء العائلات الى هذا النظام. ويتولى الكمبيوتر تسجيل كل التفاصيل عن مسحات عنق الرحم وسبل المعالجة، ويتم اعلام المريضة بالبريد بموعد اختبارها.

وتعِد الاساليب الحديثة بتشخيص أفضل ولكن بكلفة أكبر. ومن الابتكارات الجديدة "فرشاة الخلايا"[٥] التي تستعمل مع مبسط خشبي أو بلاستيكي لتمكين الاطباء من أخذ عينات خلايا من عنق الرحم. وكما يشرح ألبرت سنغر في كتابه الاخير "اختبار مسحة عنق الرحم"[٦] فان فرشاة الخلايا هي أنجع الوسائل في الوقت الحاضر. فشكلها الاسفيني عند طرفها يتيح لشعيراتها ولوج قناة عنق الرحم باحكام والتقاط الخلايا التي يعجز المبسط عن التقاطها.

ويمكن أحيانا اختصار الوقت الذي يتطلبه التشخيص بواسطة الكاميرا. فتأخذ صورة لعنق الرحم وتدرس مع نتائج الاختبار التقليدي لمسحة عنق الرحم.

وابتكر الدكتور أندرو سينكوك من فريق الابحاث في مستشفى ميدلسكس بلندن، طريقة سريعة لتحليل الشرائح المجهرية آليا. يقول: "ليست الآلة بالغة الدقة فحسب، بل انها تمكننا من تحديد الخلايا التي ستصبح شاذة لاحقاً."

ان اجراء اختبار مسحة عنق الرحم بانتظام يمنع حوادث الوفاة بسرطان عنق الرحم. وهنا خطوات بسيطة تستطيع كل امرأة اتباعها لتحمي نفسها:

- تأكدي من أنك مسجلة لدى طبيبك في نظام الاستدعاء. وابدأي اختبارات مسحة عنق الرحم حالما تبدأين حياة جنسية منتظمة. أعلمي طبيبك بأي تغيير في عنوانك.
- أبلغي طبيبك بأي افراز أو نزف مهبلي غير عادي.
- بعد خضوعك لاختبار مسحة عنق الرحم تأكدي من حصولك على النتيجة سريعاً، ولا تنتظري مكالمة من الطبيب.

إليز بيكيه ■

(٥) Cytobrush
(٦) Cervical Smear Test

باع حياته ليشتري السعادة فنال فوق ما ابتغى

أوتشي... بوتشي



قصة قصيرة

رن الجرس الصغير فوق رأس هيلوين. وتكرر الرنين الاجش بعد لحظة وهو يغلق الباب خلفه بلطف. وجد نفسه في غرفة في الطبقة السفلى تقسمها منضدة طويلة اسودّ خشبها. ووراء المنضدة باب غطته ستائر من الخرز ورفوف تحمل صفوفاً من الدفاتر العتيقة.

تساءل هيلوين: "لا يبدو هذا المكان عتبة الى نعيم الدنيا، ولكن ربما من الأفضل المحافظة على المظهر الرديء في هذا الجزء من البلدة إذا كنت لا أرغب في اجتذاب كثير من الانتباه."

نقر المنضدة بحزم. وإذ اهتزت ستائر الخرز ظهر من ورائها رجل كهل قصير أنيق المظهر ذو عينين بنيتين ووجه دميم. تقدم بابتسامة ودية ووضع أنامله على المنضدة ثم انحنى باحترام.

قال بصوت أوحى أن الانكليزية ليست

لغة صاحبه مع أنه خلا من أي لكنة مميزة: "مساء الخير يا سيدي.

سأله هيلوين: "أأنت السيد زوريك؟"

أجاب زوريك وقد ظلل حزن طفيف ابتسامته: "نعم، ويا للاسف."

– أدعى هيلوين وأنا صديق قريب من السيد جورج لوريمر وأحمل منه رسالة توصية، كانت بينكما أعمال قبل نحو ستة أشهر.

تمتم زوريك مقطباً حاجبيه: "لوريمر؟ آه، أجل. أذكره طبعاً! لقد رتبت أموره في مكان ما من الأقيانوس الجنوبي حيث الحسناوات كثيرات وجوز الهند طيب. ثم أطلق ضحكة خافتة وتابع: "قد يبدو الامر سخيفاً، ولكن لا بأس ما دام الرجل سعيداً. أليس كذلك؟"

– إنه سعيد جداً.

"وأفهم أنك مهتم بإجراء صفقة مماثلة؟"

شرق هيلوين بريقه مرتبكاً اذ تخطى المرحلة التمهيدية، وأجاب: "هذه هي الفكرة عموماً."

بهتت ابتسامة زوريك وبدا الاهتمام المهني في عينيه. قال: "أشك كثيراً في إمكان العمل معك."

فهتف هيلوين وقد احتقن ضيماً: "هذا محال! ظننتُ انك ستستعمل معي أساليب الملاطفة والتملّق وتغدق علي أنواع الوعود البراقة. فأنا نفسي على المحك، لا أسهم الشركة. لقد كنتَ شديد التّوق الى التعامل مع جورج. وأنا لا أختلف عنه."

هزّ زوريك رأسه قائلا: "السيد لوريمر شاب، وأمامه حياة مديدة، وبه نزعة مؤسفة إلى الصلاح والطيبة. كان هناك احتمال جدّي، لو ترك العنان لرغباته، أن يكتسب في نهاية المطاف رصيداً نفسياً وافراً."

وتلفّت زوريك حوله مرتبكا وتابع: "لقد شعر ذلك الذي أخدمه أن من المجدي اقناع السيد لوريمر بابرام اتفاق ملزم. لكن وضعك مختلف يا سيد هيلوين."

صاح هيلوين بانفعال: "لا أظن ما أسمعه يروقني. أنا لم أسلك حياة سيئة. كيف تدري أنني لن أكتسب ما يكفي من هذه الأرصدة الروحية، كما تسميها؟" ثم صمت إذ رأى زوريك يسحب دفتراً عن أحد الرفوف ويفتحه.

قال زوريك وقد استقرّت سبابته اليمنى على احدى الفقرات: "نورمان ستانلي هيلوين. لك من العمر ثلاثة وخمسون عاماً. لديك مشاكل حادة في القلب والأوعية الدموية، اضافة إلى كبد نالت أكثر من نصيبها العادل من العقاب. هل تود معرفة السنوات المتبقية لك بالتحديد؟"

صرخ هيلوين متراجعا: "لا، لا يجوز أن يحمَّل انسان وزر هذه الدراية."

قال زوريك غير مبال: "أربع سنوات إلا أحد عشر يوماً." فهتف هيلوين بصوت متهدّج: "هذا فظيع. لقد بدوتَ لي لطيفاً دمثاً عند دخولي هذا المكان. أما الآن..."

فقاطعه زوريك: "ماذا كنت تتوقع؟

شغِّل عقلك يا رجل! ماذا تظنه فاعلا لي إن لم أبذل قُصاراي للحصول على أفضل الشروط في كل صفقة؟"

اقترب هيلوين من المنضدة وقد وهنت قدماه وسأل: "صفقة؟ هل قلت صفقة؟"

نظر اليه زوريك شذراً كجوهريّ يتفحص ساعة يد، ووثبت من ورائه الى المنضدة هرة سوداء هزيلة لم تحدث ضجيجاً. قال: "أما زلت متأكداً من أنك تريد التعامل معنا؟"

فأجاب: أما وقد بقيت لي أربع سنوات... اليك اقتراحي... سأبيعك نفسي في مقابل..."

لكن زوريك أسكته: "ليس بهذه السرعة! دعني أخبرك حالا، قبل أن تتابع، أنك لا تستطيع الحصول على الثروة المادية. لا أوراق نقد ولا صكوك ملكية ولا ذهب ولا غيره من المعادن الثمينة." وأضاف كأنه يستشهد بوثيقة قانونية حفظها عن ظهر قلب: "لا حجار كريمة ولا تحف ثمينة."

قاطعه هيلوين: "كل هذه الأشياء لا تهمني. ولكن أشبع فضولي وأخبرني لماذا لا يمكنني الحصول عليها؟"

هزَّ زوريك كتفيه وقال: "هناك مشاكل سيولة. وثمة شيء آخر لا يمكنك الحصول عليه، الا وهو الوقت الاضافي. لا يفيدك أن تطلب اطالة حياتك. السنوات الأربع هي كل ما تبقى لك ولا شيء يمكن أن يغيِّر ذلك."

أومأ هيلوين موافقا وقال: "لست بالسذاجة التي تظن. لو أتيحت لي فرصة قضاء هذه السنوات الأربع كما يحلو لي فستمتلىء نشوة تجعلها تساوي أربعة قرون. لقد كانت حياتي موفقة من ناحية المستوى المادي الذي يهتم له معظم الناس: بيت فخم في أرقى أحياء المدينة، ومركز محترم في المجتمع، ونجاح في المهنة. لكن الشيء الوحيد الذي حرمته، الشيء الوحيد الذي تقت إليه أكثر من أي شيء آخر، هو..."

"قل لي ما هو يا سيد هيلوين." ورفع زوريك الهرة السوداء ومددها على صدره.

أخذ هيلوين نَفَساً عميقاً وزفره بكلمات سريعة: "أريد أن تقف النساء عاجزات عن مقاومتي. أعني عاجزات حقاً. أريدهن عاجزات عن كف أيديهن عني."

قال زوريك وهو يسقط الهرة على الأرض: "أهذا كل شيء؟ لماذا لم تنطقه منذ البداية فتوفر علينا كثيراً من الوقت؟"

– أتعني أنك ستحققه لي؟

أجاب زوريك بنبرة واقعية: "نعم. أتفهمك تماما. النساء عاجزات عن مقاومتك. ستكون كذلك حالما توقع العقود الضرورية." ثم ابتسم بكآبة وتابع: "الشكليات ضرورية هذه الأيام."

فوجىء هيلوين وبدأت تساوره الشكوك. فالامور تسير بسلاسة غير معقولة. قال: "لقد وافقتَ على طلبي بسرعة."

فرد زوريك بلطف وهو يخرج رزمة وثائق من تحت المنضدة: "سوف أطلعك على سر صغير. أنت ثالث زبون قابلته اليوم لن تقاومه النساء."

احمر وجه هيلوين وقال: "أهذا ما يطلبه معظم الناس؟"

فرد زوريك: "زبائننا الذكور فقط. والآن، قد تود أن تتصفّح هذه النماذج..."

قال هيلوين مرتبكا: "أنا متأكد من أن كل شيء سيسير على ما يرام. لقد أخبرني السيد لوريمر أنه راض جداً عن عقده. قال إنك تنفذه حرفياً."

فابتسم زوريك: "يسرني أنه يقدّر عملنا. في هذه الحال، أرجو أن توقع هنا من فضلك."

نظر هيلوين الى الاوراق منزعجا وقال: "لا لزوم للتوقيع بالدم، أليس كذلك؟ فأنا سريع الغثيان."

ضحك زوريك وسحب قلماً فضياً من جيبه: "لا بأس بالحبر. يمكنك استخدام قلمي. والآن، وقع هنا من فضلك... وهنا... وعلى النسخة الوردية... وعلى نسخة الكمبيوتر. حسناً!"

ثم اختفى القلم والعقد، وصافح زوريك هيلوين بابتسامة عامرة بالدفء والاخلاص. ووثبت الهرة الى المنضدة وبدأت تخرخر. ثم أعلن زوريك: ما عليك سوى العدّ الى عشرة."

فبدأ هيلوين وقد قرر ألا يضيع ثانية أخرى من سنواته الأربع: "واحد..." فجأة بات يرى الاشياء كأنما عبر قطع من الزجاج الملون. لم يراوده أي ذعر، اذ كانت التجربة مسلية تماماً. وبدت له أسنان زوريك دائرة بيضاء مسنّنة. وتابع: "اثنان..." بدأت القطع الزجاجية الدوران، فاستسلم هيلوين لدوار لطيف بهيج. وتأمل مفكراً: "ما ضرورة كل ذلك؟" لكن النعاس غلبه، وهمس: "ثلاثة..." ثم لفه ظلام دافيء.

أيقظته فجأة أصوات متفرقة، ووجد نفسه ممدداً على ظهره عاجزاً عن رؤية أي شيء سوى بقع من الألوان لا معنى لها. وخالجه شعور غامض بأنه في الهواء الطلق.

وعلى حين غرّة، رأى شكلا بيضويا زهري اللون غامض المعالم يهبط فوق رأسه. طرفت عيناه إذ اقترب الشكل من أنظاره. ثم اتضح له أنه وجه ذو عينين زرقاوين ذابلتين وأنف دقيق وفم كبير مطلي بأحمر الشفاه تعلوه ابتسامة رقيقة. وسمع صوتاً ملاطفاً: "أوتشي بوتشي دا دا دا."

تغضّنت قسماته الصغيرة وراح يرفس الهواء بقدميه الصغيرتين غاضبا خائبا، ورمى خشخيشته الخضراء البراقة خارج العربة. وبدأ الصراخ.

بوب شو ■

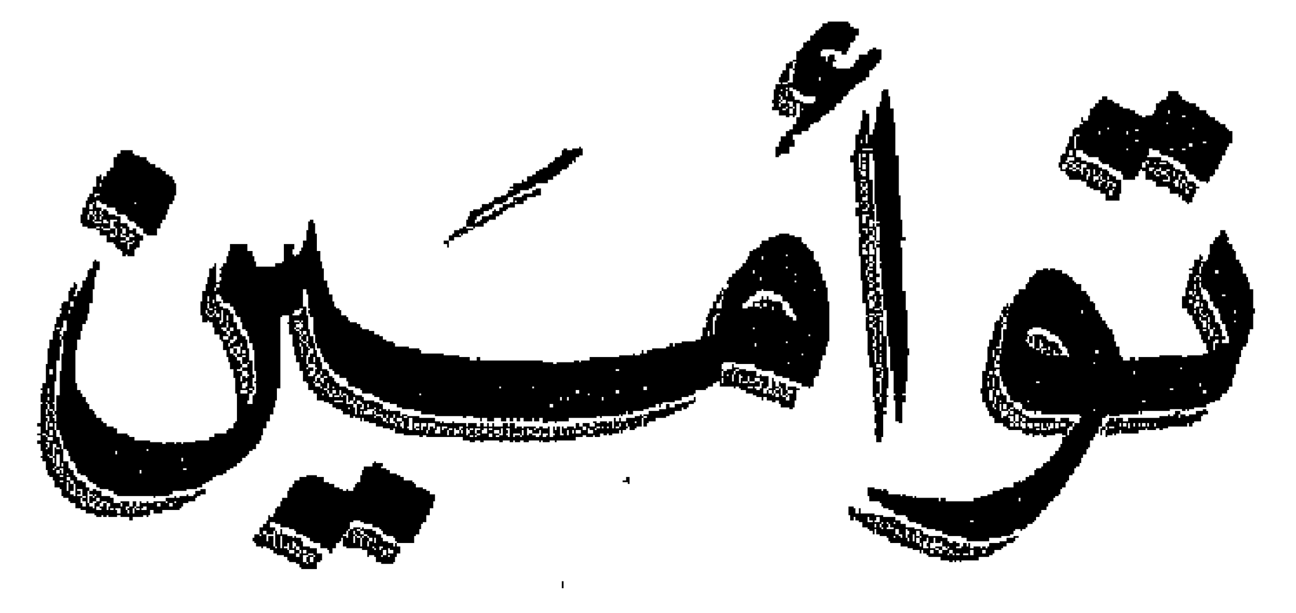
الكاتب مؤلف اكثر من عشرين رواية من الخيال العلمي.

حَسَن ان تجهَّز السيارة بجهاز كمبيوتر. لكنه لن يضاهي ابدا سائقا يجلس في المقعد الخلفي.

ك.س.

قال جون برفق: "لا مال لدينا."
وأسرَّ طوني في نفسه بمرارة: "فعلا. لا مال ولا هدايا ولا شجرة عيد ولا عشاء للمناسبة." ونقر باصبعه مفتاح التلفاز القديم الذي يبث الصور بالاسود والابيض. وشاهد لدقائق معدودات عرضا خاصا بالعيد، راسما في خياله صورة العائلة مجتمعة. استرق النظر الى جون وقال له: "ما همّنا؟ أتدري مغزى العيد كما أراه؟" وعانق توأمه بحرارة وتابع: "مغزاه أن نبقى معاً مهما حدث."





أضاعتهما أمهما وهجرهما أبوهما فأقسما على البقاء معاً ومتابعة دراستهما وتحقيق طموحاتهما

تغلغل نور الصباح في المقطورة الضيقة. جون غوميز مكب على دروسه الى طاولة المطبخ، وتوأمه المثيل طوني أضناه عمل الامس فتمدد على مقعد باسطاً ذراعيه وقدميه. فجأة ضج موقف المقطورات بالموسيقى وصياح الاولاد.

تذكر طوني المناسبة فقال لجون: "ميلاداً سعيداً." لكن جون هز كتفيه غير مبال. صاح به طوني: "هيا، يجب أن نحتفل بالعيد."

أن نبقى معاً! هذا سر جون وطوني غوميز وطريقتهما في البقاء والاستمرار. انهما في الرابعة عشرة من العمر، وفي هذه السن ينغمس الفتيان في الرياضة واللهو وملاحقة الفتيات، أما هذان التوأمان فيناضلان من أجل دفع الايجار وشراء الطعام والترقي في المدرسة، مبقيين على سرهما الرائع مكنوناً وبعيداً عن دنيا الراشدين.

في سبتمبر (أيلول) ١٩٨٣ عزم والد التوأمين، وهو عامل صيانة جوّال، وزوجته الجديدة على العودة الى مسقط رأسه في المكسيك. وكان الولدان لم يلتقيا أمهما الحقيقية منذ طلاق أبويهما عام ١٩٨٩.

واذ علما بمخطط أبيهما تبادلا النظرات غير مصدقين. أن يغادرا

الولايات المتحدة؟ وامانيهما والاحلام؟ تكلما معاً كالعادة، يكمل واحدهما عبارة الآخر: "لا، لا نريد ان نرحل. نريد أن ننهي دراستنا هاهنا."

أخذ بدرو غوميز يذرع الغرفة. فابناه المولودان في توسون بولاية أريزونا مواطنان أمريكيان. وهو على علم باستقلاليتهما، اذ انهما عقب رحيل أمهما مع البنات الأربع كانا يتدبران معاشهما، فيطهوان ويغسلان ثيابهما.

أخبرهما الاب: "شأنكما وما اخترتما." وحذرهما من التورط في المشاكل، ومن أنهما اذا عثرت عليهما السلطات وتبين أنهما يعيلان أنفسهما فسيوضعان تحت وصاية غرباء وقد يفرق بينهما. دفع الأب ايجار البيت لعدة أشهر مقدماً، وأعطى ولديه رقم هاتف في المكسيك ثم حمَّل أمتعته ورحل.

مستقبل نسج الخيال. تعاهد جون وطوني على البقاء معاً وإبقاء حالهما سراً محجوباً. وسرعان ما استنبطا صيغة للعيش يوماً فيوماً: أن يبتعدا عن المتاعب، وأن يخلص واحدهما للآخر مهما جرى، وألا يهجر أحدهما الآخر. وسميا ما رسماه "منظومة" خاصة لا يتدخل فيها انسان.

وكان من دأبهما أن ينهضا في السادسة والنصف صبيحة كل يوم فيستحمان ثم يرتديان ملابسهما. ووضعا جدولا بيتيا يحدد مواعيد تصريف شؤونهما، فيغسلان الثياب أيام الآحاد، ويشذبان الرقعة الصغيرة المعشبة حول المقطورة، ويتأكدان من نظافة الداخل.

وكانت طباعهما متباينة. فطوني اجتماعي نزاع الى اللهو، فيما جون أكثر جدية. بيد أنهما كانا يتنافسان في كل أمر. فاذا أهمل أحدهما واجباته أو نال علامة منخفضة في المدرسة، ذكره بها الآخر على الدوام.

وجريا في المدرسة وفي أماكن أخرى على الممازحة، فيدفع الواحد الآخر الى مرشات الماء او الى التحرش بالفتيات. وكانا جِبِّين لا يجرؤان على التحدث الى البنات. وكان طوني يقول لجون: "يا لبشاعتك!" مبدلا ملامحه وهو يرقص حول أخيه. فيقهقه جون ويصيح: "آه، ليتك ترى توأمي، فهو أبشع مني."

بعد الانصراف من المدرسة يهرع جون الى البيت لمشاهدة برامج التلفاز، فيما ينام طوني قليلا قبل ذهابه الى العمل. وهما عملا في مخبز قريب، وكانا يتقاضيان أجرهما نقداً ومن دون ايصالات، اذ انهما لم يبلغا بعد السن القانونية للعمل. وكان الطعام غالباً وجبات سريعة وما تبقى من خبز في المخبز.

وكانا يستغرقان في تخيل المستقبل بعد الفراغ من العمل أو خلال أوقات الفراغ النادرة. فيقول طوني: "أود أن التحق بسلاح البحرية وأجوب الدنيا." أما جون فطموحاته أكثر تخصصاً: "أنا أود أن أصبح مهندس الكترونيات وأتزوج وأقتني سيارة." لكن هدفهما الأقرب أن يتما دراستهما.

المال شغلهما الشاغل. كانا يدفعان ١٦٥ دولاراً في الشهر للعامل في موقف المقطورات، وأرهقت كاهلهما فواتير أخرى كان دخلهما لا يكفي لتغطيتها.

وبغية كسب دخل اضافي، قام طوني بخدمات متنوعة لأصدقائه، فيما أعان جون رفاق صفه في فروضهم المنزلية. واستعملا في تنقلاتهما دراجتين صنعاهما من قطع مستعملة.

وكانا يستوحشان أيام العطل، ويوم الرابع من ديسمبر (كانون الأول) ذكرى ميلادهما. ثم يتحدثان عن أيام الهناء حين كان شمل الاسرة ملتئما: الأم والاب والاخوات.

لعبة خطرة. كثيراً ما سئل التوأمان عن والديهما، فكانا يجيبان: "أبونا مسافر في عمل." وعندما ضعفت حجتهما هذه صارا يزعمان أن والديهما في اجازة أو أنهما يزوران بعض الاقرباء. ولم يجازفا مرة بائتمان أحد على سرهما.

وكان رجل في موقف المقطورات يدخن الماريوانا ويعرضها على الصبيين احيانا. وذات يوم أخذ منهما الفضول كل مأخذ، فنشق كل منهما المخدر. وبعد دقائق رمق كل منهما الآخر مسراً في ذاته: "هذا لا يجعلني أفضل حالا."

وفي ما بعد، لدى مقارنة مدوناتهما عن تلك التجربة، أدركا أن الرجل اذ "يحلّق" عند تعاطيه المخدر ينقلب شخصا آخر مختلفا، إنسانا في حال لا يودان أن يصيرا اليها. وخلصا الى النتيجة الآتية: كل من يعرض علينا مخدراً يسعى الى إيقاع الفوضى في منظومة حياتنا.

استيقظا ذات صباح فألفيا دراجتيهما مسروقتين. وألقى كل منهما اللوم على الآخر لعدم تثبيتهما بقفليهما. واستعر الجدل بينهما تلك الليلة فغدا شجارا صاخبا. واستدعى جار لهما الشرطة. وما لبث أن قرع بابهما شرطيان، وسألهما أحدهما: "هل والدكما هنا؟"

أجاب طوني متلعثما. "لا."

تأمل الشرطي الولدين المذعورين ثم قال: "لقد ظن جاركما أن أمراً فظيعا يحدث."

قال طوني: "كنا نلعب بخشونة."

أجال الشرطيان نظرهما في المقطورة، فرأيا أثاثها متناثراً من العراك. فقال أحدهما ضاحكاً: "لعبكما بالغ الخشونة. إلعبا، لكن اخفضا الضوضاء. واضح؟"

بعد مغادرة الشرطيين أدرك التوأمان أنهما كانا على وشك تدمير كل ما تعبا من أجله.

إفشاء السر. في السن السادسة عشرة عمل التوأمان في مطعم للوجبات الجاهزة اسمه "دل تاكو." وأخذت المديرة آن كيغ عنهما انطباعا حسناً منذ اللقاء الاول. كانا طلقي المحيا ومتلهفين للعمل ويمكن الاتكال عليهما. وقد عملا خمسة أيام أو ستة أسبوعيا، من الخامسة بعد الظهر الى ما بعد منتصف الليل. وسرعان ما عهدت اليهما المديرة في اقفال أبواب المطعم.

ومع الوقت لاحظت كيغ أن الفتيين يجلسان معاً أمام المطعم وقت استراحة العشاء وهما يتحدثان أو يدرسان. وسألتهما بعد حين: "ألن تتعشيا الليلة؟" فأجابها طوني: "ليس لدينا مال كاف."

أدركت كيغ أن عزة النفس تحول دون طلبهما الطعام مجاناً، وأن استقامتهما تمنعهما من سرقة الطعام من المطبخ. فقالت لهما: "أخبراني ماذا تحبان أن تأكلا، وسيكون لكما ما تريدان."

وتبين لها لاحقاً أنهما يسيران مسافة خمسة كيلومترات من العمل واليه. وأن أيا منهما لا يعزم على أمر إلا بمشورة أخيه.

وذات ليلة أوصلت كيغ طوني الى بيته في سيارتها. كان شهر يونيو (حزيران) على الأبواب، فطلب منها طوني أن تسمح له بالعمل ساعات أكثر في الصيف.

سألته: "ألا تريدان عطلة تستمتعان فيها؟"

أجاب طوني: "لا، علينا أن نعمل."

فجأة أحس طوني ثقل السنين التي أبقى فيها السر مكتوما. وجاهد لحظة ممانعاً، ثم أفشى ما في الحشا: "أبي بعيد عنا ويعيش في المكسيك."

صدمت كيغ لانكشاف الأمر. ولما أفضى طوني بما في نفسه أخذها الاعجاب بشجاعة التوأمين وكدحهما. فسمحت لهما بأن يعملا الساعات الاضافية التي يودان. وقررت ألا تخطر مصلحة الانعاش الاجتماعي بحالهما. وهي صرحت في ما بعد: "طالما وقعت عيناي على أولاد في بيوت أهاليهم وينبغي إشعار السلطات بأحوالهم. لكن هذين الولدين يستأهلان أن يبقيا معاً."

كآبة غامرة. في المدرسة الثانوية التحق التوأمان بخليَّة للبحرية وبناد للخدمات الاجتماعية. ولطالما سهرا بعد انتهائهما من العمل يدرسان حتى الثالثة فجراً. وعلى الانهاك المستمر أحرزا علامات مدرسية فوق المتوسط.

وكلما رأيا الاولاد الاخرين يساندهم آباؤهم شعرا بالوحدة. وجربا رقم الهاتف في المكسيك الذي أعطاهما اياه والدهما، فما من مجيب. وكانت والدتهما أضاعتهما منذ سنين اذ ان والدهما دأب على نقلهما من مكان الى آخر بعد الطلاق.

لم يعلم التوأمان ان أمهما سوكورو مونتانيز تسكن في تشينو التي لا تبعد عنهما أكثر من ٤٠ دقيقة في السيارة، وأنها تبحث عنهما باصرار. وقد أخبرها أحد الاقارب أنهما انخرطا في سلاح البحرية فأمضت أشهراً تحاول تحديد مكانهما من دون طائل. وقال لها آخر ان الولدين مع أبيهما وزوجته في نيكاراغوا. فقطعت الأم عهداً أمام بناتها: "سأعثر عليهما يوماً."

واذ استهل طوني وجون سنتهما المدرسية الأخيرة بدا لهما ان سنوات العمل الشاق وثبات العزم أخذت تؤتي ثمارها وأنهما سيتخرجان في المدرسة. ولكن في أكتوبر (تشرين الاول) ١٩٨٧ بدأت الرتابة المرهقة تحدث أثراً ظاهراً

في طوني. فانتابه في أعماقه شعور بالوحشة والامتعاض. أين أمه؟ بل أين أبوه عند حاجته اليه؟ وانزلق الى حال من الكآبة وانقطع عن حضور الصفوف. ولم يفلح أخوه في حفزه على المتابعة. وبات التوأمان ينقطعان أياماً عن التحادث. وتخلّف طوني عن المدرسة فصلا دراسيا كاملا.

وصبيحة يوم من يناير (كانون الثاني) ١٩٨٨ استيقظ طوني ونظر الى وجهه في المرآة. ذعر للتعبير المستاء الشكاك المرتسم على قسماته، وأسرّ في نفسه: "مهلا، مهلا، أنا لست هكذا."

قصد طوني مدرسة أخرى تقدم دروسا تتيح له إدراك ما فاته. وشككت المديرة في قدرته على اتمام سنة دراسية في فصل واحد. لكنها وافقت على منحه فرصة للمحاولة. فبات طوني يصل الى المدرسة باكرا ويبقى فيها الى ما بعد الرابعة والنصف عصرا، ويتعقب الأساتذة لمزيد من الدروس. وشجع جون أخاه ممثلا دور الأب الفخور.

مكالمة غير منتظرة. بلغ التوأمان الثامنة عشرة ولم يعودا يخشيان افتضاح أمرهما. وإذ لاحت لطوني فرصة زيادة تحصيله العلمي بكتابة قصة، ألف قصته بعنوان "الاستقلال" واصفا فيها حياته وأخيه. ونشرت القصة في صحيفة المدرسة.

وتسلم طوني شهادته الثانوية في حفلة التخرج، فيما أخوه جون وسط الجموع يلتقط الصور معتزاً وينتظر أخاه لتهنئته.

بعد ذلك بوقت وجيز، قبل يوم واحد من تخرج جون في مدرسته، تلقى التوأمان مكالمة هاتفية من احدى أخواتهما التي تمكنت من تحديد مكان اقامتهما. وهي أعطتهما رقم هاتف أمهما.

تساءل جون: "أتراها تذكرني بعد السنين العشر الماضيات؟" أدار قرص الهاتف بأصابع مرتعشة، فأتاه صوت امرأة.

سألها: "أتعرفين من المتكلم؟"

قالت سوكورو مونتانيز: "الصوت أليف..."

قال: "أنا ابنك جون."

جلست الأم مصعوقة مربوطة اللسان.

سألها جون: "هل تحضرين حفلة تخرجي غداً يا أماه؟"

في اليوم التالي كانت الأم والتوأمان والاخوات في عناق وبكاء. وفي حفلة التخرج مشى جون على المنصة مزهوا، فبين المتفرجين أسرة مبتهجة اجتمع شملها.

ويتابع جون دراسته في كلية لادارة الاعمال، لنيل شهادة في تقنيات الاعمال، وهو يعمل الى جانب دراسته في احدى الصحف بدوام جزئي. أما طوني فقد تزوج وتخرج في معهد للكومبيوتر، ويعكف حالياً على دراسة هندسة الديزل في سلاح البحرية.

وما زال التوأمان يتذكران عهدهما: "لن نستسلم مهما حدث."

راندي فتزجيرالد ■



دعي طفلك ينمو مع سيريلاك
سيريلاك
Cerelac
Wheat-Banana
Rice بالأرز
Wheat-4 fruits
بالقمح مع ٤ فواكه
Nestlé
سيريلاك
الطعام الأول لطفلك بالملعقة
عندما يبلغ طفلك شهره الرابع
لا يعود الحليب وحده يكفيه .
عليك بوجبة من سيريلاك
سيريلاك متوفر بعدة أنواع تلائم مذاق
طفلك . سيريلاك يحتوي على العناصر
الغذائية الأساسية التي تؤمن
لطفلك نموا متناسقا
وسليما .
Nestlé
تضمنه
نستله

الذوق الايطالي يطبع العصر

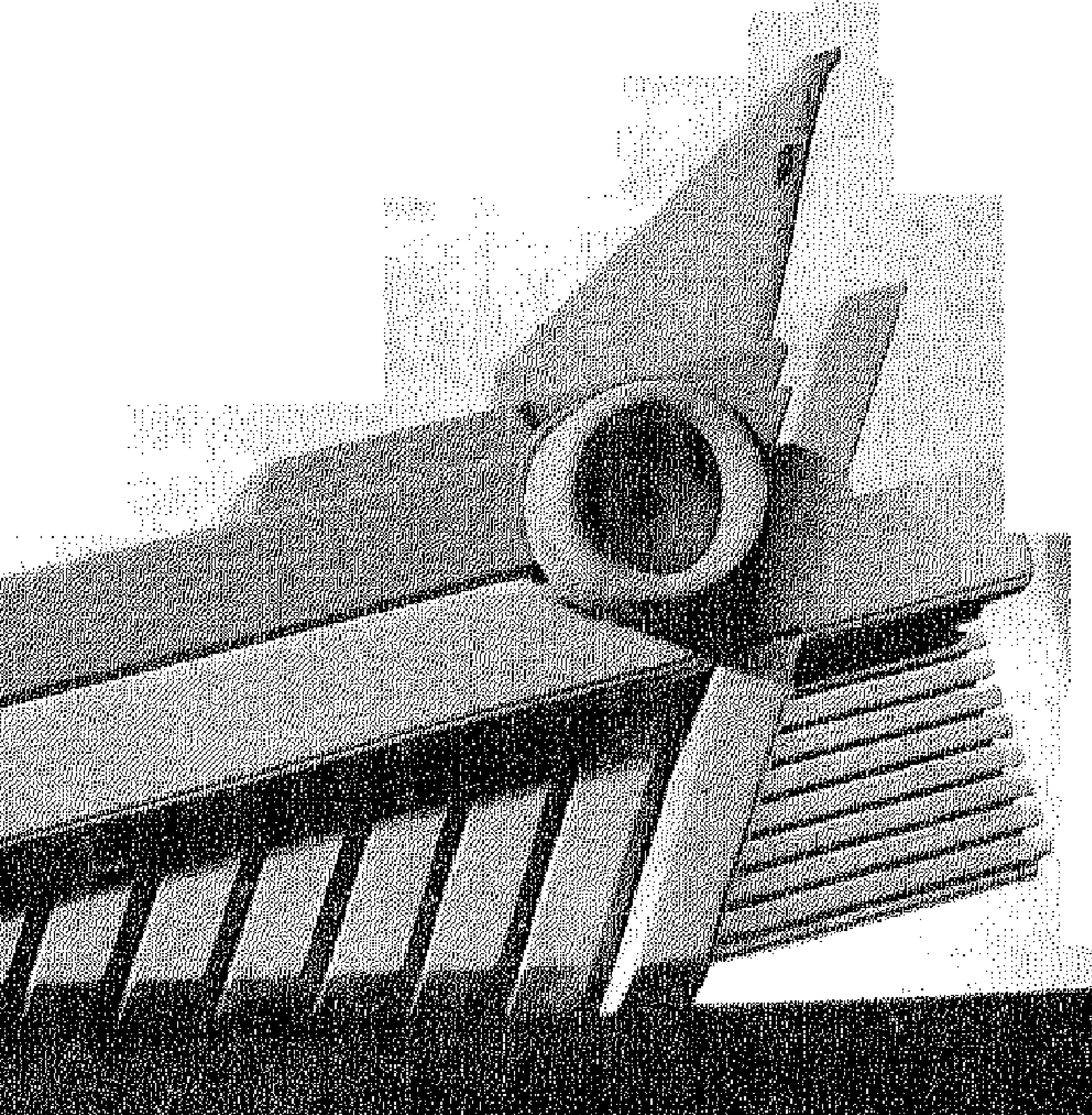
لا مثيل للعبقرية الابداعية
والتذوق الجمالي اللذين يتسم بهما
مصممو الصناعة الايطاليون

خلال العقود الثلاثة المنصرمة وطّد التصميم الايطالي منزلته فبات الافضل في العالم. لنتأمل الحقائق الآتية:

□ تساهم التصاميم الايطالية في بيع بضائع بقيمة ١٢٠ مليار لير ايطالي سنويا. ويلاحظ عالم الاقتصاد الشهير جون كينيث غالبريت من جامعة هارفرد أن التصميم الايطالي البديع أنعم على ايطاليا بأحد أعلى معدلات النمو في أوروبا منذ الحرب العالمية الثانية.

□ صمم الايطاليون ست سيارات من أصل العشر الاكثر مبيعا في اوروبا.

□ تعرض ايطاليا منتجات أكثر من أي بلد آخر في مجموعة التصاميم التي يضمها متحف الفن العصري الشهير في نيويورك.



أهذا مبنى مستقبلي لسيناريو فيلم علمي – خيالي؟ كلا، انها الآلة الكاتبة «ET 55P» التي صممها ماريو بيليني لشركة "أوليفيتي."

التصميم، في نظر كثيرين، يعني الاثاث والمصابيح الرائدة التي تباع بأسعار فاحشة. قليلون يتوقفون ليفكروا في أن التصميم هو قلب العمل الصناعي، بدءاً بالفكرة الاولية المبدعة وانتهاء بعملية التوضيب. ويحدد التصميم الصناعي العصري غالباً طريقة عمل السلعة وتركيبتها، لكن وظيفته الرئيسية تبقى ابراز نوعية السلعة وأصالتها عبر شكلها الخارجي. فالتصميم البديع يقرر أحيانا امكان بيع السلعة أو بقائها على الرفّ.

ويرى سيرجيو بيننفارينا رئيس الاتحاد الايطالي للصناعات وأحد مصممي السيارات البارزين، أن "التقدم التكنولوجي يجعل المنتجات الصناعية تزداد تشابهاً، سعراً وفاعلية. ولا فوارق كثيرة اليوم بين سيارتين أوروبيتين من فئة واحدة في السوق، مجهزتين بمحركين متعادلي القوة. انما الفارق هو في حسن التصميم."

وفيما يتضامن أصحاب المصانع يرجح أن يستمر الاتجاه نحو توحيد المقاييس الهندسية. فشركات "بيجو" و"رينو" و"فولفو" أنتجت سيارات متنافسة مجهزة بالمحرك ذاته، في حين زودت أربع سيارات - "لانسيا ثيما" و"فيات كروما" و"صاب ٩٠٠٠" و"ألفا روميو ١٦٤" - الهيكل التحتي ذاته وفيها كثير من الاجزاء الميكانيكية المشتركة. لكن كل واحدة منها تبدو مختلفة تماماً عن الاخريات.

أهل الفن. بدأ التصميم الصناعي العصري في العشرينات مع حركة "بوهاوس" الالمانية التي سعت الى دمج الوظيفة والجمال في هندسة العمارة والاثاث والسلع. وفي الخمسينات سيطر الاسكندينافيون على الميدان بتصميم هندسي تضمّن استخدام الزجاج والخشب والصفائح.

أما جذور التصميم الايطالي فثقافية وتاريخية. فحماسة الذوق لدى الايطاليين شحذت بطبيعة عيشهم في بلاد غنية بكنوز العالم الفنية. وكان للشركات الايطالية الجبارة، مثل "أوليفتي" و"نيتشتشي"، والصناعات العائلية الصغيرة دور أساسي أيضاً. يقول كارا ماكارثي القيِّم المساعد على مجموعة التصاميم في متحف الفن العصري: "ان الشركات الصغيرة، والمتوسطة خصوصا، شجّعت الاستخدام الاختباري للتكنولوجيا والمواد الجديدة، وكانت منفتحة على التجربة الجمالية الجديدة والألوان والاشكال."

من هذه شركة "بريونفيغا" للالكترونيات في ميلانو التي أسسها الزوجان جوسيبي ورينا بريون عام ١٩٤٨. وقد استخدم الزوجان مصممين بارزين أمثال فرنكو البيني وأشيل كاستيليوني وماركو زانوسو وايتوري سوتساس وماريو بيليني، فأنتجوا لهما سلسلة من أجهزة الراديو والتلفاز منها تسعة في مجموعة متحف الفن العصري، وهذا رقم قياسي لاي شركة الكترونيات.

واليوم هناك قائمة انتظار طويلة لجهاز التلفاز "أوبرا ٣٣" الذي صممه بيليني عام ١٩٨٧ ويباع بأربعة ملايين لير (٣٥٠٠ دولار). انه تحفة فنية يكفي النظر اليها من دون عرض مصور.

ويبرز في بعض الاحيان فارق دقيق بين التصميم الاصلي والهندسة الابتكارية. فشركة "بريونفيغا" تسعى دائماً الى انجازات تكنولوجية محسَّنة. وفي الستينات كانت الشركة الأوروبية الاولى التي تسوّق جهاز تلفاز مزوداً نظام ترانزستور.

وقد أراني ماريو بيليني جهاز هاتف دقيقاً كرقاقة صنعه لشركة "نيبون" اليابانية للبرق والهاتف مستخدماً التكنولوجيا الالكترونية.

أصحاب نفوذ. حين زرت ماركو دل كورنو الذي يرئس "ديزاين غروب ايطاليا" في ميلانو، وجدته مكبّاً على انجاز مشروع لاحدى شركات التلفزة. قال: "نحن عاكفون على تصميم ١٢ جهازاً مختلفاً وايجاد طريقة لصنع الاجهزة المختلفة بعدد أقل من العمليات. فالتصميم، الى تجسيده الابتكار والبراعة والجمال، يجب أن يكون مقبولاً عملياً كمشروع صناعي."

شركة "جاكوزي" لأحواض الاستحمام المدوِّمة، قصدت دل كورنو كي يصمم لها مجموعة جديدة من أحواض الاستحمام. وهو الذي أعاد رسم المقصّ الثوري "سنيبس" لشركة "تولين" النيوزيلندية فبات استخدامه مريحاً أكثر وأيسر على الناس العسر. وحين قابلته في يناير (كانون الثاني) ١٩٨٩ كان هو وشركته منحا جائزة التصميم الصناعي الفرنسية "جانو" لتصميمه مرشّة زراعية، وقد ازدادت مبيعات شركة "تكنوما" ٥٠ في المئة



سيرجب
بينفارينا وسيار
الأسطورية "فيرار
تستارو

CAR: ARCHIVIO DESIGN OLIVETTI PORTRAIT: C. CERCHIOLI / GRAZIA NERI

اشتهر دل كورنو بتصميمه قلم "تراتو" الانيق ذا الريشة الليفية الاصطناعية، وهو أسطوانة بلاستيكية رشيقة ذات طرفين مستديرين، وقد صنع منهُ عشرات الملايين وميزة "تراتو" ليست فقط أنه رخيص الثمن وعملي وحسن المظهر، بل أنه مصنوع آليا بكامله. ومن ميزات تصميمه امكان تجميعه ميكانيكيا من دون تدخل بشري.

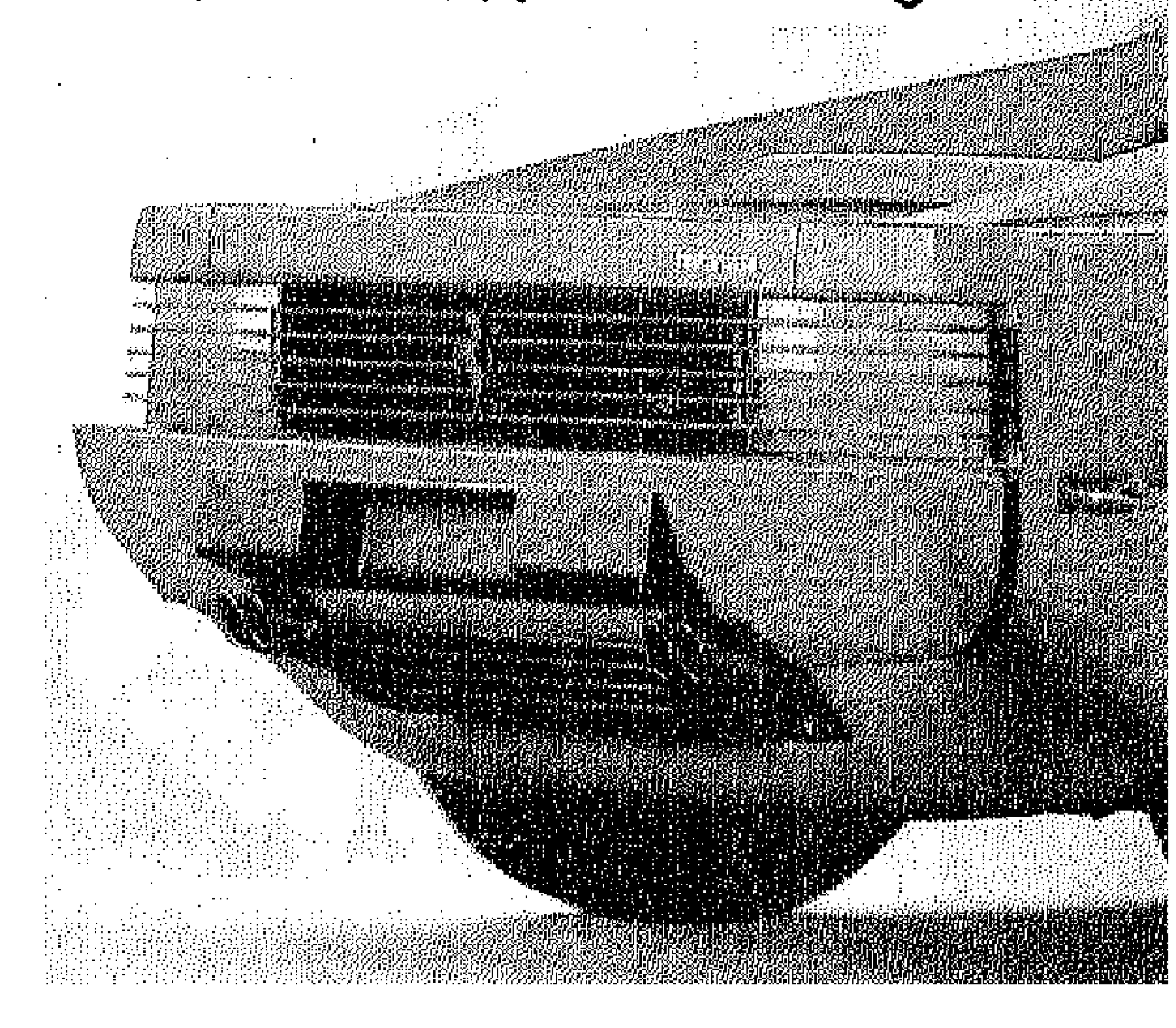
ويتمتع المصممون الصناعيون بتأثير هائل، اذ بشحطة قلم يغيرون مظهر الاشياء اليومية ويعدلون نظرتنا اليها. ويقيم في ميلانو رجل اسمه رودولفو بونيتو مختص بتصميم داخلية السيارات وخصوصا ألواح أجهزة القياس. لكنه هو أيضا الرجل الذي حوَّل كل معدات تكبير الصوت "هاي – فاي" الى اللون الاسود. ففي العام ١٩٧٤ طلبت شركة "فوكسون" الايطالية من بونيتو تصميم مجموعة "هاي – فاي" جديدة باستخدام أجزاء متوافرة أصلا. في ذلك الوقت كانت الاجهزة السمعية مصنوعة



مصباح "أركو"، ومخترعه اشيل كاستيليوني يعرض لوازم المائدة التي صمّمها لشركة "اليسي."

من الخشب أو المعدن المصقول. وتعين على بونيتو استخدام معايير قوة سوداء اللون، فبدا مظهرها غير لائق... الى أن غلّف مكبر الصوت كله ببلاستيك أسود غير برّاق. وهكذا حُلّت مشكلة المظهر الجمالي الذي أضفى على الجهاز السمعي سمتي الاهمية والثقة. ويقول بونيتو مازحا: "الان أصبح في امكانكم اقتناء جهاز بأي لون تشاؤون... ما دام أسود."

عملاقة السيارات. هل تودون رؤية نموذج أولي لطاولة أو مصباح أو تلفاز أو كمبيوتر؟ اقصدوا ميلانو حيث يقيم معظم



RTRAIT: IL QUADRIFOLIO FOR OFFICINA ALESSI LAMP: ARCHIVIO DESIGN OLIVETTI

المصممين الصناعيين الاول في العالم. أما تورينو فهي مقر تصميم السيارات، وتحديداً استوديو جورجيتو جوجيارو (٥٢ عاماً) الذي يصنع تصاميم للسيارات منذ كان حدثا. وتدين سيارات "فولكسفاغن غولف" و"فيات أونو" و"فيات باندا" بمظهرها الى شركة جوجيارو "إيطالديزاين" التي أسسها عام ١٩٦٨. وحين عزمت شركة "رينو" الفرنسية على توظيف ١٢٠٠ مليار لير (نحو مليار دولار) لانتاج سيارة تنافس "فولكسفاغن غولف" و"فيات تيبو" و"أوبل كاديت"، طلبت من جوجيارو وضع تصميم لشكلها. وحين أنزلت "رينو ١٩" الى السوق في يونيو (حزيران) ١٩٨٨ شهدت نجاحاً خاطفاً.

كيف يصمم جوجيارو وكيف يعمل؟ قصدته في مقر شركة "إيطالديزاين" في ضاحية المدينة. كانت قاعة الاستقبال مزدانة بنماذج سيارات جوجيارو، لكن منطقة العمل محظرة على الزوار. وتدابير الحماية في مقر "ايطالديزاين" صارمة جداً لان ما من صانع سيارات الا ويرغب في الاطلاع على ما يخبئه جورجيتو جوجيارو من ابتكارات.

قال لي جوجيارو: "يبدأ تصميم السيارة بتحليل دقيق جداً. نسأل أنفسنا: من سينتج هذه السيارة؟ أين ستستخدم؟ وكيف؟ من سيقودها؟ ونبحث في الطرق الفضلى لخفض تكاليف الانتاج. ويأتي الشكل النهائي للسيارة نتيجة هذا التحليل."

والميزة التي تتفوق بها "ايطالديزاين" هي قدرتها على توفير كل الخبرات المطلوبة لانتاج نموذج ما، من دراسات الجوانب العملية والملاءمة الى هندسة بدن السيارة وهيكلها وطريقة تجميعها ونطاق ألوانها. وتضم الشركة ٣٣٠ موظفاً وقد بلغ ربحها الاجمالي عام ١٩٨٨ نحو ٦٠ مليار لير (٥١ مليون دولار). وهي ابتكرت ٧٤ نموذجاً أنتج منها ٣٦. وكل مصانع السيارات الرئيسية في أوروبا واليابان وكوريا الجنوبية والولايات المتحدة هي من زبائنها.

ولا يقتصر نشاط جوجيارو على

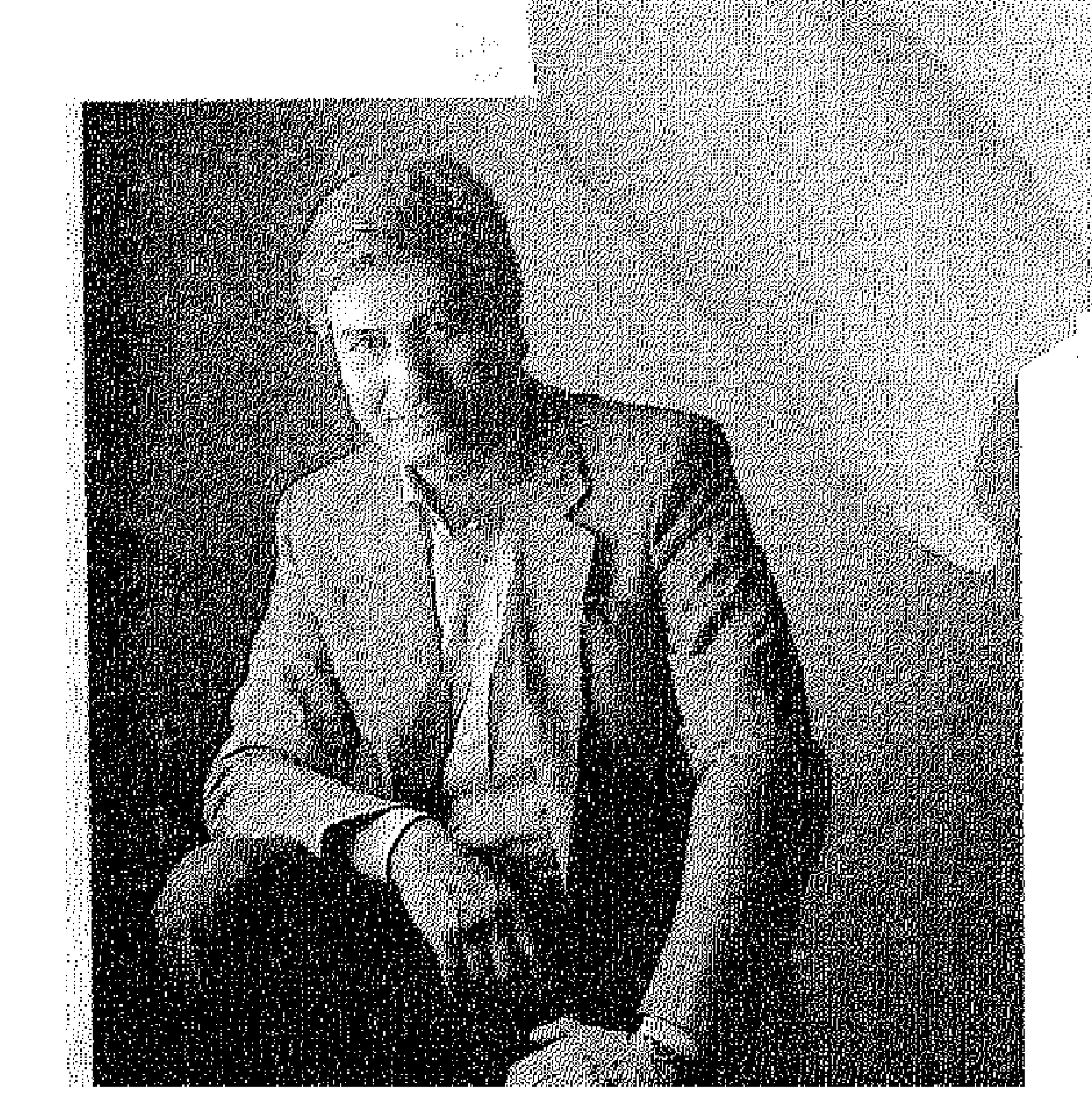


ماتيو تون وحديقة حيوان خزفية.

PHOTO: MATTEO THUN

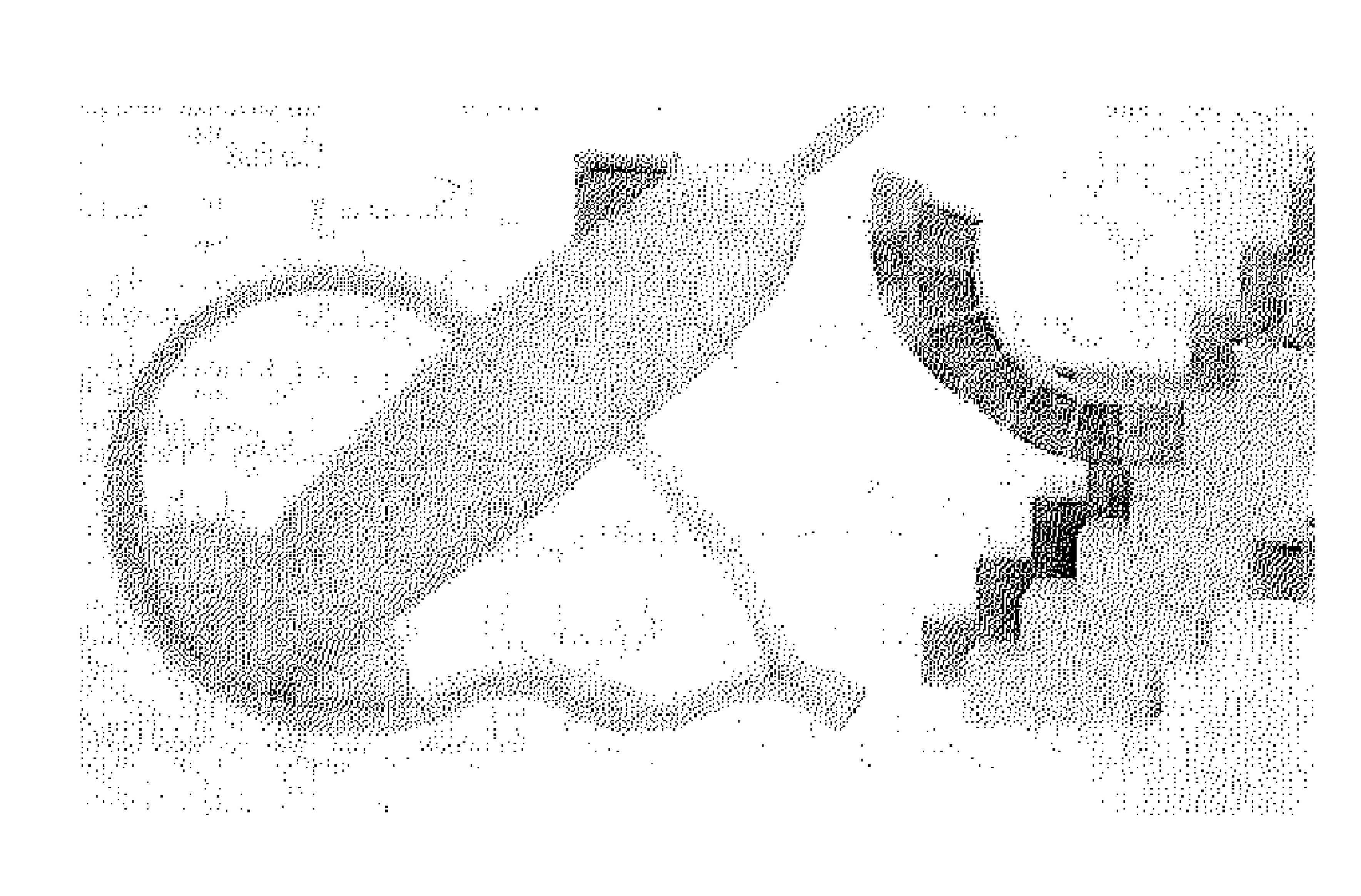
حتى المعكرونة (باستا) تظهر مع اصناف المنتجات الكثيرة التي صممها ورجيتو جوجيارو.

السيارات، بل هو يقبل تحديات التصميم في أي حقل. وكان في العام ١٩٧٤ أسس شركة "جوجيارو ديزاين" وهي فرع من "ايطالديزاين" يختص بالتصميم الصناعي. فباتت الآن مؤسسة مستقلة مهمتها "ملء الفراغ والهدوء الحاصلين بين طلب تصميم سيارة وطلب أخرى." وفيها صممت آلات تصوير "نيكون" وساعات "سايكو" وماكينات الخياطة "نيكتشي" وحتى نوع جديد من المعكرونة (باستا) لشركة "فويلو."



سعي الى الجمال. اذا كان جوجيارو يصنع أكثر السيارات مبيعاً فان سيرجيو بيننفارينا (٦٤ عاماً) يصنع أجمل السيارات. وقد نمت شركة عائلته التي أسسها والده باتيستا عام ١٩٣٠ في تورينو، وغدت مجموعة صناعية جبارة تضم ١٩٠٠ عامل وبلغ ربحها الاجمالي عام ١٩٨٩ نحو ٣٧٢ مليار لير. يقول بيننفارينا: "السعي الى الجمال والشخصية الجمالية يجب أن يكون هدف المصمم الرئيسي." وتبدو أفضل تصاميمه كأنها سرمدية فعلا، فمظهر "فيراري ديتونا" عصري حاليا كما كان يوم اطلاقها عام ١٩٦٨.

ولا يقتصر عمل الشركة على وضع التصاميم، بل انها تصنع سيارات وهياكل جاهزة في مصانعها في غروغلياسكو احدى ضواحي تورينو وفي سان جورجيو كانافيسي. وقد صنع منها ٢٠ ألفاً العام ١٩٨٨. وتصمم شركة بيننفارينا نماذج سيارات عملية مثل "بيجو ٢٠٥"، لكنها مشهورة بصنع نخبة السيارات مثل "ألفا روميو ١٦٤" و"فيراري تستاروسا"



PORTRAIT: ITALDESIGN PASTA: GIUGIARO DESIGN

و"فيراري ف ٤٠" و"فيراري ٣٤٨" و"بنتلي كونتيننتال" و"رولز رويس كامارغ." وأسندت "جنرال موتورز" الى بيننفارينا صنع سيارة "كاديلاك ألانتي" الفخمة التي ينتج نصفها في الولايات المتحدة والنصف الآخر في ايطاليا. ووضعت شركته تصاميم القاطرات والمقطورات في قطار «ETR 500» السريع الذي تسيره مصلحة السكك الحديد الايطالية، كما صممت احدى أحدث العربات المعلقة (تلفريك) التي احتفل بتدشينها في أكتوبر (تشرين الاول) ١٩٨٨ على قمة غران ساسو في جبال الابنين.

نفحة عصرية. صناعة السيارات والصناعات الهندسية هي كبرى حقول التصدير في ايطاليا. لكن التصميم ساعد أيضا على جعل صناعة الاثاث الايطالية أحد المصادر الرئيسية للعملات الصعبة في البلاد، وبلغت قيمة صادرات الاثاث عام ١٩٨٨ نحو ٨٠٠٠ مليار لير (٧ ملايين دولار). وبات بعض المبتكرات الايطالية يعتبر روائع فنية، مثل مصباح "آركو" الذي صممه آشيل كاستيليوني وكرسي "كاب" الذي صممه ماريو بيليني.

بيليني اليوم في الخامسة والخمسين. وهو تعاطى جميع نواحي التصميم، من البناء الى الآلات المكتبية ومن الاثاث الى أدوات المائدة، خلال حياة عملية امتدت ٣٠ سنة. الا أنه اشتهر بتصميمه آلات كاتبة ومكتبية لشركة "أوليفيتي."

داخل استوديو بيليني في ميلانو تكلمنا على التحديات التي تواجه التصميم المعاصر. فالالكترونيات والنمنمة منحت المصممين حرية ابداعية هائلة لأنهم تحرروا من التقيد بأنظمة ميكانيكية جامدة. و"لكن،" يقول بيليني، "يجب استخدام تلك الحرية بحكمة، فلا معنى في جعل مفاتيح الآلات الحاسبة صالحة فقط لاصابع طفل ابن سنتين. وتصميم الأثاث معقد في هذه الايام. فالكرسي ومسكة الفنجان لهما تاريخ يعود الى خمسة آلاف سنة خلت. فهناك مجال صغير جدا للتحسين."

بيليني حرفيّ ماهر. فهو، كالنحات، يبدأ بصنع أشكال جامدة ثلاثية الابعاد حتى يتحقق له ابراز التأثير الذي يريده. وما يريده "شيء نبيل سام. فهذه ليست مسألة تكنولوجيا أو أداء فحسب. الغاية الحقيقية هي الشكل والجمال وتعبير التصميم عن روح عصره، أي أن يكون عصريا."

والنفحة العصرية قد لا تجد نصيراً أفضل من ماتيو تون، وهو شاب وسيم في الثامنة والثلاثين نال أسلوبه الثوري استحسانا واسع النطاق وحقق له النجاح. ومسكات فناجين القهوة التي صممها تذكرنا بأذني "ميكي ماوس" الكبيرتين.

يقول تون: "نحن جيل اللمسة الرفيعة. وتأتي اللمسة الرفيعة بعد التكنولوجيا العالية. نريد حياة أكثر راحة وأكثر اثارة

تلامس الاحاسيس والقلب على السواء."
لذا يستخدم تون ألواناً وأشكالا وتركيبات غير متوقعة ليبرز مؤثرات حادة مرئية وملموسة. لكن في انطلاقات خياله الجامح صرامة ودقة بالغتين أيضاً، وهو عكف طوال ثلاث سنوات على تصميم كأس لشركة "كامباري" صُنع منها ٢٠٠ فقط تهديها الشركة في مناسبات خاصة.

لقد شادت الاجيال السابقة صروحا وقصوراً وأنصابا تذكارية. أما في عصرنا فنفضّل أن نترك بصماتنا على أشياء قصيرة الاجل. لكننا نسعى باستمرار الى تحسين نوعية الاشياء اليومية. ويقول فرنشيسكو برامبيلا الاستاذ الفخري لعلم الاحصاء في جامعة بوكوني بميلانو: "الآن، كما في القرن الامس عشر، نجد أنفسنا فجأة في بحبوحة، ونشهد نهضة جديدة يزدهر فيها الفن والثقافة. واليوم نرى أن رعاة الفن العظيم ليسوا رجالات الدين والدنيا كما في الماضي، بل الصناعيون والمتعهدون. ففي أيامنا لم يعد تذوق الجمال وقفاً على القلة الثرية، فالتصميم المبدع الذي يغني حياتنا ويطبعها بالنبل والجمال هو في متناول كل منا.

كريستوفر ماثيوز ■



"زودة البيّاع"

فيما كنا نغسل نوافذ أحد المجمعات السكنية، عمد أحد الزملاء الى غسل نوافذ شقة لم يشملها الاتفاق. واذا بالمالك يهرع الينا هاتفاً: "انا لم أكلفكم غسل نوافذي، وأرجو ألا تقيدوا النفقة على حسابي."

فرد الزميل ببداهة: "لا بأس، هذا عمل نؤديه على حساب الشركة، فكلما كُلِّفنا تنظيف المجمع نعمد الى تنظيف شقة اضافية مجاناً، لكي نظهر لمالكها الفرق في مظهر شقته وما يفوته من فائدة ان هو ترك نوافذها قذرة."

فربحت الشركة بهذا الرد زبوناً جديداً وشعاراً ترويجياً بارعاً، ونال الزميل تقديراً وترقية.

ل.ا.

كانت أمي في صفك

في بداية السنة الجامعية تقدمت من أستاذ اللغة الانكليزية وعرّفته بنفسي قائلة ان التحاقي بصفّه كان بناء على توصية أمي. فعلَت الدهشة وجهه، ولم تفارقه حتى أخبرته أن أمي درست المادة في فصل الصيف الفائت.

فقال عندئذ: "الحمد لله، لم اظنني ساسمع عبارة "كانت امي في صفك" قبل عشر سنين على الاقل."

ت.ا.

عيون جاحظة وأفواه فاغرة وصراخ لا ينقطع في رحلة مثيرة قصيرة تكاد لا تنتهي

القطار الأفعواني: نطير مثل فراشة على سكة مجنونة

حين كنت في الثانية عشرة من عمري قصدت مدينة الملاهي المحلية لركوب القطار الافعواني[1] الخشبي الذي عتق وتقشر طلاؤه. حبست أنفاسي وحافظت على رباطة جأشي متظاهراً بالشجاعة فيما القطار يرتقي السكة الصاعدة الى القمة. ولكن عندما أشرف القطار من القمة وجدتني أحدق جاحظاً الى هاوية "المهبط الاول." وتقيأت فطوري الصباحي فوراً. ومضت أربعون سنة قبل أن أركب قطاراً أفعوانياً ثانية.

(١) Roller coaster

(الى اليسار) "أنشوطات" و"فتاحات سدادات" في "غودوريكس" في متنزد "أستريكس" خارج باريس (تحت) أفعوانية "الركوب وقوفا" في متنزه "سمرلاند" بأسوج (السويد)

COURTESY OF SKARA SOMMARLAND



للوهلة الاولى لا تبدو "غودوريكس" سكة قطار أفعواني، وهي احدى نجوم الملاهي الجذّابة في متنزه أستريكس خارج باريس. وتنبسط "غودوريكس" في أرض الريف الفرنسي، وتتلوى قضبانها المصنوعة من أنابيب الصلب فتبدو أشبه برسم هائل منقوش على صفحة الطبيعة. لكن "غودوريكس" وحشية، وهي مثال عن ذروة الفن في بناء الأفعوانيات. فخلال ١٢٠ ثانية يندفع القطار بركابه في سرعة جنونية الى علو يعادل ارتفاع بناء من ١٣ طبقة، ثم يهبط بسرعة ٨٥ كيلومتراً في الساعة عبر سلسلة من المتاهات الأنشوطية واللولبية في أشكال فراشة وبومرنغ[٢] والرقم «8». فيدوّم بركابه صعوداً ونزولا سبع مرات ويعرّضهم (لفترة قصيرة والحمد لله) لأربعة أضعاف قوة الجاذبية، ثم يستقر بهم على الارض منهكين يلتقطون أنفاسهم – ولكن سالمين!

وتلك لعمري مغامرة رائعة. أعرف ذلك لأني امتطيت "غودوريكس" صيف ١٩٨٩ خلال موسمه الاول. هذه المرة حرصت على ارجاء تناول فطوري الى ما بعد المغامرة.

مهووسون! العالم مأخوذ بجو المرح والصخب الذي يسود أفعوانية الملاهي. فقد تضاعف عدد الافعوانيات في العالم الى أكثر من ٢٠٠ في السنين العشر المنصرمة. وكانت هذه الملهاة ظاهرة أمريكية محضا، واذا بها تنتشر بسرعة في أوروبا والشرق الاوسط وآسيا. وهناك تصاميم فنية جديدة تهدف الى اختبار حدود الاحتمال والاقتناع البشريين. ففي "عالم لوث" في سيول بكوريا الجنوبية يتقاطع جسر عبور للمشاة مع أنشوطة أفعوانية دائرتها ٣٦٠ درجة. هناك يستطيع المشاة مراقبة وجوه الركاب المرتعبين فيما تمر بهم العربات مندفعة بسرعة هائلة وركابها مقلوبون ورؤوسهم الى تحت. وفي متنزه "سمرلاند" في سكارا بأسوج (السويد) يُشدّ الركاب الى أحزمة محشوة من الصلب، ويهبطون ٢٥ متراً على نحو شبه عمودي وهم وقوف، الى أنشوطة تقلبهم "قلبة" كاملة. وفي "فانتازيالاند" جنوب كولونيا بألمانيا الغربية، بنَت الشركة الهولندية "فيكوما" أطول أفعوانية داخلية في العالم – جبّارة طولها ١٣٠٠ متر محشورة في بناء يرتفع ٢٢ متراً. وهي تستوعب ١٩٠٠ راكب في الساعة وتعمل في ظلام مريك شبه كامل.

تطورت الأفعوانيات كثيراً منذ نشأتها مزلجة في روسيا القيصرية في القرن السادس عشر. وفي أوائل القرن التاسع عشر طوَّر باريسيون من أصحاب المشاريع نسخة معدّلة من هذه المزلجة جهزت بعجلات تسير على سكة حديد، وحولوها ملهاة شعبية جذّابة سمّيت "الجبال الروسية." وفي العام ١٨٨٤ تمّ بناء أول أفعوانية عصرية خشبية في جزيرة كوني بنيويورك، وهي تتضمن عدة

(٢) البومرنغ خشبة ملوية يستخدمها الاوستراليون قذيفة، ومنها صنف يرتد الى صاحبه.

عربات تسيّر على خطوط كالسكك الحديد. وزالت الأفعوانيات الخشبية إبان فترة الركود الاقتصادي، واستعادت عزها لدى اختراع قضبان الصلب الأنبوبية وعجلات الـ"بوليوريثين."

فالعجلات الجديدة ثبتت العربات بالسكة فعلاً، فأتاحت ركوباً أسلس وأهدأ ومناورات بارعة كانت تعتبر خطرة. وحسّن الالماني أنطون شفارتزكوف الانشوطة العمودية ذات الـ٣٦٠ درجة الى حد الكمال. وفي شركة "آرو" في الولايات المتحدة ابتكر رون تومر "فتّاحة السدادات" وهي أنشوطة تلولب الركاب جانبياً وهم مقلوبون. وتومر مهندس ميكانيكي عمل مع وكالة الفضاء الامريكية (ناسا) في برنامج "أبولو."

ومن المهووسين بالافعوانيات أفراد يركبونها من الفجر حتى الغسق. (حاملا الرقم القياسي العالمي هما دانيال غلادا ونورمان سان – بيار اللذان ركبا افعوانيات لمدة ٥٠٣ ساعات في مونريال بكندا. وللمتحمسين هؤلاء قوانينهم الخاصة بالركوب (الأيدي مرفوعة في الهواء والأقدام فوق الارضية). ولهم لغتهم الخاصة (الزاخرة بتعابير غنية مثل "المنطقة الميتة" و"الجاذبية السلبية"). ولهم ناديهم «ACE» اي "النادي الامريكي لهواة الافعوانيات."[٣]

متعة حقيقية. ولف تيماير "معلّم" في صنع الادوات المعدنية، وهو ممثل نادي «ACE» في ألمانيا الغربية وبلجيكا وسويسرا وهولندا. وهو لم يركب أفعوانية في حياته الى أن شاهد عرضاً تلفزيونياً عن أمريكي مهووس بالأفعوانيات، وانضم الى نادي «ACE» في العام ١٩٨١. وهو يعترف: "كنت مرتاعاً خلال تجربتي الاولى، أما الان فركوب الأفعوانيات هو شغلي الشاغل."

يجوب تيماير أوروبا مقوِّماً الأفعوانيات لنادي «ACE». وهو يقول: "الولع بالأفعوانيات هو صنو الادمان. فاذا ابتليت بها مرة فلا سبيل لك الى الامتناع عنها. فتنمو رغبتك في ركوبها وتسعى الى اختبار أفعوانيات أكبر وأسرع وأفضل. تعتقد زوجتي أني مجنون. وقد تكون على حق."

الأفعوانيات المفضّلة لدى تيماير هي "غراند ناشونال" الخشبية المجهزة بخطي سكة في "شاطىء بلاكبول للملاهي"[٤] ببريطانيا، و"ثريلر" التي تضم أربع أنشوطات كاملة من ٣٦٠ درجة وهي أحد ابتكارات شفارتزكوف المصممة خصوصاً للمعارض المتنقلة، اذ يمكن تفكيكها وشحنها، ويستغرق تركيبها ثلاثة ايام اذا عمل عليها ١٢ رجلاً. لكن تيماير لم بختبر بعد "غودوريكس" ولا الركوب وقوفاً في أفعوانية "سكارا."

أندرو هاين رئيس تحرير نشرة "فرست دروب" المختصة بالأفعوانيات والتي تطبع في ميدلسكس ببريطانيا. وهو

---

(٣) American Coaster Enthusiasts

(٤) Blackpool Pleasure Beach

يقول ان الـ"أناكوندا" في متنزه "بيغ بانغ سمورف" في ميتز بفرنسا هي أروع الأفعوانيات الخشبية ذوات السكة الواحدة في القارة الاوروبية. ويضيف بحماسة: "يبلغ طول أول مهبط فيها ٣٣ متراً بانحدار ٦٥ درجة. ولدى وصول القطار الى أعلى التلة الثانية ينعطف حول لفّة وهو مائل على جانبه. وتلك لعمري متعة حقيقية."

تسيَّر كل القطارات الأفعوانية بقوة الجاذبية. يُقْطَر القطار بسلسلة متحركة الى قمة التلة ثم يُطلَق. وما هي الا بضع ثوان حتى يبلغ سرعة قصوى نموذجية هي ٨٠ كيلومتراً في الساعة. وهذا يحمِّل البناء الداعم ضغطا هائلا. وكانت الأفعوانيات الخشبية القديمة مدعومة بسناد خشبي يزيد ٦٠ في المئة على الدعم المطلوب. وكان عامل يراقب سرعة القطار وهو يضبط كابحاً يدويا. وبغية تجنب حدوث خطأ بشري، تُضبط الأفعوانيات العصرية المصنوعة من الصلب أو الخشب بواسطة أجهزة كمبيوتر تقتفي مسار كل قطار وتحرك "كوابح موازنة" متى تجاوزت السرعة أو قوى الجاذبية الحدود المعيَّنة. ويوقف الكمبيوتر الجهاز بكامله لدى أول مؤشر خطر. ويفحص معظم الأفعوانيات يومياً في سبيل كشف الأضرار والتخريب المتعمّد واجهاد الاجزاء المعدنية. وينصح الخبراء بتجنب الأفعوانيات التي تبدو صيانتها سيئة وسناداتها صدئة ودعامات مقاعدها مكسورة وطلاؤها متقشراً.

راكبون وراغبون. البراعة هي في بناء أفعوانية آمنة تماما ومروِّعة في آن. والافعوانية في نظر المهندسين مجرد وسيلة نقل، وهي لا تصبح "ثريلر" أو "غودوريكس" الا حين تلتف خطوطها كالامواج أو كالبسكويت المشبَّك لتوليد قوى الجاذبية الهائلة التي تحدث السرعة والارتعاشات المثيرة. لذا يتعين على المصممين أن يكونوا حريصين ومتنبهين. فقوة "ج" (٥) واحدة تمثل قوة الجاذبية الارضية العادية على الجسم البشري، ويمكن الشخص العادي الصحيح الجسم تحمّل خمس وحدات "ج" لمدة ست ثوان. لكن التعرض لاكثر من ثلاث وحدات "ج" لمدة دقيقة (وهي نصف مدة رحلة في القطار الأفعواني) قد يؤدي الى الغياب عن الوعي. حين اكتمل بناء "غودوريكس" فيكوما في يناير (كانون الثاني) ١٩٨٩ ركبها رئيس الشركة جاك هوبن في أول رحلة اختبارية. ونزل منها مترنحا، وأمر على الفور باجراء تغييرات في قسم "الفراشة." وقال في ما بعد: "كانت قوى الجاذبية عالية جداً، فعدَّلنا شكل الهيكل لتغيير زاوية المنحنى."

وحتى بعد تعديل "غودوريكس" ظل القلق يساور هوبن من أن تكون الرحلة

(٥) G-force

منظر من قمة افعوانية في سانتا كروز بكاليفورنيا، لحظة سقوط القطار في اول مهبط من المهابط الكثيرة.

فيها عنيفة وتتجاوز ميول الاوروبيين. قال: "يفضل الاوروبيون ركوباً أسلس مما يستسيغه الامريكيون. ولا أعتقد أن نسبة الزائرين الذين يتجرأون على ركوب "غودوريكس" في متنزه "أستريكس" ستتجاوز العشرين في المئة. ولكن اذا هم جاؤوا لمشاهدة غيرهم يركبون فستكون النتيجة مرضية أيضاً.

وشركة "فيكوما" رائدة في مضمار هذه الصناعة، وقد أنتجت ٤٠ في المئة من أفعوانيات الصلب الضخمة في العالم خلال السنين العشر المنصرمة. وبدأ ذلك مصادفة في أواسط السبعينات من هذا القرن حين زار هوبن "نوتس بيري فارم" وهي مدينة ملاه معروفة في كاليفورنيا.

ويتذكر هوبن: "كنا حينذاك عاكفين على صنع منشآت لصناعة البتروكيميائيات في معملنا في فلودروب. وكانت الصناعة في تقهقر وتعيَّن علينا التفتيش عن باب جديد للعمل. وكانت لدى نوت أفعوانية جديدة غريبة ومثيرة من صنع "آرو" تدعى "فتاحة السدادات." لذا قصدت مديري "آرو" في الولايات المتحدة فمنحوني حقوقاً حصرية للانتاج في أوروبا." وفي أواسط الثمانينات أعلنت شركة "آرو" الأم الالمانية الغربية إفلاسها، وتمكّن هوبن من إحراز براءات بعض اختراعاتها. وبنت "فيكوما" أفعوانية بديلة لمتنزه "نوتس بيري فارم" وأمنت شركة "آرو" القطارات.



بدع جديدة. المنافسة الأوروبية الرئيسية لـ"فيكوما" هي شركة "إنتامين" في سويسرا. وقد اشتهرت ببناء أبراج عالية تسبب الدّوار وأنابيب ومعدات مدهشة لرحلات مائية مثيرة. كما باعت أفعوانيات الى أوروبا والولايات المتحدة والارجنتين والعراق والمملكة العربية السعودية، وحققت نجاحاً عظيماً بالافعوانيتين الثوريتين اللتين تُركبان وقوفاً في كاليفورنيا وأسوج (السويد). ويشدد بعض المعجبين على أن هذه الأفعوانية بقطارها الأقصر والاكثر مرونة توفر الاثارة "المطلقة."

ولكن هل تباع هذه النماذج؟ قد يكلف بناء أفعوانية كبيرة أكثر من خمسة ملايين دولار. ويخشى بعض أصحاب مدن الملاهي المخاطرة بمبالغ ضخمة لشراء تكنولوجيا جديدة. يقول هوبن: "يحمل الزبائن أفكاراً مضخّمة عن الفسحة المتوافرة لديهم. فيقول أحدهم: أريد ثلاث فتاحات سدادات وخمس أنشوطات. ونردّ نحن: آسفون، لا مجال عندك الا لفتاحتين وأنشوطة واحدة. كل منهم يريد أفعوانية أكبر وأوفر إثارة من أفعوانية منافسه."

تعتمد "فيكوما" و"إنتامين" كلتاهما على تقنية تدعى "التصميم المدعم بالكمبيوتر"[6] لتصميم أجزاء كل أفعوانية جديدة. ويشرح هوبن: "يمكنك أن تضمّ الى أفعوانيتك أنشوطات وفتاحات سدادات بمقدار ما تسمح السرعة. فلكل مناورة عامل احتكاك مختلف، والكمبيوتر يحتسب ذلك كله. فاذا طلبتُ منه بومرنغ أو أنشوطة مزدوجة أو فراشة، فانه يبيّن لي بدقة المدى المناسب لارتفاع القمة وطول مسافة الركوب."

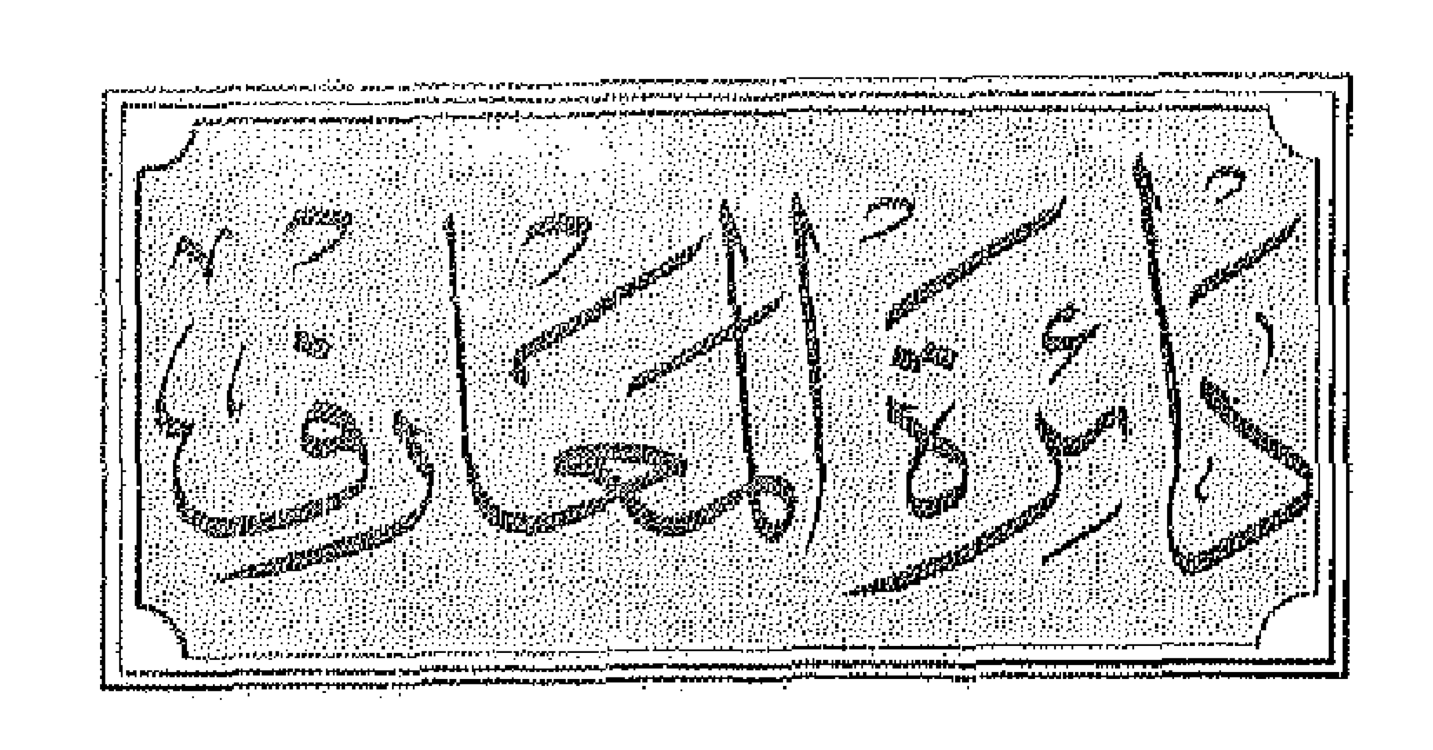
وهناك ابتكار حديث في تكنولوجيا الأفعوانيات هو "محاكي الحركة الدينامية."[7] تصور قاعة تشبه قاعة سينمائية عادية، مع فارق أن الشاشة أكبر قليلا والمقاعد مجهزة بقيود أو بقضبان حابسة تطبق على الاحضان. تجلس في المقعد فينطبق القضيب عليك. واذا بك تنحدر فجأة في المهبط الاول وتميل مندفعاً في منعطف "مشدود" بقوة أربع وحدات "ج." وأفعوانية "محاكي الحركة الدينامية" مزيج من شريط سينمائي ومؤثرات صوتية ومقعد يشغّل هيدروليكياً فيحاكي حركة قطار أفعواني سريع. وقد طورتها شركة "إنتامين" بمعاونة "شوسكان" وهي شركة أمريكية للانتاج السينمائي. وقد باعت "إنتامين" انتاجها الجديد الى هونغ كونغ واليابان وكوريا الجنوبية وبروناي وايطاليا وفرنسا وألمانيا الغربية والولايات المتحدة. ويعتبر رينارد سوندرمان أن هذه البدعة الجديدة هي "الغاية المطلقة، فهي تمنح راكبها كل مشاعر الاثارة التي يختبرها في قطار أفعواني من دون أن تعرضه لأي خطر."

وهذه مواصفات أفعوانيتي المثلى!

شارل بارميتيه ■

(٦) Computer-Aided Design (CAD)

(٧) Dynamic-Motion Simulator (DMS)



نسب العرب صفات الى الحيوانات وأعضائها وما اتصل بها على سبيل التشبيه والاستعارة. فـ"عرّيسة الاسد" تضرب مثلا للمكان الرفيع المنيع، و"انامل السرطان" تقال في وصف خط رديء، و"بيض النعام" مَثَل في الضَياع، و"رِجلا الطاووس" مثل لما يُستقبح من جملة حسنة، و"إبر النحل" للوصول الى المحبوب بمقاساة المكروه.

هنا تشبيهات وردت على السنة العرب. وقد وضع امام كل عبارة اربعة خيارات، واحد منها صحيح. وعلى القارىء أن يختار الجواب الذي يعتبره مناسباً، ثم يقلب الصفحة ليحصل على الاجوبة الصحيحة ويقيس مستواه.

١. **نواصي الخيل**: تضرب مثلا للسرعة – للأمل – للجرأة – للعز والرفعة.

٢. **ليث الغاب**: يضرب مثلا للجبان – للشجاع – للكريم – لذي الاصل العريق.

٣ – **نوم الذئب**: يضرب مثلا للنوم الحذر – للنوم العميق – للموت – للغفلة.

٤. **مشية السرطان**: يضرب بها المثل في التحايل – في التسلل – في رجوع القهقرى – في التمهل.

٥. **دودة الخَل**: تضرب مثلا للمريض الناحل – للرجل الساقط – للسجين – للقصير العمر.

٦. **وادي النمل**: يضرب مثلا للارض القاحلة – للصحراء – للمكان الوعر – للمكان الكثير السكان.

٧. **عين الديك**: يضرب بها المثل في الصفاء – في حدة البصر – في الاستدارة – في الغضب.

٨. **أخلاق البغال**: تضرب مثلا للوداعة – للانقياد – للاخلاق المتضادة وشر الطباع – للعناد.

٩. **ليلة العقرب**: يضرب بها المثل في الظلمة – في القِصَر – في الطول – في الخوف.

١٠. **لسان الثور**: يشبَّه به اللسان الدقيق – اللسان الطويل العريض – لسان الثرثار – لسان الأكول.

١١. **لبن الطير**: يضرب مثلا للنصاعة – للقلّة – للثمن الفاحش – لما لا يفيد الامل به.

١٢. **أسنان الحمار**: يضرب بها المثل في التماثل والتساوي – في الصغر – في الضخامة – في الاصفرار.

١٣. **كلاب الناس**: الرعايا – الانذال والسفهاء – البخلاء – الاعداء.

١٤. **حالب التيس**: يضرب مثلا للمجنون – للجريء – لمن يطمع في غير مطمع – للظالم.

١٥. **صدر البازي**: يشبَّه به العرش – المقصد الشريف – القصر العالي – كل شيء حسن التخطيط.

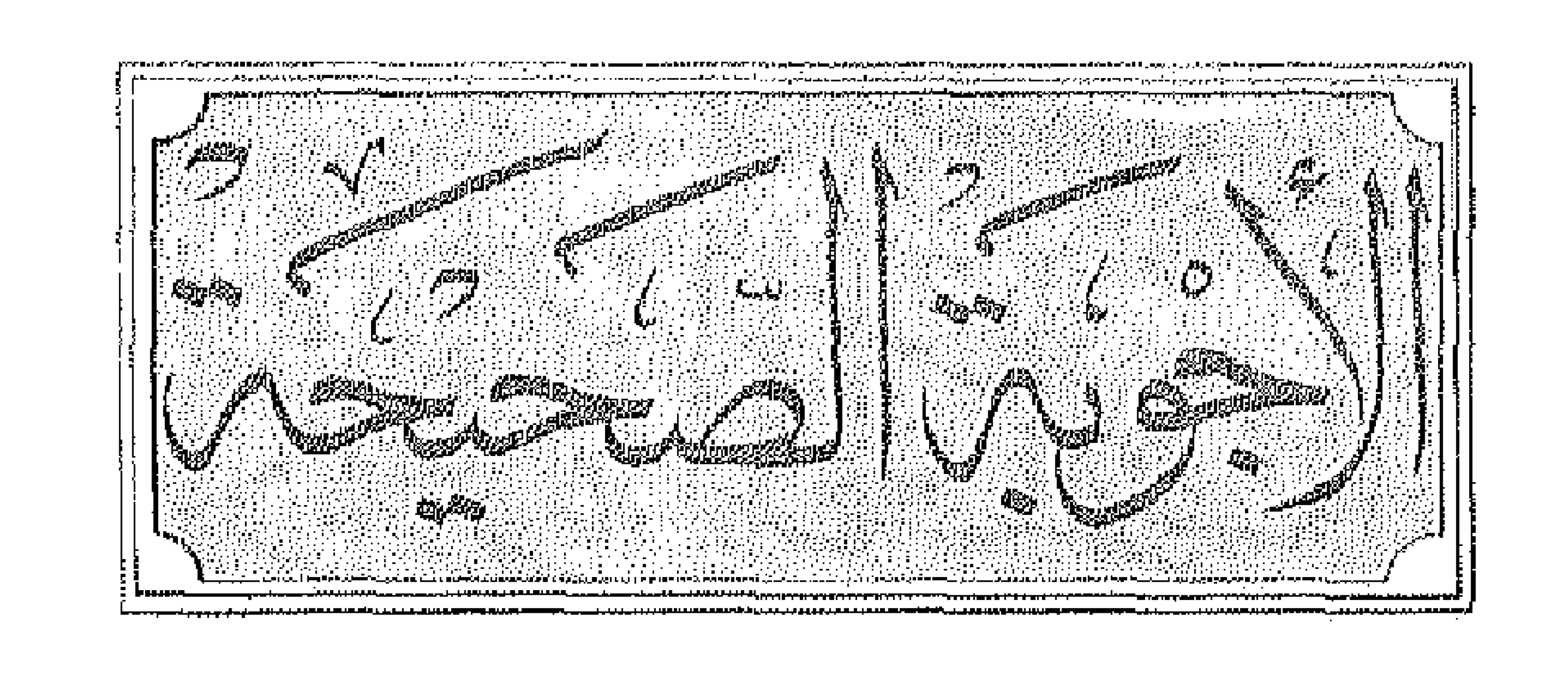
١٦. **دودة القز**: تضرب مثلا للعمل الدؤوب – للبراعة – للنهم – لمن يضر نفسه وينفع غيره.

١٧. **شيب الغراب**: يضرب مثلا لما لا يكون – للقِدَم – للحكمة – للخوف العظيم.

١٨. **فم الاسد**: يضرب مثلا للشَرَك المميت – للفم الواسع – للشيء الصعب المرام – للكهف المظلم.

١٩. **طيران الحبارى**: يضرب به المثل في التقطع – في السرعة – في العلو – في التعثر.

٢٠. **بيت العنكبوت**: يضرب به المثل في الوهن – في وفرة الطعام – في الصمود – في الفقر.



١. **نواصي الخيل**: تضرب مثلا للعز والرفعة. قيل "العز في نواصي الخيل والذل في أذناب البقر."

٢. **ليث الغاب**: يضرب مثلا للشجاع الذي يُهاب وهو في منزله.

٣. **نوم الذئب**: يضرب مثلا للنوم الحذر. فالذئب يراوح بين عينيه اذا نام، فيجعل احداهما مطبقة نائمة والاخرى مفتوحة حارسة. أما الارنب فينام مفتوح العينين، ولكن ليس احترازاً بل خلقة.

٤. **مشية السرطان**: يضرب بها المثل في الادبار ورجوع القهقرى.

٥. **دودة الخل**: تضرب مثلا للرجل الساقط يعيش مكان السوء في حال رذلة راضيا بهما، اذ لم يعرف سواهما ولم يتعود غيرهما. ومن أمثال العرب "لا يصبر على الخل الا دوده."

٦. **وادي النمل**: يضرب مثلا للمكان الكثير السكان. ويقال أيضا "قرية النمل."

٧. **عين الديك**: يضرب بها المثل في الصفاء، ويشبه بها الشراب الصافي.

٨. **أخلاق البغال**: تضرب مثلا للاخلاق المتفاوتة المتضادة وشر الطباع، لأن البغل شديد التلون. قال البحتري يهجو قوما:

وأخلاق البغال فكل يوم
يعنّ لبعضهم خلق جديدُ

٩. **ليلة العقرب**: يضرب بها المثل في الطول، لأن صاحبها لا ينامها. قيل "إن أطول الليالي ثلاث: ليلة العقرب وليلة العاشق وليلة الهريسة."

١٠. **لسان الثور**: يشبه به اللسان الطويل العريض.

١١. **لبن الطير**: يضرب مثلا لما لا يفيد الامل به، كما يضرب المثل في ذلك بالابلق العقوق ومخ البعوض وسلا الجمل وحلم العصفور.

١٢. **أسنان الحمار**: يضرب بها المثل في التماثل والتساوي. ومن أمثال العرب "سواسية كأسنان الحمار."

١٣. **كلاب الناس**: هم الانذال والسفهاء. قال منصور الفقيه: "ما الكلاب الكلاب، بل هم الناس، اذا أسمنوا كانوا شراً من الكلاب."

١٤. **حالب التيس**: يضرب مثلا لمن يطمع في غير مطمع، ومن يرجو من لا يجدي.

١٥. **صدر البازي**: يشبه به كل شيء حسن التخطيط بديع التحسين. ويذكر في الحسن والملاحة مع سالفة الغزال وطوق الحمامة وجناح الطاووس.

١٦. **دودة القز**: تضرب مثلا في من يضر نفسه وينفع غيره. فيقال: ما فلان الا دودة القز، وفتيلة المصباح، وعود الدخنة.

١٧. **شيب الغراب**: يضرب مثلا لما لا يكون. فيقال "لا يكون ذلك حتى يشيب الغراب." كما يقال: حتى يبيض القار، ويؤوب القارظ، ويلج الجمل في سم الخياط.

١٨. **فم الاسد**: يضرب مثلا للشيء الصعب المرام. قال الشاعر:

ومن يحاولْ شيئاً من فم الاسدِ.

١٩. **طيران الحُبارى**: يضرب به المثل في السرعة فيقال "أطيرَ من حبارى." وليس في الطير أسرع طيرانا منها، لأنها تصاد فتوجد في حواصلها الحبة الخضراء غضة طرية وبينها وبين بلادها بُعد. وقد يضرب المثل أيضا بطيران العقاب لأنه يتغدى بالعراق ويتعشى باليمن.

٢٠. **بيت العنكبوت**: يضرب به المثل في الوهن والضعف.

المستوى

١٧ - ٢٠ : **ممتاز**
١٣ - ١٦ : **جيد**
٨ - ١٢ : **مقبول**

جزيرة الميلاد

ملاذ أمن للطيور البحرية وموطن لأكبر السرطانات البرية في العالم

يوم عيد الميلاد عام ١٦٤٣ اكتشف القبطان وليم اينورز جزيرة في المحيط الهندي، وكان مبحراً السفينة "رويال ماري" العائدة من جزر الهند لشرقية. وجاء انتقاؤه اسم "جزيرة الميلاد"[1] ديهيا معبراً. وأنّى له أن يعرف أن المستكشف لبريطاني القبطان جايمس كوك سيرسو هو أيضاً في عيد ميلاد على شاطىء جزيرة في المحيط الهادىء يسميها "جزيرة الميلاد"، فيربك الخدمات البريدية ي أيامنا. (يتعين ذكر اسم المحيط الذي تقع فيه لجزيرة لكي تصنف دوائر البريد مقصد الرسالة.)

أصبحت جزيرة ميلاد المحيط الهندي جزءاً من الاراضي الاوسترالية عام ١٩٥٨.[2] وهي حمى كبير

(١) Christmas Island

(٢) جزيرة القبطان كوك هي الآن جزء من أرخبيل كيريباتي في أوقيانيا.

للطيور البحرية. وتبعد ٣٦٠ كيلومتراً عن جنوب جاوه باندونيسيا و١٤٠٠ كيلومتر عن شمال غرب أوستراليا. وهي موطن طيور الأطيش والفرقاط والابله[٣] وأنواع من النبات والحيوان لا تعيش في أي مكان آخر من العالم. وبينها أربعة أنواع وستة نويعات من الطيور، وخمسة أنواع من الزواحف واثنان من السرطانات (أبو جلمبو) واثنان من الخفافيش وتشكيلة من الحشرات.

ولعلّ اكثر الانواع اثارة في الجزيرة التي تبلغ مساحتها ١٣٥ كيلومتراً مربعاً، السرطانات البرّية التي تتكاثر باعداد هائلة تجبر السكان على مشاركتها في منازلهم وملاعبهم ومدارسهم وطرقهم، وخصوصاً أيام هجرة السرطانات الحمر السنوية الى الشاطىء للتكاثر، اذ تحتشد على دروبها المفضلة متحدية أخطاراً مهلكة كالجفاف والاستنزاف في الاراضي المعرّاة من النبات والنفوق على الطرق تحت عجلات السيارات أو تحت أقدام الاولاد في الملاعب. وتبدو هذه المسيرة الطويلة للزائر موضوع روعة ورهبة في آن، أما للمقيم في الجزيرة فتعني زيادة في عدد الاطارات المثقوبة. وقد بلغ الرقم القياسي للثقوب التي أحدثتها السرطانات في اطارات سيارة واحدة في يوم واحد ١٣ ثقباً.

أما المفاتن الطبيعية لجزيرة الميلاد فتتعدى الطيور البحرية وأنواع الحيوان والنبات الفريدة والسرطانات البرية. فحتى تاريخ ضمّها الى ممتلكات التاج البريطاني واستيطانها عام ١٨٨٨، كانت إحدى الجزر الاستوائية الكبيرة القليلة التي لم تعرف سكنى البشر. لذلك كانت حيواناتها البرية لا تخشى الانسان وتسهل مراقبتها عن كثب. وهي ما زالت كذلك.

الجزيرة قمة بركان قديم. فقبل نحو ٥٥ مليون سنة انبثقت صخور بركانية عبر شق في أرض البحر وارتفعت ببطء أربعة آلاف متر. وحين اقتربت القمة من سطح الماء المعرّض لاشعة الشمس التصقت بها حيوانات المرجان وتكونت عليها تدريجاً طبقات كلسية.

ثم قبل نحو عشرة ملايين سنة ارتفعت الجزيرة بانكماشات جديدة مما أضفى عليها مظهراً "مدرّجاً." وتطوقها سلسلة متعاقبة من مصاطب (جلول) وأجراف. وفي الداخل سهل واسع مرتفع. وتعلو حول معظم الجزيرة أجراف كلسية مثلّمة يبلغ ارتفاع بعضها ٣٠ متراً فتطوق الجزيرة بحافة وعرة منفّرة. وتندر الشواطىء والمراسي الآمنة. وحتى "خليج السمك الطائر،" وهو الميناء الوحيد، تضربه الأمواج الهائجة في معظم الاوقات.

يبلغ معدل سقوط المطر على الجزيرة ٢٠٠٠ مليمتر سنوياً، ومتوسط الحرارة ٢٧ درجة مئوية، والرطوبة مرتفعة. والجزيرة خصبة بالحياة النباتية. ومع أنها ليست غنية بأنواع النبات (فيها نحو ٢٠٠ نوع فقط) فالبساطة البنيوية لغابة

(٣) Boobies, frigatebirds and noddies





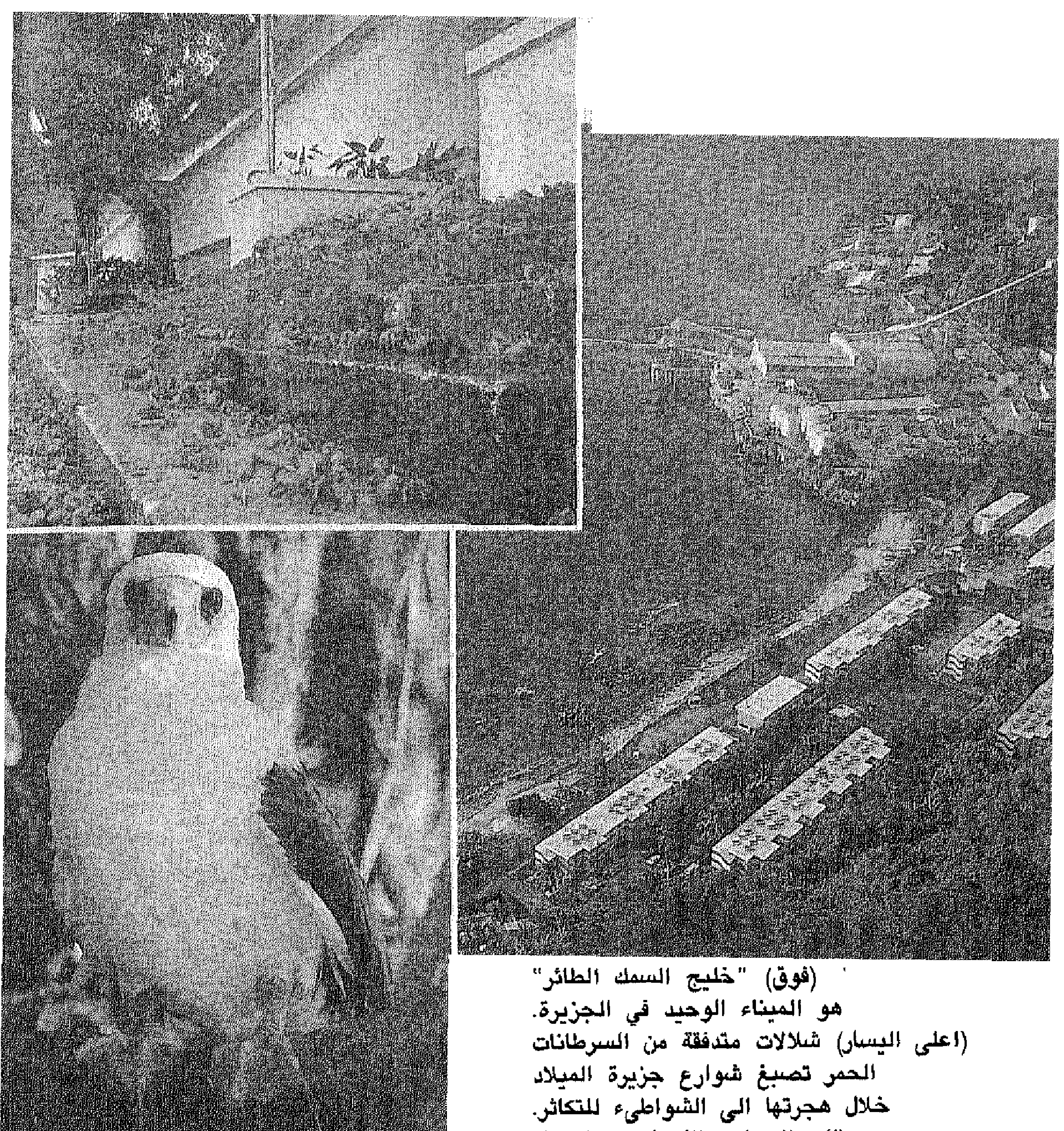
(فوق) البومة - الباز المعرضة لخطر الانقراض. (أعلى اليسار) السرطان السارق أكبر السرطانات البرية في العالم.

JOHN EGGERT

المطر فيها فريدة. فلا عرائش متشابكة ولا غزارة في الشجيرات والجنبات التي تميز غابات المطر الاندو - ماليزية. هنا أرض الغابة عارية و"نظيفة" بفعل السرطانات البرية القمّامة.[٤] وتسند الجذوع المتلوية ظلّة كثيفة خضراء ترتفع ٣٥ متراً كأنها تجسيد تخيلات طفل لغابة مسحورة.

وبصرف النظر عن الشجرة اللاسعة الغريبة وقفران الزنابير الصفر المتدلية، فان غابة المطر وادعة خالية من العلق ومن الحيات السامة. وإن سمعت حركة في الدغل فغالب الظن أنها حركة سرطان بري. ويقطن في الجزيرة ١٦ نوعاً من السرطانات البرية وسرطانات المياه العذبة، ولها دور مهم في غابة المطر. فهي حيوانات قمّامة، أي انها تحلل الاوراق والثمار ومواد أخرى وتعْتِق مغذيات لنمو النبات. فحفرها في الارض فلاحة للتربة.

(٤) القمّام حيوان يقتات بالقمامة.



(فوق) "خليج السمك الطائر" هو الميناء الوحيد في الجزيرة. (اعلى اليسار) شلالات متدفقة من السرطانات الحمر تصبغ شوارع جزيرة الميلاد خلال هجرتها الى الشواطىء للتكاثر. (الى اليسار) طائر أبوت الاطيش

والى السرطان الأحمر، يكثر أيضاً السرطان السارق المثير للاعجاب. ومع أنه أكبر سرطان برّي في العالم فهو خجول ويعيش حياة ليلية في معظم الأنحاء الاندو - باسيفيكية الاستوائية. لكنه في جزيرة الميلاد جريء وينشط نهاراً، فيغزو المخيمات ويضفي عنصراً من الحيوية على الغابة الودودة. والسرطان السارق ليس عدوانياً، ولكن من الحكمة احترام قرّاضاته الحادة القادرة على شق علبة تنك.

وجزيرة الميلاد موقع محيطي منعزل، لذا هي مهبط طبيعي للطيور البحرية. ومن أنواعها الثمانية التي تستوطن الجزيرة



شجرة الكستناء التاهيتية تنمو في المناطق المنتقعة بالماء ضمن غابة المطر.

ثلاثة لا تتكاثر الا هناك، وهي أبوت الأطيش وأندروز الفرقاط والبوسون المذهب.[٥] والجزيرة أيضاً منطقة التوالد الرئيسية للاطيش البني في المحيط الهندي.

(اطلق البحارة الأوائل اسم "الأطيش" ظلماً على هذه الطيور لاعتقادهم انها غبيّة اذ تصمد عندما تهاجَم في أعشاشها.)

وطائر أبوت الأطيش هو النوع الأندر في العالم، ويبني عشه في ذرى الاشجار الباسقة في غابة المطر. وهو الأبطأ تكاثراً في هذه العائلة، اذ تكتسي فراخه بالريش خلال مدة تطول ما بين ١٥٠ و١٧٠ يوماً، وهي تبقى "قاصرة" معتمدة على أمها ٢٠٠ يوم أخرى. وصوتها أعلى أصوات عائلة الأطيش.

وطيور الفرقاط هي الأغنى بهجة وألواناً. فخلال "المغازلة" تنفخ الذكور جيباً في الحلق يشبه بالوناً أحمر. وعندما تقترب الانثى يبدأ الذكور إنشاداً جماعياً عالياً هو جلبة استعطاف وتودد شبّهها عالم الحيوان والنبات البريطاني الدكتور كارل غيبسون - هيل "بأصوات حمير متقاتلة وقردة ثرثارة."


ومع أن الحياة البرية في جزيرة الميلاد هي أفضل حالا منها في كثير من الجزر الاخرى المنعزلة، فان طيور أبوت الأطيش وأندروز الفرقاط والبومة - الباز تواجه خطر الانقراض.

وكما هي حال كل الاجناس، فان مفتاح البقاء هو ضمان موطن ملائم لحياة الحيوان أو النبات. فعلى مدى ٩٠ سنة كان استخراج الفوسفات الصناعة الوحيدة المهمّة في الجزيرة، لذا بقي ثلاثة أرباع غابة المطر سالماً. إنما تبقى حاجة الى حماية البيئة. ففي العام ١٩٨٠ أُعلن الجزء الجنوبي - الغربي من الجزيرة متنزهاً وطنياً. وتبلغ مساحة هذا المتنزه ١٦٠٠ هكتار أي ١٢ في المئة من مساحة الجزيرة، وهو يوفر بعض الحماية الطويلة الامد لسكانه من طيور الاطيش والفرقاط والسراطين وغيرها من أنواع الحياة البرية الفاتنة في هذا الفردوس الارضي.

جون هيكس ■

(٥) Sula abbotti, Fregata andrewsi and Phaeton lepturus fulvus.


"حسناً، اذا كنتم لا تستطيعون الحضور في الخامس
من يوليو (تموز) فلنعقد الجلسة في الرابع منه"١
PETER STEINER IN CAMPUS LIFE
"تعال نخبئها في البحر الميت،
فلن يفكر احد في البحث
عنها هناك."٢
HOEST IN PARADE
"قد تكون محقاً يا فيثاغوراس،
ولكن اذا دعوت هذا الضلع وتر
المثلث فسيضحك منك الناس."
BOB THAVES © 1984 NEWSPAPER ENTERPRISE ASSN.
"ها هم يسافرون مرة اخرى باحثين عن آفاق جديدة ومتحدين
المجهول. لماذا يفعلون ذلك؟ ومن يدفعهم اليه؟"
ALPHONSE NORMANDIA IN SIGNATURE
DRAWINGS BY LEVIN, © 1982
THE NEW YORKER MAGAZINE, INC.



(١) صدق بيان استقلال الولايات المتحدة في ٤ يوليو (تموز) ١٧٧٦.
(٢) عثر على لفائف الرق التي كتبت عليها اسفار التوراة داخل مغارة في فلسطين قرب البحر الميت.
(٣) كان نيرون يعزف على الكمان فيما روما تحترق

شح بصره منذ طفولته حتى بات شبه أعمى. لكنه لم يقطع الرجاء

صباح يوم مشرق من نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٨٧ كان سيريل تشارلز (٢٤ عاما) واحدا من آلاف العدائين الذين احتشدوا على جسر فيرازانو ناروز للاشتراك في ماراتون[1] مدينة نيويورك. لم يكن سيريل يرى وجوههم خلف الغشاوة التي غلفت عينيه، لكن قلبه كان يرتعش طربا لمرحهم ولوقع أقدامهم الهادرة. عبر الجسر راكضا الى بروكلين برفقة مرشده المبصر. وعلا صوت بالآتي: "حظا سعيدا أيها العداء الاعمى."

تنحوا جانباً

العدّاء الأعمى آتٍ!

راح سيريل يقطع الكيلومتر تلو الآخر، وتوالت عليه الذكريات:

عربات تجرها ثيران محملة بقصب السكر ومنتشرة على امتداد الطرق الريفية في غرب جزيرة ترينيداد.[2]

العداءان مات دنسن وسيريل تشارلز يرفعان أيديهما علامة النصر وهما يجتازان خط النهاية في ماراتون نيويورك في نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٨٩.

---

(١) الماراتون سباق في العدو تكون مسافته عادة حوالى ٤٢ كيلومترا.

(٢) ترينيداد وتوباغو دولة في الانتيل شرق فنزويلا، وهي من جزر الهند الغربية.

PHOTO: © TSC GRAPHICS

يجتازها سيريل تشارلز قاطعاً الكيلومترات الثلاثة عشر التي تفصل منزله عن المدرسة. كان يقطع معظم المسافة ماشياً، وبين فينة وأخرى يعيِّن شجرة يعدو اليها بقدميه الحافيتين.

كان في التاسعة من عمره آنذاك، صبياً أسود البشرة أجعد الشعر أنعم عليه الله بموهبة العدو.

عندما قرع جرس المدرسة ذات صباح قال لأصحابه: "سنلعب الكريكيت في استراحة الغداء."

وكان سيريل، كغالبية صبية ترينيداد، شغوفاً بهذه اللعبة التي تسجل فيها النقاط من طريق ضرب كرة قاسية بمضرب خشبي.

حان وقت الغداء ووقف سيريل في موقعه المعتاد في اللعبة منتظراً رمي الكرة لكي يلتقطها. ورأى الكرة تغادر يد الرامي وتقع أمام اللاعب الضارب الذي قذفها بمضربه. وترنح الضارب هنيهة، فرمقه سيريل صارفاً انتباهه عن الكرة. في تلك اللحظة انقض صبي آخر على الكرة والتقطها ليرميها، ونادى: "سيريل! سيريل!"

استدار سيريل متأخراً، فضربت الكرة عظام محجر عينه اليمنى فوقع مغمى عليه، وتجمع الاولاد حوله. وعندما استعاد وعيه أحس حريقاً في عينه، لكن ذهنه كان صافياً وقال لأصحابه: "أنا بخير."

ولما عاد الى منزله غسلت له أمه عينه ثم أرسلته ليملأ المصابيح الزيتية ويأتي بالماء من عين القرية كما يفعل كل يوم. فكوخهما المستأجر يفتقر الى المياه الجارية والكهرباء.

صانع السلال. بعد مضي شهر بدأت غشاوة تحجب الحروف والارقام المدونة على اللوح الاسود. ولعل الحادث حرك التهاباً سابقاً. ثم بدأت قرنية العين تتبقَّع. فقال الطبيب لأمه أغاثا: "سوف يفقد ابنك بصره ما لم يذهب الى باربادوس لاجراء جراحة زرع.

فأجابته: "نحن لا نملك المال اللازم."

انتقل سيريل الى مقعد أمامي في الصف، فتمكن لفترة قصيرة من تمييز ما يكتب على اللوح. لكن عينه أخذت تجنح الى الحوَل عند القراءة والكتابة. واجتاحت الغشاوة نظره شيئاً فشيئاً وتدنت علاماته. وذات يوم سلّم المعلم ورقة امتحان، فمزقها هذا قائلا للصبي بفظاظة: "عد الى آخر الصف." لقد ساده انطباع ان سيريل يهمل دروسه.

وفكر سيريل: "لن أتعلم شيئاً بعد اليوم."

لما بلغ سيريل الثانية عشرة لم تعد عينه اليمنى تميز الا بين الظلمة والنور. أما اليسرى فغدت قدرتها على الابصار محدودة وضبابية. فكان عندما يستعين بها للقراءة يضع الصفحة على بعد سنتيمترين من وجهه. واستمرت علاماته في التدهور.

أخيراً أرسل سيريل الى مدرسة داخلية للاطفال العميان في سانتا كروز

العين والاذن في نيويورك. فقد رغبت ادارة المستشفى، لضرورات دعائية، في رعاية "سباق أخيل" خاص، وكجزء من الاتفاق، يقدم كوبلن وشركاؤه خدماتهم الى رياضي "أخيلي" فقد بصره لعدم قدرته على دفع نفقات العلاج المناسب.

قال تروم: "أنا أعرف شخصاً تنطبق عليه هذه الصفات."

لم تخطر فكرة الجراحة ببال سيريل منذ كان صبياً. وهو حضر نفسه مطولا لتحمل العمى التام. لكنه قال لتروم: "حسناً، ليس لدي ما أخسره."

في أكتوبر (تشرين الاول) اشترك سيريل من خلال "نادي أخيل" في سباق أجري في روشستر بولاية نيويورك. وكان مرشده في البدء عداء مبصراً، ثم حل مكانه طلاب ثانويون يركبون دراجات. واجتاز سيريل المسافة في ثلاث ساعات واحدى وعشرين دقيقة.

اقتنع سيريل بقدرته على اجتياز مسافة السباق الذي سيقام الشهر التالي في مدينة نيويورك خلال ثلاث ساعات. غير أن عضلات رجله اليسرى كانت تشنجت خلال ماراتون ١٩٨٨ بعد اجتيازه ٢٤ كيلومتراً. وهو عبَر خط النهاية في سنترال بارك برفقة عداء ماراتوني متمرس يدعى كيفن بتروفيك مسجلا نتيجة مخيبة: ثلاث ساعات وسبعاً وثلاثين دقيقة. فأقسم سيريل: "في السنة المقبلة سأكون أول عداء أعمى يقطع المسافة في أقل من ثلاث ساعات."

في غضون ذلك كان على موعد مع الطبيب. واكتشف الدكتور جون سيدور أن عيني سيريل سليمتان تحت القرنيتين المعتمتين. غير أن "المجاري" بين الدماغ والعينين مسدودة منذ فترة طويلة، وربما أقفلها الدماغ نهائياً. قال الدكتور سيدور للشاب: "سوف نجري زرعاً للقرنية في العين اليمنى، لكننا لا نستطيع التكهن بنسبة القدرة البصرية التي ستستعيدها، في حال تحقق شيء من ذلك."

صباح ١٩ يناير (كانون الثاني) ١٩٨٩ نزع الدكتور سيدور جزءاً دائرياً من القرنية التي تغطي قزحية عين سيريل وبؤبؤها، ووضع مكانه قرنية موهوبة وأحكمها بأربع وعشرين قطبة، كل واحدة منها بثلث سماكة شعرة.

وفي الصباح التالي حبس سيريل أنفاسه فيما الممرضة تفك الضمادة عن عينيه. ثم زفر ببطء هامساً: "اني أراك."

بعدما غادرت الممرضة الغرفة تسلل سيريل الى الحمام. ولما رفع الضمادة رأى وجهه للمرة الاولى منذ خمسة عشر عاماً. انه شاب وسيم أجعد الشعر. فاتصل بصديقه ليكوك وأخذ يصيح: "اني أرى! نظري صافٍ كالبلور!"

غادر سيريل المستشفى في اليوم التالي وانطلق يجوب شوارع المدينة. ودهش لزهو ألوان السلع المعروضة في الواجهات. وحدق معقود اللسان الى وجوه المارة.

وفيما هو يجتاز سنترال بارك أخذ يفكر

في سباق الماراتون، لم يعد يخشى التعثر والخطوات الناقصة التي تخل بالاتزان وتضيع دقائق غالية. لكم بات سهلا الآن تحقيق حلمه باجتياز المسافة في أقل من ثلاث ساعات.

ثم تذكر سلوم وليكوك، وتروم وكوبلن وسيدور. انه مدين لهم بنعمة البصر. فقال في نفسه: "لقد حان دوري لكي أكون واهبا."

في نادي "ميدان أخيل" قال سيريل لديك تروم: "سجل اسمي متطوعاً في الماراتون المقبل. أريد الركض مرشداً لعداء أعمى."

وخلال أشهر تعلم سيريل قيادة سيارة وطلب يد كارول دارلنغتون وهي ممرضة من ترينيداد قدمت الى فيلادلفيا في زيارة.

أسود وأبيض. كان مات دنسن (٢٠ عاماً) طالباً جامعياً. وقد بدأ بصره يشحّ في السن الثانية عشرة على أثر ازالة ورم دماغي أثر في عصبه البصري. وخلّفت الجراحة ندوباً في رأسه وسقط شعره بفعل العلاج بالاشعة، لكنه عوّض ذلك بنجاح باهر في الجامعة وبالعدو مسافات طويلة.

عندما اطلع سيريل على قصة مات لم يتردد لحظة واحدة وقال لتروم: "سأعدو مرشداً له."

في الخامس من نوفمبر (تشرين الثاني) وقف الشابان على جسر فيرازانو ناروز. ثم انطلقا موثقين بحبل أحمر بينهما. وافترّ ثغر مات عن ابتسامة عريضة وقد ملأ صراخ العدائين أذنيه وقال: "هذا أشبه بحفلة صاخبة."

فرد سيريل: "المنظر جميل: ألوف المراكب تطفو على سطح النهر. أعلام متطايرة ورؤوس تتمايل في كل مكان. كأننا أمام بحر بشري، يا مات."

وتعاقبت الكيلومترات وسيريل يصف أكواب الماء المتناثرة على الطريق وناطحات السحاب التي تلوح من بعيد والمشاهدين الواقفين على شرفات المنازل.

وسأل سيريل رفيقه: "ما رأيك يا مات؟ هل تشعر بأننا مسرعان أو مبطئان. قل لي، فهذا سباقك."

فأجاب مات: "سرعتنا جيدة يا سيريل."

قال سيريل: "سنصل في أقل من أربع ساعات."

كان وجه سيريل هادئاً وهو يقفز ويبعد مات برفق عن حفر الطريق وأعقاب أقدام العدائين المبطئين أمامهما. وبعد حين قال له: "استعد، فالطريق أمامنا صاعدة."

عندما مرّ العداءان وقف المشاهدون لرؤية الشاب الاسود القوي ورفيقه الابيض الاعمى وقد جمع بينهما حبل أحمر. وصرخ سيريل: "العداء الاعمى آت، تنحوا جانباً اذا سمحتم."

اجتازا حوالى كيلومتر داخل سنترال بارك منتفخي الصدر وأقدامهما تعلو وتهبط كمضخات. ورأى سيريل الراية

التي تبعد ثلاثة عشر كيلومتراً عن شمال شرق العاصمة بورت أوف سباين. وأمضى الفتى خمس سنوات في تلك المدرسة التي بدت له سجناً يروَّض فيه الاولاد لكي يصبحوا مستعدين لحياكة السلال وكراسي الخيزران في ورش الجمعيات الخيرية.

ثبطت عزيمة سيريل. فقد نظف وأصدقاءه حوض السباحة في المدرسة ثم طلوه وطلبوا استعماله. غير أن رغبتهم لم تلبَّ لأن معلميهم رفضوا مراقبتهم وهم يسبحون. وكان سيريل يشعر بحاجة ملحَّة الى الالتحاق بمدرسة ثانوية مجاورة، لكن طلباته لم تلق آذاناً صاغية. ووعد رئيس المدرسة بارسال بعض التلاميذ الى بريطانيا لامتحان دوزنة البيانو. لكن صعوبات مادية حالت دون تنفيذ هذا الوعد.

ارتفعت معنويات سيريل عندما التحق بالهيئة التعليمية أستاذ صفوف ثانوية يدعى روني وليمس وشرع في اعطاء دروس في الرياضيات والعلوم واللغة الاسبانية. أكب سيريل على دروسه معتمداً كتباً مدرسية مطبوعة بطريقة "بريل." وشعر أخيراً بروعة الانجاز. لكن الاستاذ لم يرَ الا أملا واحداً لذلك الفتى الذي بلغ السابعة عشرة، فقال له: "التحق بمدرسة مهنية، وسأدفع أنا رسوم التعليم."

دخل سيريل معهداً مهنياً ليتعلم السمكرة، ووجد عملاً في ورشة لتركيب المراحيض في مشروع سكني مجاور. وكان خلال عطلة نهاية الاسبوع يلعب كرة القدم مع فريق محلي. كان يرى الملعب كأنما من خلال ضباب، إلا أنه ظل قادراً على تمييز ألوان قمصان زملائه في الفريق وعلى رؤية محيط الكرة. لكن بصره ازداد ضعفاً حتى بات عاجزاً عن رؤية الكرة، فاعتزل اللعب.

وللمرة الاولى، بكى سيريل.

وانتهت كذلك مهنته كسمكري وكانت مدعاة فخر بالنسبة اليه. فقد رأى متعهدو الورشة الحول والبياض في عينيه فسرَّحوه. ولما احتج على طرده التعسفي قال له أحدهم ساخراً: "أنتم العميان تتوسلون على الدوام."

وهكذا عاد سيريل الى الوظيفة التي كرهها أكثر من أي شيء آخر، وهي صنع السلال لـ"جمعية ترينيداد وتوباغو لانعاش العميان." وكان يكسب ٧٠ دولاراً كل أسبوعين، أي أقل من نصف متوسط الاجور في ترينيداد.

أفضل رياضي أعمى. ذات يوم زار مشغل الجمعية في بورت أوف سباين رجل أعمى يدعى آرشي ليكوك، كان هاجر من ترينيداد عام ١٩٧٢ الى الولايات المتحدة حيث نال شهادة ثانوية وأخرى جامعية، وحصل على درجة ماجستير في الموسيقى. وكان في الثانية والثلاثين، يدرس البيانو ويدير معهد موسيقى في فيلادلفيا بولاية بنسلفانيا. فبات ليكوك مصدر الهام بالنسبة الى سيريل.

في ابريل (نيسان) ١٩٨٧ تناهت الى

سيريل أخبار سباق منظم لمعاقي ترينيداد مسافته ٣٦٠٠ متر ويرعاه "نادي عدّائي ترينيداد وتوباغو." وكانت الجائزة الاولى تعادل أجر أسبوعين. انه في حاجة ماسة الى المال، لكنه ليس عداء مسافات.

لدى إعطاء اشارة الانطلاق عدا سيريل كأرنب بري. ومكنته الاشجار الضخمة الممتدة على يمينه من الحفاظ على مساره. وأخذ يعدو بسرعة قصوى ثم يتمهل ليسرع ثانية. واجتاز خط النهاية بعد ١٣،٥ دقيقة ولما يظهر أي من المتسابقين.

بعد انتصاره أخذ يقطع ثمانية كيلومترات يومياً مع أعضاء في نادي العدائين. وكانوا يروون له قصصاً عن ماراتون نيويورك الشهير. وذات يوم سأله رئيس النادي أنطوني سلّوم: "هل تود الاشتراك في ماراتون نيويورك هذه السنة؟"

فأجاب سيريل: "أجل، أود ذلك كثيراً."

اتصل سلوم بزملاء له في العمل وبشركة الطيران المحلية و"نادي ميدان أخيل" للعدائين المعاقين، فجمعوا المال اللازم لارسال سيريل وستة ترينيداديين معاقين آخرين الى نيويورك في شهر نوفمبر (تشرين الثاني).

غمرت البهجة سيريل وهو يعدو للمرة الاولى في سباق ماراتون جنباً الى جنب مع مواطن له مبصر. واجتاز المسافة في ثلاث ساعات و٤٧ دقيقة، وهي نتيجة حسنة بالنسبة الى أي عداء يشترك للمرة الاولى. كما استحق ثناء ديك تروم وهو أبتر أنهى السباق على رجله اليمنى الاصطناعية. وقد قال له تروم وهو مؤسس "نادي ميدان أخيل": "إذا عدت الى نيويورك فتعال وتدرب معنا."

رجع سيريل الى ترينيداد. وفي مايو (أيار) ١٩٨٨ اتصل بآرشي ليكوك وسأله: "هل تسمح لي بالاقامة عندك؟"

فأجابه ليكوك: "تعال."

وبات سيريل يركب القطار كل ثلثاء من فيلادلفيا الى نيويورك. واشترك في سباق أقيم في متنزه "سنترال بارك" مع أعضاء ينتمون الى "نادي عدائي نيويورك." وقال ديك تروم لمدربهم: "أنت تنظر الى أفضل رياضي أعمى في العالم."

وفي فيلادلفيا أطال سيريل مسافة تمريناته تدريجاً. ولطالما شق ركبتيه واصطدم بأسيجة وتعثر بالافاريز. غير أنه سرعان ما بات قادراً على العدو ثمانية كيلومترات في الشوارع من غير أن يخطىء ويمر في شارع مرّتين.

"أني أرى!" استجاب سيريل لالحاح ليكوك ودرس باجتهاد ونال شهادة معادلة للدراسة الثانوية. وعمل في جز العشب ونشر الاشجار وفي ورش البناء ليكسب مصروفه الخاص. وفي ذلك الصيف تلقى تروم في منهاتن عرضاً مثيراً للاهتمام من الدكتور ريتشارد كوبلن وهو طبيب عيون ومدير مركز جراحة العين في مستشفى

الحمراء والبيضاء والزرقاء في خط النهاية. وقال له مات لاهثاً: "قل لي متى نصل يا سيريل."

وفوق الراية كانت الساعة تعد الثواني. فقال سيريل: "لا يزال أمامنا بعض خطوات... ها قد وصلنا."

بعد ثلاث ساعات و٥٢ دقيقة وثانيتين ارتفعت أيديهما منتصرة ووقف الحضور صاخبين ومهنئين العدّاءين اللذين اجتازا خط النهاية.

وتزوج سيريل خطيبته كارول، وهو يعيش اليوم في فيلادلفيا ويخطط لدخول الجامعة بمنحة يرعاها بيتر دنسن والد مات وزملاؤه في شركة تأمين. ويأمل سيريل أن يتخصص بالعلاج الفيزيائي ويعمل على المعاقين. وهو ما زال على عهده أن يكمل سباق الماراتون يوماً في أقل من ثلاث ساعات.

وفي هذا الشهر، نوفمبر (تشرين الثاني)، سيشترك سيريل في ماراتون مدينة نيويورك مرشداً لصديقه مات دنسن. ويقول: "نقدِّر أننا سنجتاز المسافة في ثلاث ساعات وعشر دقائق."

بيتر مايكلمور ■



شيء لا يصدق

تعطلت احدى الثلاجات في محل بيع الجيلاتي (آيس كريم) حيث أعمل، فنقلنا محتوياتها الى ثلاجة اخرى. وما لبث أن دخل زبون ووقف يقرأ اللافتة الملصقة على الثلاجة: "خالية من الكولسترول، خالية من الصوديوم، خالية من الوحدات الحرارية." ثم نظر الى الثلاجة فرآها فارغة فقال خائباً: "كنت أعلم أن هذه الصفات أروع من أن تصدَّق."

ومضى في سبيله.

ل.ب.

استطلاع مصور

تعين على أحد أصدقائي اجراء استطلاع للرأي ضمن دراسة اجتماعية حديثة. فتمركز عند زاوية شارع يعج بالحركة وفي يده قلم ودفتر. لكن الناس كانوا يمرون به وهم على عجلة من أمرهم، لا يكترثون للتوقف والاجابة عن أسئلته. فعاد الى منزله خائباً.

لكنه لم ييأس. فعاد في اليوم التالي حاملا مذياعاً (ميكروفون) ومعه رفيق يحمل آلة تصوير فيديو. وهكذا تمكن، وهو ممسك بالمذياع وآلة التصوير تلتقط الوقائع، من تسجيل عشر مقابلات في عشر محاولات ناجحة، لأشخاص متبسّمين ولا تنمّ ملامحهم عن أي تبرّم أو عجلة.

ب.ك.



الزوج والريجيم

■ كان زوجي يتبع نظام حمية صارماً. وذات يوم حضرت قالب حلوى شهياً، فلم يتمالك نفسه والتهم قطعتين كبيرتين. فقلت له مؤنبة: "لا أصدق أنك أكلت قطعتي حلوى في يوم واحد." اجابني: "انك تنظرين الى الأمر من وجهة خاطئة. لقد تناولت قطعتي حلوى في مدى سنة واحدة."

م.ب.

شكراً لك!

■ استعارت ابنتي سيارتي يوماً للذهاب الى السوق. ولدى عودتها الى الموقف رأت ورقة تحت ممسحة الزجاج، وجاء فيها: "شكراً لك! قد تكونين الشخص الذي أنقذ حياة طفلي."
لكن دهشتها زالت حين رأت ملصقاً صغيراً على الزجاج في الداخل يفيد أنني تبرعت بخمسة ليترات من دمي الى الهلال الاحمر.

ج.ج.ل.

يانصيب لا يصيب

■ تراكمت قيمة الجائزة الكبرى في اليانصيب الوطني (لوتو) فبلغت ٢٠ مليون ليرة. فارتفعت حمى الاشتراك. وفيما أنا واقف في طابور طويل أنتظر دوري لشراء ورقة يانصيب رأيت رجلا يحمل كدسة نقود. وحين جاء دوره اشترى ٢٠ ورقة. وأطلق نهدة قوية وهمّ بالانصراف.

قدرت أنه لم يكن محظوظاً، فقلت له مواسياً: "إن لم تلعب فلن تربح أبداً." اجاب: "ليس بعد الآن. فقد أنذرتني زوجتي قائلة: إن لم تربح فلن تلعب بعد اليوم."

د.س.

قهوة الصباح

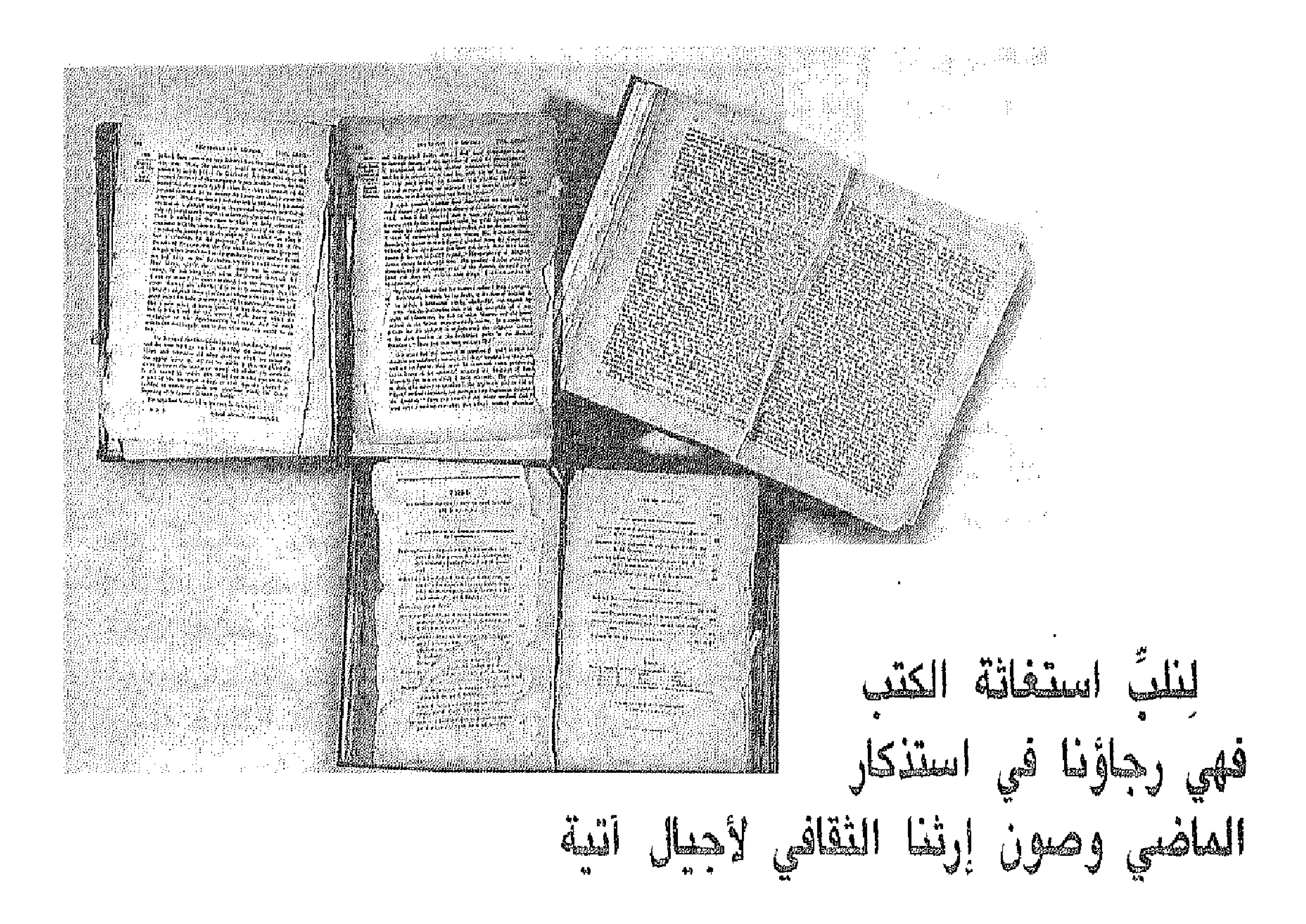
■ ركبت الحافلة في طريقي الى العمل، فشاهدت في احدى المحطات رجلا يرشف فنجان قهوة. ولدى توقف الحافلة صعد اليها تاركاً الفنجان الفارغ على الارض. فاستغربت عمله، خصوصاً لأن الفنجان بدا من الخزف الغالي الثمن. وبعد أيام شاهدت الرجل ذاته يشرب القهوة ويضع الفنجان على الارض ثم يصعد الى الحافلة. واذ انطلقنا التفت الى الوراء فرأيت كلباً يحمل الفنجان بفمه عائداً الى البيت.

ف.أ.هـ.

القلوب الحمر

■ أعطى الطبيب البيطري صديقتي حبوب دواء لكلبها المريض، مع ملصقات في شكل قلوب حمر صغيرة تضعها على الروزنامة لتذكيرها بمواعيد اعطاء الدواء. فألصقت القلوب معلّمة السبت الاول من كل شهر. ولما شاهد زوجها القلوب الحمر تبسم ابتسامة عريضة وسألها: "هل تفكرين في شيء خاص بهذه الايام؟"

م.ل.ر.



لِنلبِّ استغاثة الكتب
فهي رجاؤنا في استذكار
الماضي وصون إرثنا الثقافي لأجيال آتية

أنا الكتاب أنقذوني!

"كتبنا تموت!" صيحة أطلقتها أمينة المكتبة جاكلين سانسون وهي ترشدني الى الطبقات الاحدى عشرة في "المكتبة الوطنية" بباريس حيث يخزن نحو عشرة ملايين كتاب. أخذت تشير في كل رف الى ظرف بني واحد على الأقل عليه لصقة حمراء كتب عليها "لا تنزعه." ويحتوي الظرف على بقايا كتاب لا تحتمل ملامسة أيدي البشر. قالت مفسرة: "هاته الكتب موتى، وهذه قبورها."

وإذ مشينا بين الرفوف المتراصة سحبت سانسون كتباً كيفما اتفق. في بعضها صفحات اصفرّت أطرافها، وأخرى ذات صفحات بالية ومتشققة، وكتب تتمزق أجزاء اذ تفتح وتنحلّ نثاراً ضاربا الى السمرة.

PHOTO: THE INDIAN LAW REPORTS

تقول سانسون: "هذا أخطر الأوبئة في الزمان المعاصر. وليس في وسعنا أن نعرف أن الكتاب عليل إلا اذا نُزع من الرف الموضوع عليه. وكثير من الكتب ثاو في أماكنه لا يؤخذ. ومع ذلك ففي تقديرنا أن ثلث كتبنا عرضة للهلاك."

وزودني آخرون تقديرات تبعث على الأسى. اذ ان ثلث الكتب البالغ عددها ١٥٢ مليوناً في مكتبات البحوث بألمانيا الغربية ونحو ٩٠ في المئة من ١٧ مليوناً في المكتبات السويسرية أصابها تلف تدريجي. وذكرت مجلة "ساينس" في تقرير خاص أن قرابة مليون كتاب في المكتبات الأمريكية آخذة في التفتت والتحول نثاراً.

والمعضلة قديمة. ففي العام ١٩٠٠ أعلن ليوبولد دوليل مدير "المكتبة الوطنية" في مؤتمر دولي لأمناء المكتبات: "ان رداءة الورق ستؤدي الى تلف الوف الكتب في مستقبل قريب."

لكن أمناء المكتبات لم يبالوا بالتحذير وأخذوا يبحثون عن تعليلات أخرى لتلف الكتب. فأنحوا باللائمة على الحشرات ونور الشمس ودرجة الرطوبة والابخرة الكبريتية المنبعثة من المصانع والسيارات والازدياد المطرد في عدد القراء. كل هذه الامور أخطار سببت – وستسبب – ضرراً ذا شأن، غير أن المذنب الحقيقي ما لبث أن انكشف في الخمسينات. انه الحمض، أي إن التركيب الكيميائي للورق العصري هو الذي يدفعه الى تأكُّل ذاته.

الترياق المنتظر. ظهرت الكتب في القرن الأول للميلاد. وكانت عزيزة، مخطوطة باليد، تصنع من الرق والبرشمان النفيس. وكان انتاجها يستغرق وقتاً طويلا، فكانت موضع تفاخر وتباهٍ، اضافة الى أنها وسائل للتعلم. وبحلول القرن الرابع عشر شاع في أوروبا الورق المصنوع من الالياف والخرق.[١] ثم اخترع غوتنبرغ المطبعة في القرن الخامس عشر، وبذا خفت ندرة الكتب، وإن ظلت مكلفة للعامة واقتناؤها حكراً على أقلية.

في القرن التاسع عشر فشت معرفة القراءة والكتابة، وازداد الطلب على الكتب والمجلات والصحف. ولم تفِ الخرق بالحاجة الى الورق، خصوصاً بعدما أدت الحرب الأهلية الأمريكية في الستينات من القرن التاسع عشر الى قطع الامدادات الأساسية للقطن في العالم. فابتكر العلماء وسيلة جديدة لصنع الورق من لب الخشب، وهو رخيص ومتيسر. وبذلك أصبح في وسع كل الناس اقتناء الكتب للمرة الاولى في التاريخ.

لكن الورق المصنوع من لب الخشب لم يمتص الحبر جيداً، فأضاف إليه المهندسون حجر الشب والراتينج الصمغي ليغدو سطحه أفضل. لكن ما لم يعلموه هو أن حجر الشب والراتينج يمتزجان بالاوكسيجين مع السنين، فتتشكل مركبات من الأحماض تلتهم الورق. إن الورق المصنوع من خرق يبقى

(١) ابتكر هذا الورق في الصين فجر القرن الاول.

سليماً لقرون، لكن ورق الخشب يصبح هشاً في وقت وجيز نسبياً، وذلك بحسب الطريقة التي صنع بها والبيئة التي حفظ فيها.

وارتقب أمناء المكتبات الترياق وكادوا يقطعون الأمل. يقول هانس روتيمان وهو بحاثة سويسري مشارك في بعثة أمريكية لحفز التعاون الدولي على انقاذ الكتب: "نحن نحرز الآن تقدماً على صعيدين. الأول حمل كبرى المكتبات في العالم على تبادل المعلومات في شأن أفضل سبل الانقاذ. والثاني ايقاظ تيار عند الجمهور للعناية بالمسألة يدفع الحكومات الى تمويل ذلك المسعى."

ويعزى معظم الفضل في ايقاظ ذلك الاهتمام الى الكاتبة الامريكية برباره غولدسميث التي بدأت قبل عشر سنين بحوثاً عن أسرة فاندربيلت لتضمينها كتاباً تعده عن غلوريا فاندربيلت المرأة الذائعة الصيت في العالم. ولدى تفقد الكاتبة سجلات تلك الاسرة، تبين لها أن المستندات المطبوعة قبل العام ١٨٥٠ في حال جيدة عموماً وقابلة للاستعمال، فيما المستندات المطبوعة بعد ذلك التاريخ تتشقق وتتساقط عند لمسها.

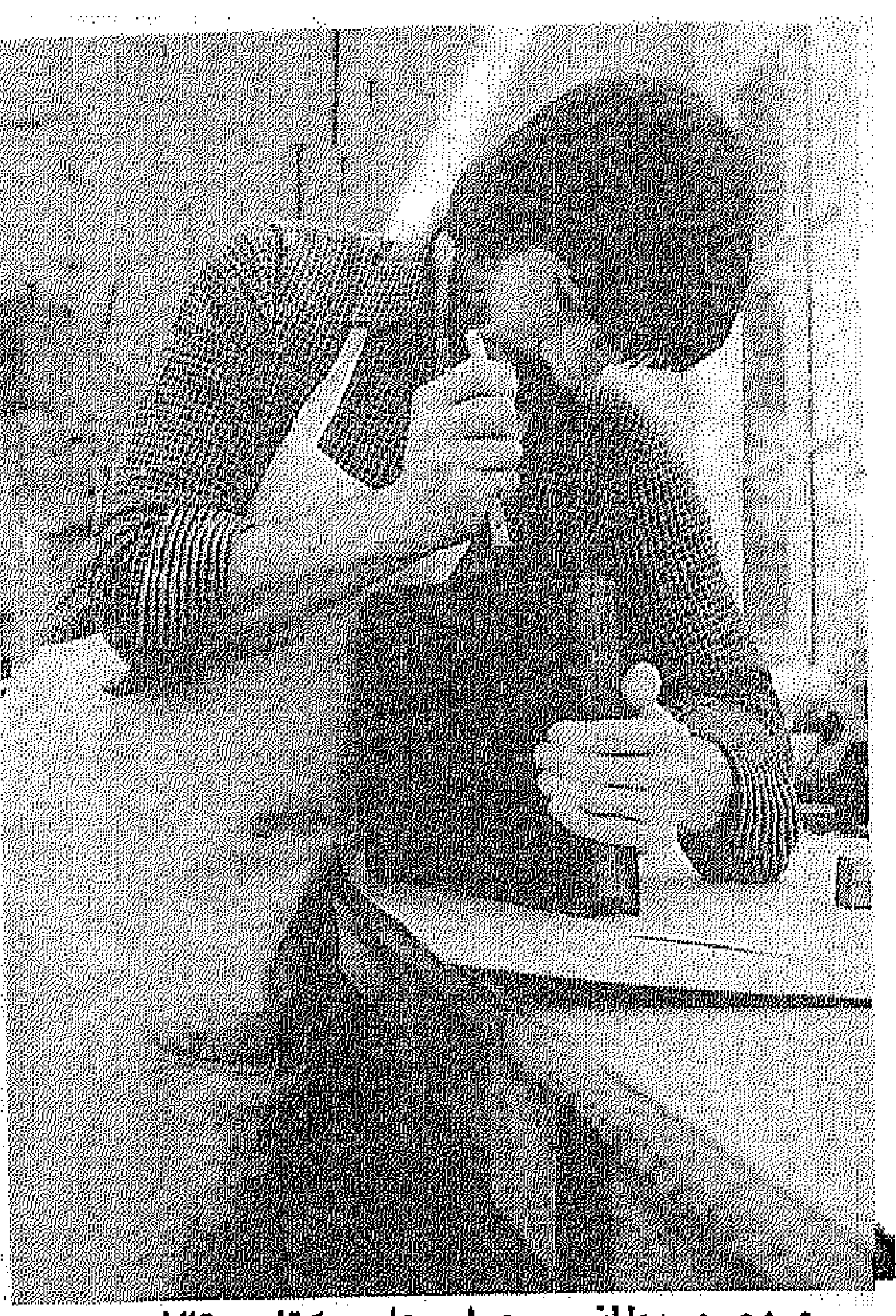
وتبين لغولدسميث أن صانعي الورق على علم بمفاعيل الحمض، لكنهم لا يعيرون الأمر اهتماماً، اذ ان واحداً في المئة فقط من الورق المصنع في العالم يتحول كتباً ذات جودة. واتضح لها أيضاً أن من الميسور، عقب دراسات أجراها أمين المحفوظات الامريكي وليم بارو في الخمسينات، صنع ورق قلوي خال من الأحماض يدوم الى أجل غير محدد وبالسعر الذي يكلفه الورق الحمضي.

وساهمت افادات غولدسميث ومقالاتها في إعلاء صيحات الاحتجاج. وانتاب الذعر زملاءها الكتّاب اذ علموا أن مؤلفاتهم ستؤول الى غبار، فشرعوا في الضغط على الناشرين. وفي مارس (آذار) ١٩٨٩ نشر على صفحة كاملة من صحيفة "نيويورك تايمز" اعلان ميثاق وقعه مئة من كتاب أمريكا وناشريها الكبار يناشد "باستعمال الورق الخالي من الاحماض في جميع الطبعات الأولى للكتب المغلفة بالجلد المقوّى.

في غضون ذلك تبين لمجموعات أخرى أن مصالحها معنية بالامر. اذ تكدّر أفراد السلك القضائي لخشيتهم أن تصبح محفوظاتهم القانونية في خطر. وقس ذلك على العلماء الذين لا غنى لهم عن سجلات الماضي.

خيار أوحد. بدأت الحكومات والمؤسسات الخاصة أخذ اجراءات ببطء. ففي بريطانيا تطبع اليوم كل الوثائق المحفوظة للبرلمان على ورق لا يبلى. والكونغرس الأمريكي عاكف على دراسة مشروع قرار ينص على طبع كل المستندات الحكومية على ورق خالٍ من الحمض، موصياً الناشرين بالاقتداء به.

وتحوّل الى الورق القلوي نحو ٤٥ مصنعاً كبيراً للورق في الغرب الصناعي. ففي النروج، مثلاً، سيكون معظم الورق



مرمم بريطاني يعمل على كتاب تالف.

الرفيع التوعية قلويا في المستقبل. تقول غولدسميث: "في نهاية الأمر، الطلب المستديم على استعمال الورق الذي لا يبلى سيجعله الخيار الأوحد اقتصاديا وأدبيا. نحن ملتزمون حماية الكلمة المطبوعة، فهي أملنا الوحيد في استذكار الماضي والافادة من الحاضر وضمان ميراثنا الثقافي مستقبلا."

ان تحويل مصنع واحد يكلف ملايين الدولارات، وليس في وسع الاتحاد السوفييتي والهند والارجنتين والبرازيل وسواها من كبار منتجي الكتب تحسين جودة الورق. عرِّضوا للنور صفحة من الكتب السوفييتية أو الهندية المتداولة، تروا نتفاً من جذور خشبية دقيقة هي دلالة على الصنع الرخيص الذي لا يدوم طويلا.

غير أن تحول كل الصانعين الى انتاج الورق الخالي من الأحماض لا يفيد ملايين الكتب التي تجمعت فيها العلوم والمعارف منذ قرن ونصف قرن، اذ فات أوان حفظها. وثمة أعداد لا تحصى لا يمكن الحفاظ عليها كما هي ولا مناص من نسخها.

والنسخ الوحيد المتاح اقتصاديا على نطاق واسع هو التصوير على أفلام مصغرة،[٢] وهذه عملية طويلة وباهظة الكلفة تنطوي على تجزئة الكتب صفحة صفحة وتلقيمها آلة التصوير واحدة تلو أخرى. ويراوح متوسط كلفة تصوير كتاب واحد بهذه الطريقة بين ٥٠ دولاراً و١٠٠ دولار، وبذا تبلغ تكاليف تصوير ملايين الكتب أرقاماً فاحشة. واذا ما توافر المال فثمة معضلات لا يمكن تذليلها. ان مكتبة الكونغرس في العاصمة الامريكية واشنطن، مثلا، غير قادرة على تصوير أفلام مصغرة لأكثر من ١١ ألف كتاب من أصل ٧٠ الفا من الكتب المصنفة هشة كل سنة، فضلا عن ثلاثة ملايين ونصف مليون كتاب هش تتضمنها مجموعتها حاليا.

في السنين العشر أو العشرين المقبلة ستسهل التكنولوجيا المتطورة حفظ الكتب. اذ تعمد النظم الالكترونية الى تمثيل الحروف بأرقام تنقلها الى أقراص بصرية أو لينة أو أشرطة مغنطيسية،

(٢) Microfilming

PHOTO: COURTESY OF THE BRITISH LIBRARY

فيتسنى آنذاك الحصول على نسخة من صفحة أو من كتاب كامل.

الحاجة ملحة الآن الى تحسين أساليب حفظ الكتب. ولعل "المكتبة الوطنية" في فرنسا حازت قصب السبق على عدد من كبرى المكتبات الاوروبية في تجديد الكتب.

نداء الى القرّاء. جلستُ في مشغل مركز الصيانة التابع للمكتبة في "سابليه – سور – سارت" جنوب غرب باريس، أرقب الشبان والشابات يمسكون الفرش والمدى والحبر والصموغ بأنامل رشيقة لاصلاح الصفحات المشوهة والتجليد المتضرر. انهم يستعملون الوسائل، قديمها وحديثها، لتجديد الورق المتجعد الذي نخره الدود ليرتد الى مظهره النضر الذي يتحلى به حين خروجه من المطبعة غضاً. وقد تمكن فنيو "المكتبة الوطنية" بعد ٩٠٠ ساعة عملا من تجديد المخطوطة الاصلية لرائعة فيكتور هوغو "البؤساء."

لكن إنقاذ أكداس الكتب يستلزم اجراءات أسرع. ومن حسن الحظ أن في الامكان اليوم تقوية الكتب والوثائق بحشر صفحاتها بين طبقتين من غشاء شفيف بالغ الرقة من مادة "بوليياميد." وفي سابليه تزال الحموضة من الكتب قبل اتمام هذه العملية باستعمال وسيلة ابتكرت في كندا وطوّرها "المركز الفرنسي لبحوث حفظ الوثائق التخطيطية." بهذه الطريقة "يخبز" نحو ٥٠ كتابا دفعة واحدة داخل فرن لخفض درجة رطوبتها. بعد ذلك تغمس في مغطس من مركّب الكربونات والمغنيسيوم والمثيل[٣] الذي يبطل مفعول الأحماض الموجودة في الورق مشكلاً أساساً قلوياً يمنع نشوء تلك الأحماض مستقبلاً.

ويتوقع جان ماري آرنو المشرف على هذه العمليات معالجة نحو ألف كتاب في اليوم قريباً بهذه الطريقة.

وكانت مكتبة الكونغرس الأمريكي ابتكرت برنامجاً أكثر طموحاً في منتصف الثمانينات. فوضعت ألوف الكتب في حجرات مفرغة من الهواء: يضخّ الهواء ومعظم الرطوبة من الحجرة، ثم يتدفق عليها غاز النيتروجين صرفاً. بعد ذلك تملأ الحجرة بغاز الزنك الثنائي الأثيل[٤] الذي يبطل مفعول الاحماض ويتفاعل مع الرطوبة المتبقية في الكتب لتشكيل طبقة رقيقة من أوكسيد الزنك تقي الورق التلف التدريجي الذي قد يسببه الحمض في المستقبل. وفي نهاية المطاف يُدخل بخار الماء الى الحجرة لاعادة النداوة واللدانة الى الكتب. وبعد ٥٥ ساعة من المعالجة تُردّ الكتب المعافاة الى رفوفها. وترتقب مكتبة الكونغرس ازالة حمض نحو مليون كتاب سنوياً بنهاية ١٩٩٢. وهذا أكبر برنامج من نوعه.

إن الابحاث حول التقنيات المتطورة تنمو باطراد. ويجري ديفيد كليمنتس المدير المسؤول عن وقاية الكتب في

(٣) Methoxy — methyl magnesium carbonate

(٤) Diethyl zinc

"المكتبة البريطانية" اختبارات على عملية تتضمن معالجة الكتب جميعاً بمواد كيميائية وإمطارها بأشعة "غاما" لزيادة قوة الورق عشر مرات واطالة عمره. كما يتولى جيرار بانيك المسؤول عن الصيانة في "المكتبة الوطنية" النمسوية، تجميد الصحف ٦٠ ساعة بعد وضعها في مغطس كيميائي، معالجاً بذلك مئة ألف صفحة أسبوعياً. وابتكر القائمون على حفظ الكتب في مكتبة "دويتش بوشيري" في ليبزيغ بألمانيا وسيلة ممكننة لفلق الصفحة رقاقتين وادخال طبقة مقوية من نسيج رقيق بينهما.

أساليب الوقاية تلك مهمة جداً، ولكن نحن القراء لنا دورنا أيضاً. يقول جان ماري آنو: "الكتاب يناجينا من الماضي، ويستشرف لنا المستقبل، وهو يستحق أن نرعى حرمته."

وتقر فرنسواز فيلدر رئيسة "المركز الفرنسي لحفظ الوثائق" المقترحات الآتية لرواد المكتبات: "لا تأتوا بالطعام والمشروبات الى حجرات المطالعة. ولا تنزعوا الصفحات أو تسطروا تعليقات على حواشيها. ولا تفسخوا التجليد لتستطيع الكتاب من أجل استنساخه." علينا، اجمالا، أن نضع نصب عيوننا اعادة الكتب الى رفوف المكتبة في الحال ذاتها كما أخذناها.

باتباع هذه القواعد البسيطة نؤدي قسطنا في الحفاظ على الكتب وإطالة عمر ميراثنا الثقافي.

روبرت فرنيك ■

لورنس أوليفييه

يخصص "مسرح أوليفييه" ضمن "دار المسرح الوطني الملكي" البريطاني ثلاثة صفوف أمامية تدعى "مقاعد الامواج." وقد اصر مؤسس المسرح اللورد لورنس أوليفييه على تخصيص هذه المقاعد للذين يقفون في الطابور باكراً لشراء البطاقات الاربعين المعروضة للبيع صباحاً. فهو رأى ان مكافأة روّاد المسرح المتحمسين بادرة ضرورية، ولكن كان لديه دافع خفي آخر: فاذا كان شُراة هذه البطاقات الصباحية من هواة المسرح المتحمسين، فغالب الظن أنهم سيكونون اكثر تجاوباً مع المسرحية من غيرهم، فيضحكون للمشهد الهزلي ويبتئسون اذا كان المشهد حزيناً. وتموج هذه الاحساسيس والعواطف منتقلة الى سائر المشاهدين وضامنة جوّاً مسرحياً جيداً.


إ.ب.

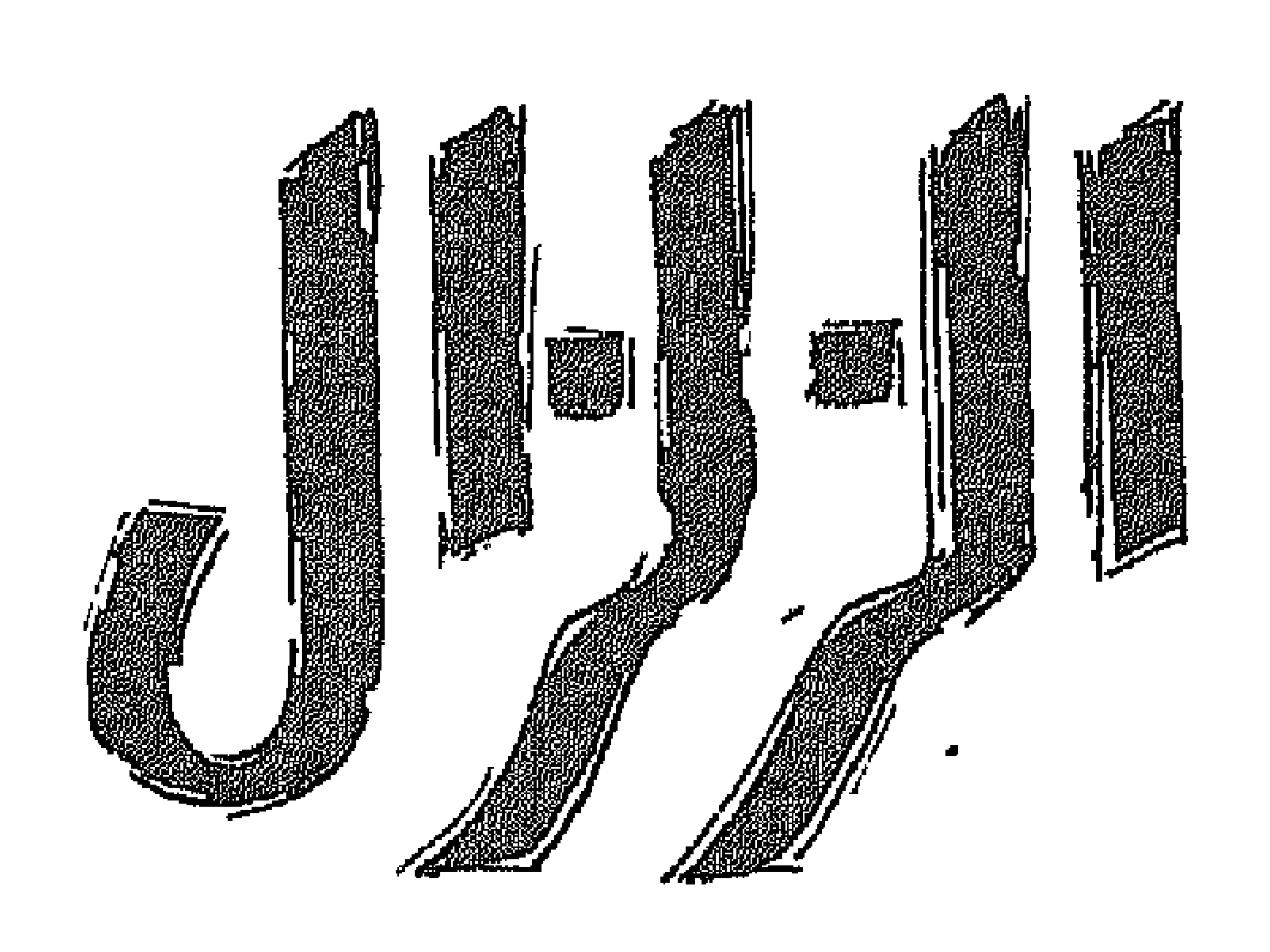
لصوص ذوّاقون!

ذات صباح وصل طالب الى معهد الرسم متأخراً وغاضباً. وأخبرنا أن لصوصاً اقتحموا شقته وسرقوا جهازي التلفاز والستيريو وأشياء ثمينة أخرى. فحاولنا مواساته، لكنه فاجأنا بالعبارة الآتية: "أسوأ ما في الامر أنهم سرقوا كل شيء الا رسومي."

د.ك.







في ١٧ أكتوبر (تشرين الاول) ١٩٨٩ ضرب شمال كاليفورنيا زلزال عنيف رصد موقعه في صدع على عمق ١٨ كيلومتراً تحت سطح الارض. فخلّف ٦٣ قتيلا و٣٧٠٠ جريح وأحدث أضراراً في الممتلكات قدرت بمليارات الدولارات وشرّد ألوفاً تهدمت منازلهم وباتوا من دون مأوى.

لفّت غلالة قاتمة من الحزن واليأس مدينة سان فرنسيسكو، تلك الدرّة المتلألئة على الشاطىء الغربي للولايات المتحدة. وتبيّن أن الكارثة البشرية الكبرى وقعت في أوكلاند، الى الشرق عبر خليج سان فرنسيسكو، حيث انهار جزء زاد طوله على ١٦٠٠ متر من جسر عملاق ذي طبقتين. وحصل الانهيار في أوج زحمة السير، فأغرق المكان في جحيم من الهول لم يشهد نظيره تاريخ الكوارث في أمريكا.

وتحولت "نيميتز فريواي" كابوساً رهيباً من الرعب والموت والدمار وتجلّت فيها البطولة في ذروة روعتها وعطائها.

الثلثاء ١٧ أكتوبر (تشرين الاول) ١٩٨٩، الساعة ٥،٠٤ بعد الظهر.

منذ ١٤ سنة يجوب جون ديفريتاس طرق كاليفورنيا الرئيسية في شاحنة قاطرة، ولم يقع له حادث. وهو قطع ما يزيد على مليون ونصف مليون كيلومتر من دون أن ينظم في حقه محضر مخالفة لقانون السير.

ديفريتاس في الاربعين، وهو من جزيرة أروبا الهولندية الصغيرة في البحر الكاريبي. عيناه يقظتان وله لحية عارمة وخطّها الشيب. انه يحب قضاء أوقات طويلة

مع زوجته وأولاده، ويحلو له صنع المجوهرات الغنية بالالوان وعزف الموسيقى الشعبية.

في هذا النهار كان ديفريتاس متجهاً جنوباً في شاحنته على الطبقة العليا من "نيميتز فريواي"[1] وهي طريق قديمة ضخمة تصل جسر "باي بريدج"[2] بين سان فرنسيسكو وأوكلاند بعدة طرق رئيسية توصل الى المجمّعات السكنية الكثيفة جنوب أوكلاند وشرقها. فالطبقة العليا من الطريق خاصة بالسيارات المتجهة جنوباً، بينما تسلك الطبقة الدنيا السيارات المتجهة شمالا والى جسر "باي بريدج."

تحت هاتين الطبقتين تتقاطع الشوارع في غرب أوكلاند، أفقر الاقاليم في منطقة الخليج. ولاكثر من ثلاثة عقود كان المتنقلون يومياً في سياراتهم ينظرون الى أسفل حيث الشوارع الفقيرة، وكان سكان هذه الشوارع يتطلعون الى أعلى ليشاهدوا السيارات اللماعة تئز منطلقة فوقهم. ونادراً ما تلاقى شعبا هذين العالمين المتباينين.

في الخامسة عند الاصيل كانت طريق نيميتز مكتظة، كالعادة، بالسيارات والشاحنات. وكان ديفريتاس بين ألوف المتنقلين يومياً عائداً الى منزله لمشاهدة مباراة متلفزة في البايسبول (كرة القاعدة) بين فريق أوكلاند (وهو من أنصاره) وفريق سان فرنسيسكو "جاينتس." وكانت تلك المرة الاولى في تاريخ لعبة البايسبول يتقابل الفريقان متنافسين على بطولة العالم. وكان ديفريتاس متأخراً قليلا والمباراة على وشك أن تبدأ.

شهد ديفريتاس خلال قيادته الشاحنات حوادث اصطدام وجنوح مخيفة على الطرق الرئيسية صيَّرته حذراً حريصاً، حتى انه وضع خطة خاصة به في حال تجاوز شاحنته حاجز الجسر واندفاعها محلّقة في الفراغ. وكان يستحضر هذا المنظر الخيالي مراراً وهو يقود شاحنته على طرق كاليفورنيا. والآن، فيما هو يقترب بشاحنته من طريق نيميتز بسرعة ٩٠ كيلومتراً في الساعة، سمع عبر جهازه اللاسلكي صوت سائق يعرفه يعمل على بعد ٦٥ كيلومتراً جنوباً، قرب مدينة سان هوزيه يهتف: "إننا نتعرض لهزة أرضية قوية."

وردّ سائق أخر: "ليس الأمر مزاحاً."

في تلك اللحظة رأى ديفريتاس مشهداً مذهلا، اذ راح الاسفلت أمامه يتموج كأفعى ضخمة سوداء، ثم بدأ يتساقط عليه كأمواج بحر ثائرة زاد ارتفاعها على متر.

تطايرت السيارات في كل اتجاه كلعب مترنحة على سكة حديد للاطفال. واختفى بعضها عندما انشقت الطريق وابتلعتها، فيما انطلقت أخرى كصواريخ في الهواء

---

(١) Nimitz Freeway والـ"فريواي" طريق رئيسية.

(٢) Bay Bridge

وسقطت الى جانب الطريق. وما ان ضغط ديفريتاس دواسة الكابح حتى عبرت "موجة" الاسفلت الاولى تحت شاحنته فرفعت مقدمها في الهواء، ثم مالت الطريق نحو ٣٠ درجة الى يساره وعجز عن السيطرة على عجلة القيادة وابقاء شاحنته على الطريق.

وما هي الا ثوان حتى رأى ديفريتاس نفسه مندفعا مباشرة الى حافة الطريق. وتواثبت الشاحنة فوق الاسفلت المتكسر واصطدمت بالحاجز واخترقته. في تلك اللحظة نفَّذ الخطة التي أعدها لمثل هذه الحال الطارئة والتي لم يتوقع اللجوء اليها يوماً. في لمح البصر فكّ عنه حزام المقعد وارتمى على ظهره في أرض الشاحنة تحت عجلة القيادة وستر وجهه بيده اليمنى فيما اولج اليسرى تحت المقعد وأمسك بالنوابض للثبات.

في هذا الوضع أحس ديفريتاس بالشاحنة القاطرة تحطم حاجز الطريق وتندفع محلقة في الهواء. فتنبه الى حمولة مادة مرقِّق الدهان السريعة الالتهاب التي كان ينقلها، وأدرك أن شاحنته قنبلة مندفعة على علو ١٥ متراً وستنفجر لدى سقوطها. فأغمض عينيه وهتف: "ساعدني يا رب! ساعدني يا رب!"

زوجة موؤودة

كانت دوروثي فرانز أوتو عائدة الى منزلها في اقليم مارين في الجهة المقابلة من الخليج، متجهة في سيارتها شمالا عبر الطبقة السفلى من طريق نيميتز. اتصلت بزوجها عبر هاتف سيارتها لتعلمه أنها في طريقها الى المنزل. وكانت أوتو جدة في الثالثة والاربعين، وقد اقتحمت عالم الاعمال وتغلبت على مصاعبه ونجحت كبائعة متفوقة ومكافحة شرسة تنعشها المنافسة أينما وجدتها. وهي اتسمت بالمرح والحيوية، واستهوتها صفقات البيع وشحذت همتها ونشاطها منذ حداثتها في غرب بنسلفانيا. وكان سبب تأخرها في العودة الى المنزل، كما ابلغت الى زوجها، هو اتمامها صفقة بيع اضافية بعد دوام العمل.

لم يكن هناك ما يبطيء دوروثي عادة. ولكن هذه المرة أوقفها سقوط دعامة من الاسمنت على سيارتها تزن ٢٠٠ طن، وهي واحدة من عشرات الدعائم التي سقطت من الطبقة العليا على السيارات في الطبقة السفلى. وكانت هذه الدعائم تسند ١٢٨ جزءاً من الطريق ويزن كل جزء ٦٠٠ طن. والدعامة التي سقطت متعارضة على سيارة أوتو سحقت المقدم ومعه المحرك حتى الحاجب الزجاجي، فتحول للحال كتلة متمعجة من الحديد لا تتعدى سماكتها ١٠ سنتيمترات.

لكن دوروثي أوتو نجت بأعجوبة من موت محقق على بعد بضعة سنتيمرات. الا ان

حظها ابى الا أن يتعثر، فقد طمرتها شرائح اسمنت انهالت حولها بكثافة ففجرت اطارات السيارة وخزان الوقود.

رأت دوروثي نفسها دفينة بين الركام تحوطها ظلمة يمتزج بها دخان. فاتجه فكرها الى زوجها. فتناولت قصاصة ورق كتبت له فيها رسالة تنبئه أنها نجت من الكارثة لكنها تخشى احتراق السيارة لأنها مبللة بالوقود والدخان يتصاعد منها.

اكتنفت الظلمة دوروثي وأطبق عليها سكون قاتل، وحبس عنها الركام صراخ الرعب والالم وأنين المصابين. وداخَلها أنها ستموت حتى وان تمكن رجال الانقاذ من الوصول اليها، لانها كانت "معلَّبة" باحكام في سيارتها بحيث يتعذر سحبها بسهولة. وهي أرادت أن يعلم زوجها جاك أنها تحبه. وبعد أسابيع عثر على الرسالة ملطخة بالدم.

في منزل آل أوتو في سان رافاييل اطمأن جاك الى أن دوروثي لن تصل قبل ساعة، فجلس لمشاهدة التلفاز والاستماع الى أخبار الخامسة بعد الظهر. وعند وقوع الهزة كاد عنفها يقذفه عن الأريكة. فتمالك ذاته وقوَّم الاضرار الطفيفة التي لحقت بالمنزل وحسب نفسه محظوظاً لعدم انقطاع التيار الكهربائي.

وفيما هدأ روعه بدأت الاخبار تتوالى على التلفاز. فراح يقدّر موقع دوروثي في الساعة ٥،٠٤ استناداً الى الوقت والمكان اللذين اتصلت منهما. وعرف أنها ستسلك طريق نيميتز شمالا على الطبقة السفلى التي تحولت مسرحاً دامياً لفاجعة رهيبة.

قدَّر جاك أن زوجته هي حيث عرض التلفاز في نشرة الأخبار مشهد الدخان الاسود يتصاعد من جانبي طريق نيميتز المدمرة. فاذا كانت دوروثي هناك فمن المستحيل بقاؤها حية.

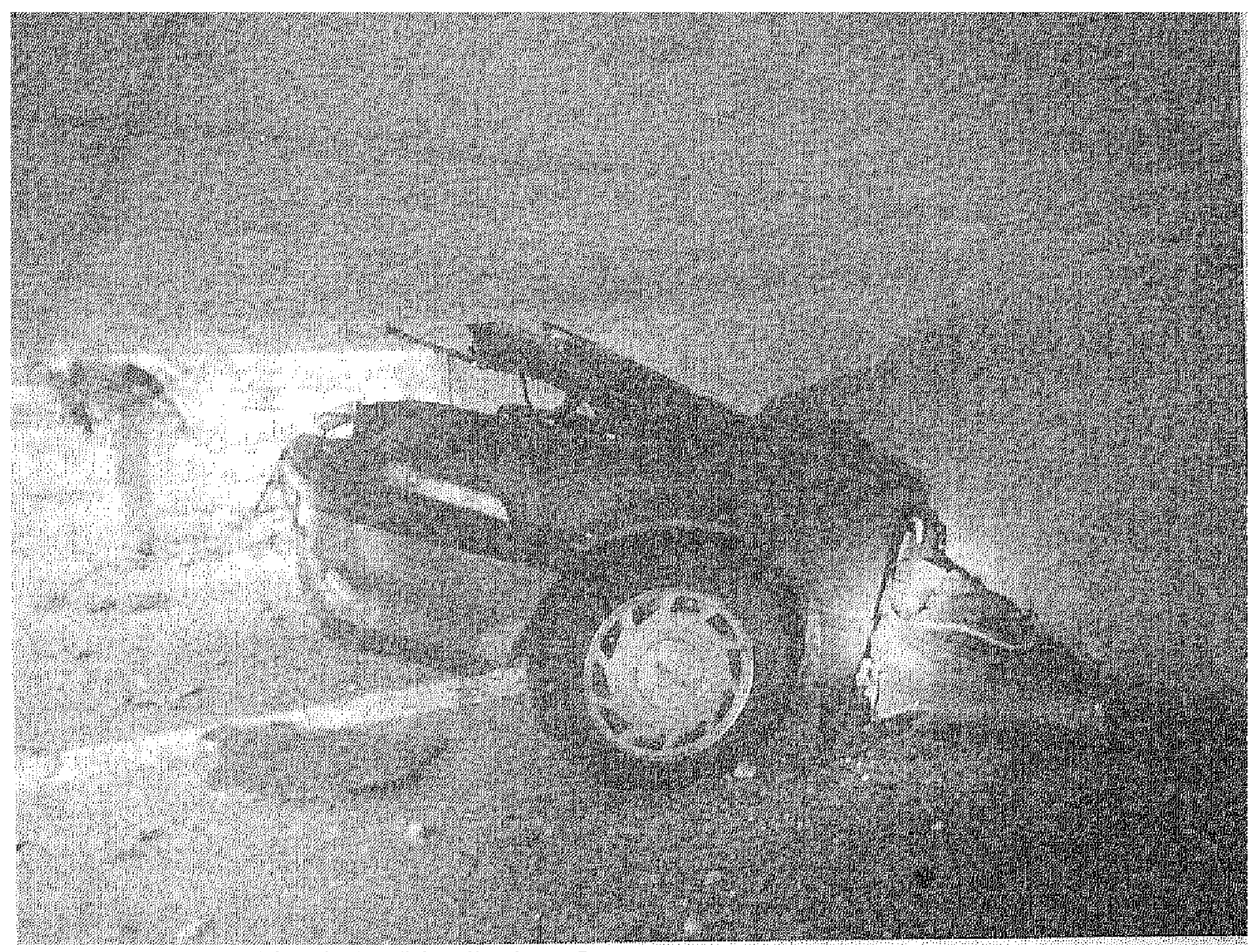
ثوانٍ في الجحيم

في عمق جبال سانتا كروز الباعدة ١٠٠ كيلومتر من جنوب سان فرنسيسكو، تفجرت أحشاء الارض في جوار مستوطنة صغيرة تدعى "بوني دون." فعلى عمق ١٨ كيلومتراً تحت سطح الارض، بالقرب من قمة لوما بريتا، رُصد احتكاك لوحين تكتونيَّين[٣] متقابلين على جهتي صدع سان أندرياس،[٤] بحيث "تطاحَنا" مسافة مترين أفقياً ومتر عمودياً. فانطلقت هزة أولية استمرت ١٥ ثانية وأطلقت فيضاً عارماً من الطاقة الهائلة يعادل ٥٠٠ ألف طن من المواد الشديدة الانفجار.

---

(٣) Geotectonic plates . والتكتونية هي عملية التشويه التي تغير شكل قشرة الارض محدثة القارات والجبال وسواها.

(٤) San Andreas Fault



سحقت هذه السيارة عندما سقط جزء من الطريق.

وماجت أحشاء الارض كفراش مائي عملاق، واهتزت قشرتها بعنف رهيب. وعلى سطح الارض فوق بؤرة الزلزال اقتُلعت أشجار السيكويا الحمراء العملاقة وتقاذفتها الهزة صعوداً ونزولا كأنها وحوش ضخمة تتراقص في الهواء. وظهرت شقوق وفجوات فاغرة كأشداق الضواري يزيد عمقها على مترين.

امتد الزلزال شعاعياً في دوائر كالتي تنداح على صفحة الماء حين تُرمى بحجر، وفي سرعة تقارب ٢٠ ألف كيلومتر في الساعة. واجتاحت هذه القوة الراعدة البلدات والمدن المجاورة، فدُمّر الوسط التاريخي من مدينة سانتا كروز وانهارت المنازل في المنطقة وانتُزعت ألوف المداخن كأن يد جبار اقتلعتها. ونزلت أفدح الأضرار بمدن مثل لوس غاتوس ودافنبورت وأبتوس وواتسونفيل حيث أصبح ألوف السكان بلا مأوى.

واجتاح الزلزال الذي بلغت سرعته ستة كيلومترات في الثانية ملعب "كاندلستيك

بارك" حيث احتشد ٦٠ ألف متفرج لمشاهدة المباراة الاولى في سلسلة المباريات السبع لنهائيات البايسبول العالمية.

وما هي الا ثوان حتى كان امتد الزلزال الى سان فرنسيسكو فدمّر منطقة "مارينا." وكانت أبنية كثيرة في تلك الواجهة البحرية مبنية على قواعد من الردم، فتحول هذا الردم مادة شبيهة بالهلام. لا تدعم شيئاً. ويدعو الجيولوجيون هذه الظاهرة "تميُّعا" اذ تتحول مواد الردم – رمل ووحل وحطام ممزوجة بالماء المتسرب – عصيدةً تشبه الرمل المتحرك. ولو وُضعت هذه المواد في خفّاقة مطبخ لأعطت النتيجة ذاتها. لذا انهارت مئات المنازل الفخمة اذ تحولت أساساتها وحلاً مائعاً.

واندلعت الحرائق في أماكن عدة من المدينة، وأكبرها حريق هائل شب في احدى مجموعات الابنية المتلاصقة في منطقة "مارينا." ذلك الحريق الذي غذته أنابيب الغاز المكسورة، عرض لساعات على شاشات التلفزة وأعطى انطباعاً خاطئاً أن قسماً كبيراً من سان فرنسيسكو ذهب طعاماً للنيران.

وتمايلت ناطحات السحاب العصرية في الوسط المالي بسان فرنسيسكو كالقصب في مهب الريح. وهي ربما كانت الابنية الاكثر أماناً ضد الزلازل في العالم كله. وانهمر حطام الزجاج وتناثر في الشوارع التجارية تحتها. وطغا على سكان هذه البنايات العملاقة المترنحة، وهم يتطلعون الى الخارج، خوف من ارتطام الواحدة بالاخرى المجاورة لها، ومن انهيارها على الارض بمن فيها.

وتتابعت التموجات العنيفة، فضربت ركائز جسر "غولدن غيت" الشهير فتمايل المعبر العظيم. وعندما هدأت الهزات شاهد سائقو السيارات من بعد سحب الدخان والغبار متصاعدة في سماء سان فرنسيسكو الغارقة في عتمة قاتمة.

وبعد دقائق شُعر بالهزة في لوس انجلس جنوباً ونيفادا شرقاً وأوريغون شمالاً. وبعد جمع المعلومات حدد العلماء قوة الزلزال بـ٧,١ درجات في مقياس ريشتر،[٥] وأطلق عليه اسم "لوما بريتا" نسبة الى المكان الواقع مباشرة فوق بؤرة انطلاقه. وتبيّن أنه الاقوى الذي ضرب منطقة رئيسية في الولايات المتحدة منذ الزلزال الذي دمّر سان فرنسيسكو عام ١٩٠٦ وكان أقوى كثيراً من زلزال ١٩٨٩.

لكن أفدح الاضرار وقع في شرق سان فرنسيسكو. فعلى جسر "باي بريدج" تطايرت السيارات كلعب في الهواء حين عصفت الهزة بالمداميك وانفصمت الصوامل في أحد أقسام الجسر مما أدى الى سقوط الطبقة العليا على الطبقة السفلى. وقتلت

(٥) مقياس ريشتر نظام يسجل قوة الزلازل متدرجة من صفر الى ٨,٩ درجات. وكل زيادة من درجة واحدة تعني زيادة قوة الزلزال عشرة اضعاف.

سائقة قُذفت سيارتها خارج الطريق من علو ١٥ متراً وتحطمت في الاسفل.

ووقعت "المجزرة" الكبرى بعد "باي بريدج" مباشرة حيث سوّى الزلزال بالأرض قسماً من طريق نيميتز الثنائية على امتداد كيلومترين، مما أدى الى مصرع ٤٢ شخصاً من أصل ٦٣ كانوا حصيلة قتلى الزلزال.

ولكن، اذا تجاوزنا الاحصاءات والكارثة البشرية المهولة، فسيذهلنا ما أبداه سكان هذه المنطقة البحرية الموبوءة بالجريمة والبطالة والمخدرات، من بطولة رائعة قل نظيرها.

أبطال الشوارع

أطبق شطرا طريق نيميتز باحكام هائل، كأنهما شطيرة (ساندويش) ضخمة. فسحقتا كل ما كان بينهما وتحولتا نعشاً محكم الاقفال. فتفجر الوقود في خزانات السيارات والشاحنات فاشتعلت، واحترقت العجلات المطاطية. وتسرب الدخان الاسود الكثيف من جوانب "الناووس" الهائل. وكان أفظع ما طالع أول الواصلين الى مكان الكارثة منظر الدم ينساب من بين شطري الطريق المنهارة.

لحظة وقوع الكارثة كان إميليو لوبيز (٢٨ عاماً) وهو منجد أثاث، في منزل والدته القريب من طريق نيميتز. وبدا له أن العالم كله أنهار حوله في لحظة خاطفة. والتجأ وليم ماكلروي (٥٢ عاماً) وهو صانع مراجل، الى منزله القريب لدى مشاهدته طريق نيميتز تتداعى وتنهار. واذ انجلى غبار الاسمنت وحلت سحب الدخان الاسود، هرع لوبيز وماكلروي الى الموقع مع أصحاب مروءة كثيرين من القاطنين في الشوارع القريبة، وشكلوا فرق انقاذ فوري. قال لوبيز: "كان هؤلاء الضحايا في حاجة ماسة الى مساعدة فورية. ولم يكن هناك سوانا لأداء هذا الواجب. فعملنا أقصى ما قدرنا عليه."

وفي بعض الاماكن على طريق نيميتز انطبق الشطران ثم انهارا معاً متحطمين على الشوارع تحتهما. وفي مواقع أخرى شوهد شطر من الطبقة العليا مرتكزاً على الطبقة السفلى ومعلقاً على ارتفاع ثمانية أمتار في الهواء. وشوهد أيضاً قسم من الطبقة العليا منهاراً على الطبقة السفلى ومائلاً بزاوية ٤٥ درجة.

ولم يؤهل التدريب على مكافحة الكوارث أحداً لمواجهة هذا الكابوس المرعب الذي اجتاح شوارع أوكلاند.

وبعد استقرار كتل الصلب والاسمنت الضخمة وتوقفها عن السقوط خف لوبيز وماكلروي وكثيرون غيرهم الى العمل. ولم تتسنَّ لهم معرفة عدد المترجحين بين الموت والحياة تحت أنقاض الهيكل المتهدم الذي ظلّل جوارهم لثلاثة عقود. ولكن

تناهى اليهم صراخ الألم والاستغاثة وحشرجة المحتضرين التي تقطع نياط القلوب، من المدفن الهائل المغلّف بالاسمنت.

وعلى امتداد الطريق ارتفعت ألسنة النار وسحب الدخان الاسود من غابة قضبان الصلب الملتوية كعيدان المعكرونة والناتئة في كل الاتجاهات. وخرج بعض المحظوظين الناجين من سياراتهم في الطبقة العليا الى حافة الطريق صارخين طالبين النجدة. وحاول بعضهم الهبوط على قضبان الصلب المثلّمة الملتوية، فيما علق آخرون في شرك لا نجاة لهم منه الا بالقفز الى الارض من علو ١٥ متراً.

كان من الواضح للمنقذين وللضحايا أن الهيكل قد ينهار الى الارض في أي لحظة. وما هي دقائق حتى رُفعت السلالم واستُحضرت معدات الرفع والقطع والتحريك والرافعات الضخمة القوية والحبال للوصول الى أعلى، وانزال المصابين الى الأرض.

كان المنقذون الذين تسلقوا الهيكل المتهدم رجالا عاديين يقطنون في المنازل المجاورة ويفتقرون الى الخبرة والتدريب على الانقاذ. وكان اعتمادهم كليا على بداهتم ونباهتم وحسن ادراكهم التي كانت لهم في هذه المرحلة الاولى العصيبة خير بديل. وهم استعانوا بالمطارق والمقاطع والعتلات ورافعات السيارات وخلّصوا كثيرين من تحت الركام. فكانوا يجتنبون ألسنة اللهب والفجوات الخطرة ويأتون بالمصابين الذاهلين الى حافة الطريق حيث يتلقاهم آخرون وينزلونهم الى الارض. وفي بعض الحالات كانوا ينزلون الجرحى بالحبال. وهم استعانوا بأخشاب من مخزن مجاور لفتح أبواب السيارات وسحب المحتجزين فيها، وهدأوا من روعهم وقدموا اليهم الاسعافات الاولية.

وظل الهيكل يئن على امتداد كيلومترين فيما تابع هؤلاء المنقذون، أبناء الشوارع، عملهم البطولي بعزيمة لا تعرف الكلل. وكانت كل حركة منهم للوصول الى ضحية وانتشالها، تحمل خطراً داهماً. ولم يغب عن بال معظمهم أن البناء قد يكمل انهياره ويدفنهم تحت أنقاضه. لكنهم آثروا تجاهل هذه الفاجعة المحتملة.

وفي حالات عجزهم عن بلوغ المصابين بجروح قاتلة وانقاذهم، شفعوا جهودهم بمؤاساتهم واقتباس كلمات مشجعة عن الحياة وحتمية الموت. وغابت الفوارق الواسعة بينهم في الثروة والجاه والمقام، وحل مكانها قاسم إنساني مشترك.

وفي مجال الشجاعة والعطف، لم يكن في عداد من توافدوا لاحقاً للانقاذ من برّ هؤلاء المتطوعين الذين كانوا أول الواصلين الى مسرح الكارثة.

لم يتوقفوا عن المساعدة ساعة وصول الاطفائيين المحترفين والمسعفين الطبيين. قال الملازم الأول جون أيرونسايد أحد رجال الاطفاء الاوائل الذين وصلوا الى نيميتز فريواي: "كان هناك جيش من الناس يقوم بكل الاعمال اللازمة. ولما بدأنا عملنا

تنحوا ووقفوا جانباً في حال جهوز لتلبية الاوامر، كازالة كتل الاسمنت الضخمة ورفع المصابين من سلال الانقاذ وانزالهم الى الارض."

وأضاف الملازم الأول روبرت برامانتي: "بصراحة، لا أرى كيف كنا سننجح لولا هؤلاء المتطوعون. ولن يعرف أحد عدد الناس الذين أنقذوهم."

حيث لا يجرؤ الآخرون!

مارتي كودي (٣٠ عاماً) مسعفة طبية مرحة ذات شعر فاحم وعينين سوداوين ثاقبتين. طولها ١٦٠ سنتيمتراً ووزنها ٥٠ كيلوغراماً، وتتميز بقدرتها على الزحف الى الفجوات الضيقة الصغيرة وسط الركام حيث تبقى مع المحتجزين، تعتني بهم وترعاهم الى أن تتاح سبل لانتشالهم وانقاذهم. وتتمتع كودي ببنية قوية، وهي مدرّبة تدريبا حسناً. وخلال أربع سنوات من عملها مسعفة طبية استحقت احترام زملائها في هيئة "الاسعاف المتحد" في أوكلاند.

يقول رئيسها بروس هاغن: "انها تتمتع بشخصية قوية شجاعة، ويمكننا الاعتماد عليها في كل الاوقات."

كانت مارتي من أوائل المسعفين الطبيين الذين وصلوا الى مكان الكارثة. وعملت في الساعة الاولى على انتشال ضحايا من أماكن صعبة، متمعّجة الى أماكن يعجز سواها عن الوصول اليها. وكانت باكورة نشاطها التسلّق الى حافلة كانت تنقل ثماني نساء عائدات من عملهن في المركز الطبي بجامعة كاليفورنيا في سان فرنسيسكو، وكانت خمس منهن فارقن الحياة لدى وصولها. لكن المنقذين الذين تبعوها استطاعوا نقل الثلاث الباقيات الى عربات الاسعاف.

ثم دعاها هاغن الى مهمة بالغة الصعوبة في عمق أحد المواقع المنهارة والمسوّاة بالارض. فربما أمكن انتشال مصاب من سيارته المسحوقة اذا أمكن انتزاع عجلة القيادة. استلقت مارتي على ظهرها وأخذت تنشر عجلة القيادة بمنشار معدني. ولم تكن هناك فسحة للمنشار، فأمسكت الشفرة بأناملها وراحت تحزّ. واستهلكت أربع شفرات قبل أن تنشر العجلة وتحرر الرجل.

ولم تأخذ دقيقة راحة واحدة، بل عكفت على استكشاف الدمار والحطام بحثاً عن أحياء. فأقحمت جسدها بين كتلتي اسمنت تشعبت منهما قضبان مثلّمة من الصلب، وانزلقت كأفعى على بطنها الى عالم مغلق يسوده هدوء مريب ولا يسمع فيه سوى موسيقى راديو أو صوت منبّه لباب مفتوح في سيارة مطمورة. ومن حين الى آخر كان ضوء جانبي يومض منيراً ظلمة الفجوة. وتعين على مارتي التمعّج والتلوي في أماكن لا يزيد ارتفاعها على ٣٠ سنتيمتراً مما اضطرها الى نزع خوذتها الواقية.

في هذا المدفن الاسمنتي الرهيب شاهدت مارتي مناظر فاجعة غابت عنها خلال عملها كمسعفة طبية في شوارع أوكلاند: فهنا برك من الدم القاني، وهناك نتف من أجساد ممزقة. وعلى رغم قساوة تلك المشاهد لم تهن عزيمتها. وهي تقول: "كنت مدفوعة بحقيقة وجود أناس أحياء هناك. أحسست ذلك في أعماق قلبي وروحي، وعرفت أنهم هناك. فثابرنا، وتسنى لنا العثور عليهم."

كان الخطر جاثماً فوق مارتي والعاملين معها داخل الهيكل المتهدم. فقد كانت هزة لاحقة خفيفة كافية لانهيار ما بقي منه واقفا، فيدفعهم جميعاً في أحشائه.

وحدثت فعلا هزة خفيفة في الساعة ٥،٤١ بعد ٣٧ دقيقة من الهزة الكبرى، وبلغت قوتها ٥،٢ درجات بمقياس ريشتر. فاهتزت لها طريق نيميتز من أقصاها الى أقصاها

عملت مارتي من دون توقف حتى ساعة متقدمة من الليل، يحفزها أمل وطيد بالعثور على أحياء آخرين. وهي تقول: "كلما توقف الصراخ والأنين خيم سكون شامل. وأصعب ما عانيناه اضطرارنا الى تجاوز الميؤوس منهم والبحث عن آخرين يحتاجون الى مساعدتنا."

وكانت مارتي تخرج من سراديب الدمار وتدل رجال الانقاذ على محتجزين داخل سياراتهم، فيتوجه المسعفون الطبيون الى حيث تمكنهم المساعدة. وغالباً ما انسلّت الى حيث تُنتشل ضحايا، فتتلوى وتزحف كالحية الى الفجوات حيث تكشف مزيداً من الضحايا تحت الركام وقد برز منها رسغ أو قدم أو ساعد.

ولم يكن سهلا ارسالها الى بيتها لكي تنام. اذ ما كادت تغفو حتى رأت في حلم أنها غفلت عن ولد بين الركام. فنهضت وعادت الى العمل.

بدا دور مارتي كود في ساعات الانقاذ الاولى نموذجاً للتفاني والتضحية اللذين أبداهما كثيرون من المسعفين الطبيين والاطفائيين ورجال الشرطة والمتطوعين. وقد اشترك في عمليات الانقاذ أكثر من ألف شخص. ومنهم من خاطر بحياته لمساعدة الآخرين. وهم بذلوا في جبه هذا التحدي أقصى طاقاتهم، من مهارات جسدية وكبت للعواطف والانفعالات وعبقرية انسانية مبدعة.

أما الحادث المثير الذي خطف انتباه العالم فكان انقاذ الطفل هوليو بيرومن (٦ أعوام) الذي احتجز داخل سيارة عائلته سبع ساعات. وكان عالقاً تحت جثة امرأة ميتة، وقد اضطر الدكتور جايمس بيتس، وهو جراح اطفال، الى بتر ساق هوليو تحت الركبة لتمكين رجال الاطفاء من انتشاله.

قفزت الشاحنة – القاطرة من الطبقة العليا لطريق نيميتز، وجون ديفريتاس داخلها ينتظر الموت... الذي لم يأت. ويقول: "أثناء هبوطي ساورتني أفكار ضاغطة شتى،



(فوق) جون ديفريتاس. (الى اليسار) الشاحنة التي كان يقودها بعد سقوطها ١٥ متراً.

لكني استسلمت لمشيئة الله اذ كنت عاجزاً عن عمل أي شيء الا الصلاة والانتظار."

بعد السقوط خيم الهدوء على كل شيء. ويتابع جون: "شعرت بألم هائل في ظهري، لكني استطعت تحريك يديّ ورجليّ. وكانت قمرة الشاحنة مستوية، وشممت رائحة وقود فتساءلت: هل شاحنتي تحترق؟"

نهض جون من أرضية القمرة ومد رأسه من النافذة مستطلعا. فوجد أن الشاحنة سقطت مستوية على عجلاتها ثم مالت الى اليسار في احد الشوارع تحت طريق نيميتز. فهرعت اليه احدى الممرضات وهي لا تصدق أن سائق الشاحنة الطائرة ما زال حياً. فصاح بها جون كي تتراجع لان حمولته قد تتفجر في أي لحظة.

زحف جون عبر النافذة وتطلع حوله فتبين له أنه قُذف أفقيا خارج الطريق وحلّق حوالى ٢٠ متراً ثم هوى ١٥ متراً الى الارض. وما ان استوعب ذلك حتى سمع الناس يصرخون وشاهد سحب الدخان تتصاعد من الانقاض ورأى طريق نيميتز قد تحولت بطبقتيها كومة من ركام.

حضّت الممرضة جون على ركوب سيارتها لكي توصله الى المستشفى. لكنه، بدل

ذلك، طلب ان توصله الى شاحنة أخرى كانت قفزت من الطبقة العليا وهوت عمودياً مستقرة على مقدمها في مكان قريب، فسحقت القمرة التي غدت مثل أكورديون.

وصل جون الى الشاحنة آملا مساعدة السائق، لكنه وجد رأسه مسحوقاً في لوحة أجهزة القياس واحدى ساعديه متدلية من الزجاج الامامي. وجس نبض الساعد فلم يحس شيئاً. في تلك اللحظة جال في فكره كم كان محظوظاً لتمدده على أرضية الشاحنة. واستدار وطلب من الممرضة أن تأخذه الى المستشفى حيث بقي يومين.

أما دوروثي أوتو فكانت أقل حظاً، اذ علقت قدمها اليسرى تحت حاجب الحرارة وانغرز الكابح اليدوي في رسغ قدمها. وأمام وجهها مباشرة ارتفعت دعامة الاسمنت الهائلة التي تزن ٢٠٠ طن والتي سحقت مقدم سيارتها وحولته فطيرة من الصلب لا تزيد سماكتها على ١٠ سنتيمترات. أخطأتها الدعامة فنجت، لكن قدمها شُبكت دونما أمل في تحريرها. وأصبحت دوروثي جزءاً من شطيرة اسمنت تعلو ثمانية أمتار عن الارض. ومرت ٣٠ دقيقة وعمال الانقاذ يروحون ويجيئون فوق الأنقاض، ولم يعرف أي منهم أن دوروثي هناك غارقة في الركام.

وشاءت العناية الالهية أن ينتبه الى صراخها ميكانيكيان هما توماس ايستهوب وكلايد موك اللذان يعملان في مرأب للسيارات يبعد أقل من ١٠٠ متر عن كارثة نيميتز، وكانا ممن خفوا الى المشاركة في عمليات الانقاذ.

ولج ايستهوب أولاً. فانسلّ عبر احدى الفجوات الصغيرة الى جانب سيارة دوروثي وشرع يعمل مستخدماً مخلا ورافعة سيارة. وكانت النار تشتعل الى الجانب الآخر وراء عمود من الاسمنت، وتهدد بالامتداد وإلهاب الوقود المنسكب حول أقدامهما. ومضى ايستهوب يعمل تحت خطر انهيار البناء المتداعي الذي ما فتىء يئن ويصرّ، ومع ذلك حاول أن يؤاسي دوروثي ويشجعها.

كان الألم الحارق في قدم دوروثي اليسرى لا يحتمل، وقالت إنه أشد ما عانته في حياتها، ولو كان في وسعها الوصول الى قدمها لقضمتها بأسنانها. وحتى عندما حدث الاهتزاز الثانوي الكبير الذي تلا الزلزال، مقيماً أطنان الاسمنت ومُقعدها، لم يتخلَّ إيستهوب عن دوروثي، بل استمر في محاولة انقاذها وانضم اليه موك.

بعد مرور ٩٠ دقيقة على وقوع الزلزال دعي الاطفائيان لورنزو فردياني وتشارلز غاردنر من أوكلاند ليحلا مكان موك وايستهوب في تخليص دوروثي أوتو. فحشدا جسديهما داخل فجوة ضيقة لا يزيد ارتفاعها على ٤٠ سنتيمتراً، وانسلا حتى وصلا الى دوروثي.

وعلى رغم أن نظام تدريبهما ينص على عدم تغليب العطف الشخصي على الواجب، فانهما أدركا فوراً أن دوروثي ستحظى منهما باهتمام يتجاوز ما نصّ عليه

قانون المهنة. وحين سألتهما دوروثي ماذا ينويان عمله بالتحديد لاخراجها، ومتى، أخبرها فردياني بلهجة حازمة أنه في غنى عن نصائحها، فلتكفّ عن الصراخ فيما تتركز جهودهما على انقاذها.

وكبائعة قديرة، رأت دوروثي أن من الحكمة الاذعان، وأن في ذلك فرصة لابرام صفقة رابحة مع الاطفائيين. قالت لهما، وهي تغالب السعال بفعل الدخان، إنها هي أيضا تكره صراخ النساء، فاذا ثبتا معها الى النهاية حتى تتحرر فهي في المقابل لن تقضّ مسامعهما بصراخها. وحين يتجاوز الالم قدرتها على الاحتمال ستدير وجهها الى الجهة الاخرى وتعضّ منشفة صغيرة تدفن فيها ألمها وصراخها.

يقول فردياني الذي نشأ قرب نيميتز: "كانت سيدة رائعة."

"سنخرج من هنا"

استخدم الرجلان رافعة هيدروليكية فائقة القوة تسمى "فكّي الحياة" وتعمل مثل كماشة متيحة خلع أبواب السيارات بسرعة والضغط بفاعلية لفتح أماكن مدمّرة بغية الوصول الى ضحايا عالقين. ولكن شق عليهما تشغيل الآلة التي تزن ٣٠ كيلوغراما في فجوة ضيقة لا يزيد ارتفاعها على متر. فعمدا الى فتح باب السيارة ثم أتيا بازميل يعمل بالهواء المضغوط لقطع الأرضية تحت قدم دوروثي.

يقول فردياني: "كان ألمها هائلا، لكنها وفت بما وعدت، فكانت تنذرنا حين يتجاوز الألم حدود احتمالها وتنوي الصراخ، فتدير وجهها وتصرخ وتعضّ منشفتها الصغيرة. وكان ذلك مفيداً من دون شك."

إبان المحنة استمر اهتزاز الطريق وغمر الجميع غبار اسمنت خانق. وكان واضحا أن الطريق قد تنهار كلياً فتسحقهم. ولم يطل الأمر حتى مرت أشد اللحظات هولا، اذ بعد ساعة من وصول المنقذين الى دوروثي، تساقطت كتل الاسمنت بكثافة حولهما منذرة بانهيار. يقول فردياني: "رأينا شريحة الاسمنت تنسلخ، وراقبناها وهي تنهال على سيارة دوروثي وتسحق ١٥ سنتيمتراً أخرى منها. وتوقفت عند هذا الحد. فعرفنا أن تلك كانت النهاية حتما."

اندفع الرجلان نحو الفتحة الصغيرة التي كانت أملهما الوحيد في النجاة، ثم توقفا وتبادلا النظرات. فكّر فردياني في زوجته ماريا التي كانت تنتظر مولوداً هو باكورة زواجهما، لم يتسنَّ له التأمين على حياته. أما غاردنر ففكر في ما اذا كانت أعماله مستقيمة في هذه الدنيا.

انتشر الخبر أن على كل العمال بين الانقاض اخلاء الموقع لانه متداع ومهدد بالانهيار. وكانت مضت ساعة على فردياني وغاردنر وهما يعالجان سيارة دوروثي أوتو



دوروثي اوتو مع المنقذين كلايد موك (الى اليمين) وتوم إيستهوب.

ولم يتقدما الا قليلا. فوجدا أنهما في مأزق هو كابوس يواجهه كل من يعمل على الانقاذ فيتنازعه عاملان: الشفقة التي تدعوه الى اتمام مهمته تحت الخطر، والخوف على حياته والتخلي عن المصاب وتركه يواجه مصيره.

فجأة سمعا دوروثي تستغيث: "أتوسل اليكما، لا تتركاني أموت وحيدة هنا." كان صوتها هادئاً تمازجه شجاعة غاب عنها أي أثر للهلع. وكان الرجلان أكبرا صلابتها خلال معاناتها ولاحظا أنها لم تذرف دمعة واحدة.

قال غاردنر هازاً كتفيه: "كيف نترك هذه المرأة الفريدة تصارع الموت وحيدة. كنا ندرك أن علينا مغادرة المكان حفاظاً على حياتنا، لكننا لم نفعل."

عاد الاطفائيان يحاولان انقاذ دوروثي. واستخدما جميع الوسائل الممكنة، ولكن لم تستجب أي منها لحاجتهما الاساسية الا وهي رفع دعامة الاسمنت عن حاجب النار وتحرير قدم دوروثي.

كررت دوروثي توسلاتها الى الاطفائيين لكي يبترا قدمها بفأس. وأخيراً، قرابة العاشرة ليلا أي بعد خمس ساعات من وقوع الزلزال، قرر الملازم الاول ريتش ساندرز رئيس الاطفائيين أن يرسل في طلب أحد الجراحين ويوكل اليه عملية البتر. واعترف ساندرز في النهاية أن من الافضل بتر قدمها واخراجها قبل أن ينهار البناء ويطبق عليهم جميعا.

بعد قليل انزلق الاطفائي روبرت سبلي الى الفجوة بغية المساعدة. فخطرت له فكرة مبتكرة لم تسبق تجربتها. فعمد الى تفكيك أحد جزءي الرافعة "فكّي الحياة"، ثم أدخله في الموضع الذي لم يقوَ شيء على تحريكه. انحنى سبلي في الظلام وأدار محرك الرافعة بغية احداث فسحة بين حاجب الحرارة وقدم المرأة. وعادت الآلام الحادة تمزق دوروثي. لكن طريقة سبلي البارعة نجحت في رفع الثقل ثلاثة مليمترات كانت كافية لتحرير قدمها.

هتف سبلي: "لقد نجحنا، وسنخرج من هنا."

مضى على وقوع الزلزال نحو ست ساعات. وكان البناء يطبق بعضه على بعض، وبات الخروج من الفجوة أصعب كثيراً من دخولها. فرفع الرجال دوروثي عبر فتحة لا تزيد على ٢٥ سنتيمتراً لوضعها في نقالة وانزالها الى الارض.

أكرهت دوروثي نفسها على التبسّم وسط أوجاعها. وحين تطلعت حولها لتشكر رجال الاطفاء الذين خاطروا بحياتهم لانقاذها لم تجد منهم أحداً. وحين انطلقت بها سيارة الاسعاف دفنت رأسها بين يديها وأجهشت بالبكاء.

كان جاك أوتو في منزله أمام التلفاز فلم يعرف شيئاً. ولم يرَ بدأ من الانتظار ساعات طويلة من العذاب. وحين رنّ الهاتف في وقت متقدم جداً كان على يقين أن المكالمة نذير شؤوم يحمل اليه أسوأ الاخبار.

قال له أحدهم: "السيد أوتو؟ زوجتك هنا تريد التحدث اليك."

قالت دوروثي لزوجها وقد عادت اليها حيويتها وطفحت بالرضى والارتياح: "لقد نجوت! نجحت في اقناع أولئك الرجال بانتشالي من هناك، وخشيت إن لم أعجبهم أن يتخلوا عني لانقاذ شخص آخر صراخه أخف من صراخي."

وفي المستشفى عادها توم إيستهوب وكلايد موك ترافقه زوجته ومولودهما. قالت دوروثي في وقت لاحق: "ان رؤية ذلك الطفل الوديع أيقظت فيَّ شعوراً بفداحة الخطر الذي جبهه الرجلان في سبيل انقاذي." وهي زارتهما لاحقا في المرأب، مكان عملهما، وشكرتهما على صنيعهما.

وبعد ثلاثة أسابيع من مغادرتها المستشفى، وكانت لا تزال تعاني من قدمها المسحوقة، ذهبت دوروثي مع زوجها الى مركز الاطفاء في اوكلاند لتقدم شكرها أيضاً الى الاطفائيين الذين ساعدوا في انقاذها.

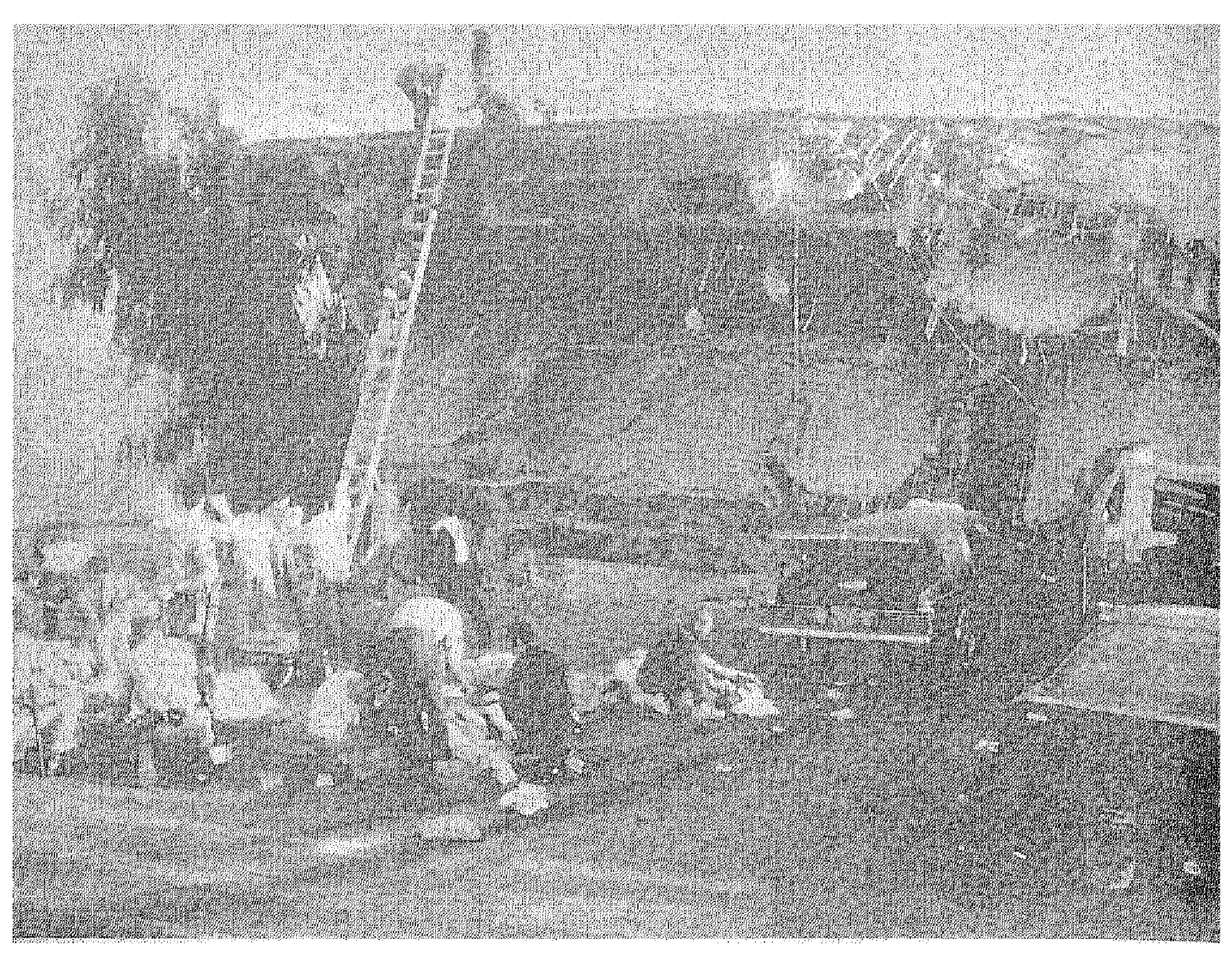
قطع الرجاء

بزغ فجر اليوم التالي، فارتسم الاطفائيون وعمال الانقاذ أشباحاً منعكسة على سماء كاليفورنيا، وهم يروحون ويجيئون فوق مقبرة الاسمنت المريعة. ولدى شروق الشمس بدا المشهد كأنه موقع دمرته القنابل في مدينة مزقتها الحرب.

عمّ مسرح الكارثة شعور بالرهبة والاجلال لمئات الضحايا البريئة التي شاء القدر الغاشم أن تدفن حية تحت الانقاض.

راجع مهندسو دائرة النقل في كاليفورنيا سجلات حركة السير والتنقلات اليومية، وأفادوا أن نحو ٢٠٠ سيارة تسلك هذا القسم من الطريق في الخامسة بعد الظهر. لذا فقد يكون هناك ما يزيد على ٣٠٠ شخص لحظة الانهيار.

وغذّت هذه الارقام، إحباط المنقذين، اضافة الى تقرير خاطىء ظل سائداً مفاده



منقذون يعالجون ضحايا الطريق المدمرة.

أن حافلة سياحية ملأى بالركاب. شوهدت الساعة ٥،٠٤ على الطبقة السفلى.

وتخللت كومة الركام المذهلة مئات الجيوب والفجوات غير المرئية من الخارج والتي توفر فسحة صغيرة كافية للحياة فترة تحددها حال المدفون فيها. ويستغرق الكشف عن هذه الزوايا والشقوق أياماً.

لجأ المشرفون على الانقاذ الى استخدام كلاب مدربة وأدوات متطورة تتحسس الحرارة، في البحث عن علامات الحياة بين الانقاض. وأشرف مهندسو دائرة النقل على تدعيم البناء الواهي بأخشاب قوية لجعله أكثر أماناً لدى معاودة عمليات الانقاذ.

وفي وقت متقدم من نهار الاربعاء أعلن المسؤولون أن أكثر من ٢٤ ساعة مرت منذ اكتشاف آخر الاحياء، فيما انتشلت ١٤ جثة فقط. واعتقاداً منهم أن هناك ما بين ١٥٠ و٢٠٠ جثة مدفونة في مقبرة الاسمنت، تعين على منسقي العمليات أخذ قرار بتحديد موعد وقف أعمال البحث والانقاذ ومباشرة هدم البناء لانتشال الجثث.

وأجريت صباح الخميس محاولات شاملة استخدمت فيها كاميرات تتحسس الحرارة وفرق كلاب مدربة اسفرت عن اقتناع المسؤولين بأن من العبث توقع

اكتشاف أحياء آخرين. وقوبل هذا اليأس باستياء مارتي كودي وزملائها المنقذين لاعتقادهم أن لا بد من بقاء أناس أحياء يتنفسون تحت طبقات الركام.

في هذه الاثناء دعم القسم الاكبر من الطريق المنهارة بأخشاب ضخمة. وكوّمت الجرافات التراب تحت أجزاء واهية. وبدأ العمال تكسير سطح الركام لانتشال الجثث مستعملين ثقابات الصخور ومناشير الاسمنت التي عكّرت قعقعتها الهدوء الحزين المخيم على المكان. وكلما عمق الحفر تعاظمت رائحة الموت.

همدت حماسة الساكنين في جوار "نيميتز فريواي" وخبا وهج البطولة الفذة التي أبدوها في الدقائق الاولى بعد وقوع الكارثة. وأخليت مئات المنازل بسبب الاضرار التي لحقتها، وأجلى المسؤولون عائلات أخرى من منازلها موقتاً ريثما تستقر الطريق وتصبح آمنة. وخيم الرعب وظلُّ الموت على الناس الذين سعوا الى مزاولة أعمالهم، يلاحقهم شعور متنامٍ بالالم واليأس القاتل.

وعلى رغم الفوضى لم يقع الا قليل من التجاوزات. وانخفض عدد الجرائم وخصوصاً تجارة المخدرات في الشوارع. واختفت سيارات المروجين البراقة المترفة وحلّت مكانها سيارات الليموزين الأنيقة التابعة لوكالات الانباء ومحطات التلفزة. لقد اصبح كابوس نيميتز الحدث البارز الذي استأثر باهتمام جميع وسائل الاعلام.

حملت أمواج الاثير أنباء الزلزال الى أنحاء العالم فأقلقت الخواطر، وخصوصاً في شمال كاليفورنيا حيث هرعت العائلات الى أوكلاند للبحث عن أهل وأحباء مفقودين. وتبين أن معالجة أهالي أوكلاند لنكبة الزلزال كانت فاعلة ورائعة. ولكن ظل هناك مئات الاشخاص المفجوعين الذاهلين وقد احمرت عيونهم ونال منهم القلق والاعياء، يجوبون أطراف الأنقاض متلهفين لسماع كلمة تنبئهم عن أحبائهم. وزاد في تشاؤمهم ولوعتهم عدم السماح لهم بالوصول الى الركام للبحث بأنفسهم عن مفقوديهم.

في أصيل يوم الجمعة، بعد ٧٠ ساعة من وقوع الكارثة، عصفت بالمنطقة رياح شديدة وانهمر المطر مدراراً فتوقفت كل الاعمال. وبينت فحوص الاجهاد الهندسية أن الطقس العاصف قد يزيد خطر الانهيار.

ورأى المسؤولون أن لا مبرر لتعريض حياة العاملين للخطر فيما الامل ضئيل جداً بالعثور على أحياء، وكانت مضت ٦٥ ساعة لم يعثر خلالها على حي واحد.

تعيش ديانا مور مع جدتها في بركلي التي تبعد بضعة كيلومترات عن شمال أوكلاند، وهي شابة في الخامسة والعشرين ذات وجه لطيف وادع وعينين بنيتين



مارتي كودي (أعلى اليمين) تساعد منقذين آخرين في نقل احدى ضحايا الطريق المنهارة.
(الى اليمين) مارتي كودي وديانا مور.

واسعتين وشعر كستنائي طويل. وقد عملت ست سنوات مسعفة طبية تُشيع وداعة وهدوءاً يبعثان الطمأنينة في نفوس ضحايا الصدمات.

أمضت ديانا ٢١ ساعة بين أنقاض نيميتز يومي الاربعاء والخميس، وعادت يوم الجمعة، بعد راحة قصيرة، لثلاث ساعات ناشطة وزميلاتها في البحث عن أحياء. وقالت مستشهدة بالزلزال الذي ضرب أرمينيا عام ١٩٨٨ حيث عثر على ضحية حية تحت الركام بعد مرور ١١ يوماً على الكارثة: "ما حملنا على متابعة البحث ايماننا بأن هناك شخصاً لا يزال يحتاج الى مساعدتنا. وعندما أبلَغنا الخبراء أن ثمة مئات الضحايا تحت الانقاض غلب علينا اعتقاد أن ثمة قلباً ينبض بعيداً عن أنظار الجميع.

وعظمت خيبة ديانا وكثيرين غيرها من المنقذين لدى اعلان المهندسين ليل الجمعة أنهم اكتشفوا تحركاً خطراً في طريق نيميتز فأمر المسؤولون باخلاء المكان. وكان كثيرون عادوا الى منازلهم وفنادقهم بسبب الرذاذ البارد والضباب اللذين رافقا

الشعور العام بفقدان الأمل. في غضون ذلك غفت ديانا على سرير نقال داخل خيمة واسعة.

وقبيل بزوغ فجر السبت بعد ٨٥ ساعة من الزلزال، كان المهندس ستيف ويبل جاثماً على منصة رافعة معلاة ينعم النظر داخل أحد أقسام الركام غير المستقرة. وجه نوره الكاشف عبر فجوة تتسع خمسة سنتيمترات بين الطبقتين العليا والسفلى، فأضاء سيارة مسحوقة تبعد عن الحافة حوالى ١٠ أمتار.

شاهد ويبل رأس رجل حسبه ميتا. فأخذ يلاعب الضوء حول السيارة عله يكشف ضحايا أخرى. ولم يلبث أن جمد مذهولا، اذ تحركت يد الرجل.

لم يصدق ويبل ما رأى، فاستمر يلاعب الضوء حول السيارة غير مقتنع بامكان بقاء حياة في هذا الشرك الخانق الذي تفوح منه رائحة النتن والموت. ثم رأى الرجل يدير رأسه، فاتصل بمركز قيادته لاسلكياً وأطلع زملاءه على اكتشافه المذهل.

سرى الخبر في كآبة الفجر النديّ، فأفعم فرق الانقاذ بالامل. وأيقظ أحدهم ديانا زافاً اليها الخبر السار. لكن الاثارة اضمحلت حين عُلم أن الرجل مدفون في أخطر نقاط الطريق المنهارة.

رُفعت ديانا بمنصة رافعة لاجراء تقويم طبي فصاحت عبر الفتحة الصغيرة: "اذا سمعتني حرّك رأسك."

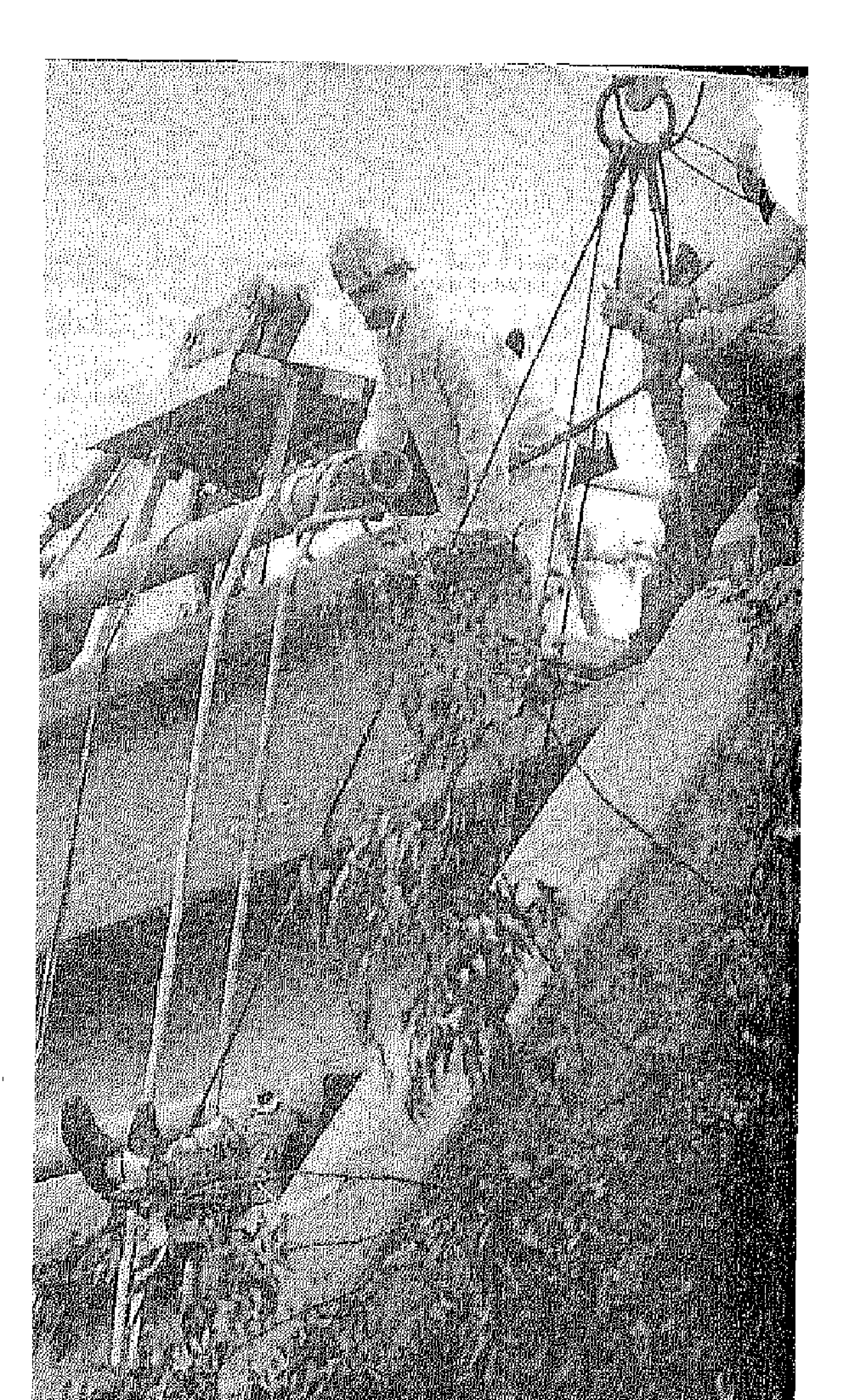
صاحت ثلاث مرات من دون استجابة. ولكن بعد الصيحة الرابعة رأت رأس الرجل يعلو ويهبط فهتفت: "اصمد، نحن قادمون لاخراجك."

وخلافاً لسبل الانقاذ العفوية التي استخدمت في الساعات الاولى للكارثة بات الخبراء مسؤولين عن العمليات. فطلبوا من العمال حفر نفق مدعّم الى "قبر" الاسمنت ثم حفر ثقب واسع في الاسمنت لتسهيل انتشال الرجل. فقد أراد المهندسون والمسؤولون عن السلامة العامة ايجاد وضع آمن تماما قبل السماح للمسعفين الطبيين بالدخول لمعالجة الرجل. وهذا ما لم يرق المسعفين الذين – كما تقول ديانا مور – "كان أي منهم على استعداد للمجازفة بالدخول ومد الرجل بالاسعافات الاولية والخروج بسرعة." علماً أنهم ظلوا منذ ٨٥ ساعة يخاطرون بحياتهم لانقاذ الضحايا.

ومرت أربع ساعات قبل أن يسمح لديانا بالولوج لاسعاف الرجل.

وانتهى المهندسون والمسؤولون عن السلامة الى اعتبار البناء آمنا. فزحفت ديانا على بطنها فوق الزيت والوقود وحطام الزجاج حتى دنت من الرجل، فلم تشاهد أي حركة منه.

ولدى وصولها الى السيارة سألت الرجل: "ألا تزال واعيا؟"



بوك هيلم بعد نحو ٩٠ ساعة من احتجازه تحت الركام، وهو آخر شخص انتشل حياً.

فاصدر الرجل أنّة وتحرك.

كانت ديانا تدرك أن البناء آخذ في الانهيار على رغم دعمه. فأسرعت في انعاش الرجل بالاوكسيجين. كان ذاهلا، ولكن بعد لحظات ازداد تيقظه ففتح عينيه ونظر الى وجهها القريب.

أسطورة الحي الأخير

قال الرجل لديانا: "أنا عطشان."

فأخبرته أنها ستمده بالسوائل حالما يتسنى لها اكتشاف عرق في جسمه. أما الآن فلا سبيل الى ذلك لان لا شيء في متناولها الا رأسه.

سألته: "ما اسمك؟" محاولة ابقاءه واعيا يتكلم.

أجاب بهدوء: "بوك."

سألته: "هل أنت مصاب بأذى؟"

فرد بحزم: "كلا."

استنتجت ديانا أنه قوي صلب العود وأن صلابته هي سرّ بقائه حياً. وأخبرها أنه وحده في السيارة. ورأت ديانا أن أول واجباتها توطيد استقراره الصحي لكي تتمكن من تقويم اصاباته قبل انتشاله، لأن تلك عملية دقيقة، حذرة.

وآزر ديانا في عملها اطفائيو أوكلاند وفريق انقاذ من جنوب كاليفورنيا مجهز بمعدات ثقيلة. وهم علموا لاحقاً أن الشخص الذي يسعون الى انقاذه يدعى بوك هيلم، وهو موظف في وكالة لتفريغ السفن وتحميلها، نشيط في عمله متقشف في معيشته ومعروف باستقلاليته وصلابته. وهو محب لاولاده، وفي كل نهاية أسبوع يقطع ٨٠٠ كيلومتر ذهاباً واياباً الى حيث يعيشون في شمال كاليفورنيا لكي يكون معهم. وفي أيام العمل ينام بوك في مقطورة. وتحدث أصدقاؤه عن حبه للحياة ومشاكسته وعناده وولعه بلعب الورق (الكوتشينة). وابرز صفاته رفضه التخلي عن أي شيء صمم عليه. وكان عزمه الآن على التمسك بالحياة حتى وصول الاسعاف.

بدأ الاطفائيون تفكيك أجزاء السيارة ليتسنى لهم سحب بوك، فيما حاولت ديانا تأمين استقراره الصحي. لكنها عجزت عن كشف أي وريد لايلاج حقنة مصل، بسبب الجفاف الشديد الذي لحق جسده. وحين جسَّت نبضه الواهي قال لها إن يديها باردتان، وتلك دلالة على تيقظه وادراكه الحسي.

قالت: "أنا أعلم أن ذلك يستغرق وقتاً طويلاً."

سألها بوك: "ماذا حدث؟"

فأخبرته: "وقع زلزال قوي، وأنت الناجي الوحيد بعد هذا الوقت الطويل."

تعمدت ديانا اطالة الحديث، فسألته كم عمره. "قال لي انه في التاسعة والثلاثين فصدقته، لكن عمره في الواقع ٥٧ عاماً. فيا له من رجل! كان يمازحني فيما نحن قلقون على حياته."

بعد ٩٠ دقيقة من دخول ديانا رُبط بوك الى لوح خشبي وحمل في سلة على الرافعة وجلست ديانا الى جانبه ويدها في يده.

وحين حطتهما الرافعة على الارض رفع بوك يده فدوى الهتاف والتصفيق. وقالت له ديانا: "التصفيق والهتاف لك." وساعدت في نقله الى سيارة اسعاف داخلها طبيبان.

أظهر التشخيص الطبي ثلاث أضلع مكسورة وشقاً صغيراً في الجمجمة وجفافاً شديداً وتضرراً في الرئتين والكليتين. لكن الاطباء بدوا راضين عن حال بوك عموماً. ولم يتمكن رجال الاعلام من مقابلته، فحاصروا ديانا لاستقاء الاخبار منها. وهي كانت أمضت ٣٢ ساعة من الخدمة المتواصلة لم تذق فيها طعم النوم، وقد نال منها الجوع والعطش وغطاها الزيت وامتلأت جيوبها بكسر الزجاج والاسمنت. فظهرت هنيهات أمام رجال الصحافة ثم توارت.

وأوضحت لاحقاً: "أنا أفضل الزحف والتفتيش بين الانقاض على الظهور على شاشات التلفزة. ثم إنني لا أستحق أن يُنسب الي فضل أكثر من المسعفين الآخرين في نجاح هذه العملية الرائعة. وكل ما في الامر أني كنت هناك حاضرة عندما حان موعد ارسال أحد المسعفين لمساعدة بوك."

ذاع خبر انقاذ بوك هيلم من بين الركام في "نيميتز فريواي" فأدهش ملايين الناس في العالم. وكان توقيت انقاذه مثاليا لبعث الامل في المكبّين على عمليات البحث والانقاذ المضنية، في وقت كان عشرات الالوف من المتضررين في شمال كاليفورنيا يكافحون لاعادة اللحمة الى حياتهم الممزقة.

لم تمرّ ساعات على الانقاذ العجائبي حتى غدا بوك هيلم رمزاً حياً للأمل والارادة القوية التي تقهر المحن. وغدا أسطورة تنمو وتتفاعل فتبعث الشجاعة والتفاؤل في

آخرين من ضحايا الزلزال الذين يخضعون لمعالجات طويلة الامد في المستشفيات بسبب اصاباتهم المدمرة.

المباراة المنقذة

تسارعت الاحداث التي أعقبت الزلزال، فمنها ما مرّ بسرعة وانتهى كأنه عادي عابر مثل حادث جون ديفريتاس، ومنها ما كان معاناة طويلة قاسية مثل حالتي دوروثي اوتو وهوليو بيرومن.

وتنازعت الناس عوامل الخوف واليأس والشك والامل. وتمت ألوف الاتصالات الهاتفية، فاطمأن كثيرون الى أن أهلهم وأحباءهم وأصدقاءهم كانوا بمنأى عن الخطر بعيدين عن مكان الكارثة. ومرّ آخرون بساعات مثقلة بالخوف واللهفة لمعرفة مصير أحبائهم. وأشد ما كان يمزق القلوب خاتمة مفجعة للانتظار والتلهف لحظة ابلاغ أحدهم بالتوصل الى تحديد هوية مجهولة في المشرحة.

كانت حصيلة قتلى زلزال "لوما بريتا" ٦٣ شخصاً قضى منهم ٤٢ تحت أنقاض طريق نيميتز. وانتشل ٣٠ أحياء من سياراتهم التي طمرها الركام، ونقل ١١٨ الى مستشفيات المنطقة في سيارات الاسعاف والمروحيات.

وكان عدد سالكي طريق نيميتز لحظة الانهيار أقل كثيراً مما قدر الخبراء. وعُزيت هذه الظاهرة غير العادية الى أن ألوف المتنقلين يومياً في الخامسة بعد الظهر كانوا في منازلهم أمام التلفاز يشاهدون مباراة البايسبول العالمية.

بلغت أضرار زلزال "لوما بريتا" في الممتلكات ستة مليارات دولار. وأصيب أكثر من ٣٧٠٠ شخص بجروح وشرّد ١٣ ألفاً وتهدم نحو ٢٥ ألف مسكن. وكان ٢٠ في المئة فقط من الملاكين يحملون عقود تأمين ضد الهزات. لكن العالم هبّ الى مساعدة المنكوبين، وتدفقت الاعانات لتأمين المساكن والملابس والغذاء والمال.

ان لحظة وقوع الزلزال – ٥،٠٤ بعد ظهر ١٧ أكتوبر (تشرين الاول) ١٩٨٩ – ستظل محفورة في ذاكرة ملايين الناس الذين لن ينسوا أبداً ما كانوا يعملون في أثنائها. تقول إرما باركر التي كانت في سيارة مع زوجها ونجت من كارثة انهيار طريق نيميتز لتأخرها ثواني عن بلوغ الجزء المنكوب: "إنني شهدت في تلك اللحظة قوة خارقة أعظم من أي شيء عرفته في حياتي... قوة أعظم من كل ما صنعه الانسان. كان الصوت كقصف رعد ولم أسمع أشد منه، وظل يترجّع في الابعاد. ثم ارتفعت سحب دخان وغبار أبيض في كل مكان."

أما اليزابيث كوبلز التي ولدت في سانتا كروز الساعة ٥،٠٣ بعد الظهر فلن تتذكر ما حدث. ولكن سيروي لها أهلها أن الارض، بعد ولادتها بدقيقة واحدة، مادت

ورقصت كأن ملايين البراكين تفجرت في باطنها، وانتابت شمال كاليفورنيا نوبة مسعورة من الهلع.

وما كاد غبار نيميتز يستقر حتى أعلن الاختصاصيون بعلم الزلازل أن زلزال ١٩٨٩، وإن يكن خطيراً، ليس هو "الزلزال الكبير." وما زال العلماء مصرين على توقعهم كارثة ماحقة ستنفجر في كاليفورنيا وتحدث دماراً يفوق دمار أي زلزال ضرب الولايات المتحدة.

ولكن، على رغم التكهنات التشاؤمية، بينت استطلاعات الرأي التي أجريت بُعيد الكارثة أن عائلات قليلة جداً مستعدة لاقتلاع جذورها ومغادرة مساكنها خوفاً من هذا الخطر.

ويتساءل سكان كاليفورنيا: أين هو المكان الآمن فنذهب اليه؟ كيف يعيش الناس في الغرب الاوسط وهم يعرفون أن الاعاصير (تورنادو) هي من وقائع حياتهم. وكيف يعيشون في الولايات الساحلية الجنوبية التي تتعرض للاعاصيرَ البحرية أكثر مما تتعرض كاليفورنيا للزلازل الخطيرة؟

في غضون ذلك ظل تحسن حال بوك هيلم يدهش العالم، على رغم عجزه عن الكلام لانه موصول الى جهاز تنفس. ولازمته زوجته لوري وأولاده منذ عملية انقاذه. وبعد مرور شهر على الزلزال في ١٨ نوفمبر (تشرين الثاني) اتصلت لوري بديانا مور وأخبرتها أن بوك يتحسن، فكليتاه تعملان ويفكر الاطباء في تحريره من جهاز التنفس. وطلبت لوري من ديانا أن تعود بوك لأن ذلك قد يساعده.

وتتذكر ديانا: "كان فعلا في حال جيدة، جالساً في سريره ومتيقظاً تماماً." أمسكت ديانا بيده وكلمته، فلم يتمكن من مبادلتها الكلام بسبب جهاز التنفس. وتحدثت الى زوجته التي أعربت عن تفاؤلها بشفائه. قالت لبوك: "اصمد، لا تيأس."

في اليوم التالي توفي بوك هيلم على نحو غير متوقع. فكان موته ضربة ساحقة لعائلته ومدعاة دهشة واكتئاب للملايين الذين هتفوا له وشجعوه.

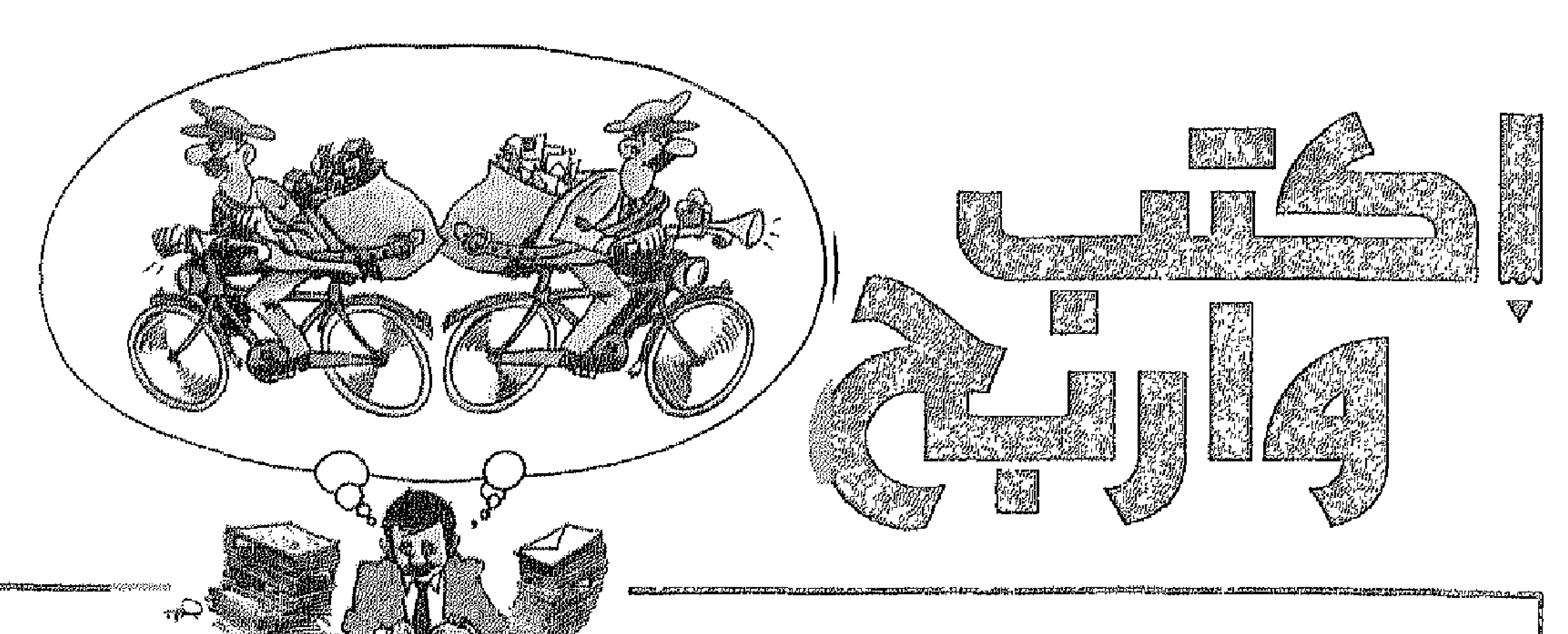
وعزا أطباء المستشفى وفاته الى قصور في التنفس.

والثابت هو أن بقاء بوك هيلم حياً شهراً كاملا، على رغم كل العوامل المعاكسة المثبطة، ألهم الألوف كي يتحلوا بالشجاعة للتغلب على احباطاتهم. وهو غذّى التفاؤل في وقت كان المنقذون في أمسّ الحاجة اليه. وقد جاء شهادة نيّرة تتوج بطولة المتطوعين والمسعفين ورجال الشرطة والاطفاء الذين كافحوا ببسالة لرفع الكابوس الجاثم على "نيميتز فريواي."

هنري هورت ■

ترجمة الياس عقل

اكتب واربح



هل لديك نكتة؟ هل صادفت في حياتك العائلية أو المهنية حادثاً طريفاً؟ هل سمعت حكاية ذات مغزى وترغب في أن تشرك الآخرين في متعتها؟ خذ قلماً وورقة واكتب ما لديك وأرسله الى "المختار" فتدفع لك المجلة في المقابل، بعد النشر، حسب المعدلات الآتية:

صور من الحياة: القصة يجب أن تكون حقيقية تتحدث عن تجربة شخصية ناجحة ذات متعة خاصة. تدفع عن القصة الواحدة ٢٥ دولاراً.

تأملات معاصرة: مقاطع أصلية أو من كتب ومقالات منشورة تنطوي على مغاز حكمية. يدفع دولار عن كل سطرين.

حديقة أفكار: أقوال مأثورة للأعلام العرب. تدفع ٥ دولارات عن كل سطرين، على ألا يتجاوز القول المأثور السطرين.

الضحك خير دواء: تفضل النكتة الاصلية، أما اذا كانت منشورة فيجب أن تختار من المطبوعات المحلية ذات الانتشار المحدود. تدفع ٢٥ دولاراً عن الاصلية و١٠ عن المنشورة.

السدات: هناك نكات ونوادر قصيرة من مصادر مطبوعة مثل الكتب والمجلات ذات الانتشار المحدود. وهذه كذلك يرحب بها "المختار" ويدفع دولارين عن السطر ذي العمودين.

شروط جديدة

- كتابة الرسائل بخط واضح، والا طبعها على الآلة الكاتبة.
- كتابة مادة كل باب على ورقة منفردة.
- ارفاق كل مادة بنسخة مصورة كاملة لصفحة الكتاب أو المجلة أو الجريدة التي تظهر فيها، شرط أساسي لقبول أي مادة، اذ من دونها يتعذر علينا التحقق من صحة المصدر.
- ذكر المصدر العربي ضروري ونعني بذلك: اسم الكتاب، اسم المؤلف، تاريخ النشر وعنوان الناشر كاملا. (اذا اختيرت المواد من مجلة أو جريدة، فينبغي ارسال عنوان الجريدة أو المجلة كاملاً، خصوصاً اذا كانت المطبوعة محلية محدودة الانتشار).
- تحاشي المواد المترجمة أو المستقاة من مصادر أجنبية.
- لا ينظر في الرسائل التي تضم كدسات من المواد، فالمقصود أن يحسن القارىء الاختيار.
- لا تعاد النصوص الى أصحابها، سواء نشرت أو لم تنشر.

[illegible] الرسائل الى العنوان الآتي: مجلة "المختار من ريدرز دايجست"، بيروت، شارع المقدسي، بناية الشرتوني، ص.ب ٨٧٠٧ لبنان.

COURTESY G.W. EINSTEIN COMPANY, INC., NEW YORK

"متسكع فى الريف" - زيتية للفنان الامريكي بيل سوليفان.